المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية

٩٠٩هـ / ١٥٠٣م - ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد

الطالبة / لمياء أحمد عبدالله شافعي

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد الحبيب الهيلة

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الإسم : لمياء أحمد عبدالله شافعي كليـــة : الشريعة والدراسات الإسلامية

قســـم : الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه في تخصص : التاريخ الإسلامي

عنوان الأطروحة : « ابن حجر المكي وجهوده في الكتابة التاريخية »

****

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٧/١١/١ هـ - بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه بتقدير « ممتاز » .

واللّــه الموفق ،،،



أعضـــاء اللجنـــة

المشـــرف

الاسم : أ.د/محمد الحبيب الهيلة

التوقيـع :

المشـــرف

الاسـم : د/أحمد عبداللطيف العبداللطيف

التوقيـع :

المناقش الخارجي

الاســم : أ. د/ أحمد عمر الزيلعي

التوقيـع :

المناقش الداخلي

الاســم : أ. د/ محمد المنسي عاصي

التوقيـع :

١٤١٧/١١/١ هـ

يعتمـد :

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الاســم : د / سعد البشري

التوقيـع : ١٤١٧/١١/١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث
تآليفه في السيرة النبوية

١ - المنح المكية في شرح الهمزية .

٢ - شرح شمائل الترمذي = أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل .

٣ - مؤلف في الإسراء (لم نعثر عليه) .

٤ - ٥ - ٦ - ثلاثة موالد نبوية صغيرة .

٧ - النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم = (وهو مولد كبير)

١ - المِنَح المكّية في شرح الهمزية = أفضل القرى لقراء أم القرى :

ورد عنوان الكتاب بهاتين التسميتين في مقدمة ابن حجر لكتابه حيث قال : « وسميته بالمنح المكية ، في شرح الهمزية ، ثم بلغني أن الناظم سماها أم القرى تشبيهاً لها بمكة بجامع أنها احتوت بطريق التصريح أو الإيماء على ما في أكثر المدائح النبوية وحينئذ سميتها أفضل القِرى ، لقراء أم القرى »[١].

نَسَبَ هذا الكتاب لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر [ورقة ٥ ب] ؛ وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم [ورقة ٢٨ أ ، ٣٠ أ] بقوله : « قال الجد ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الهمزية ما نصه » .

ونسبه لابن حجر أيضاً العيدروسي في [النور السافر ٢٩١] ؛ الغزي في [الكواكب السائرة ٣ : ١١٢] ؛ حاجي خليفة في [كشف الظنون ص١٣٤٩] ؛ ابن العماد في [شذرات الذهب ٨ : ٣٧١] ؛ محمد الشوكاني في [البدر الطالع ١ : ١٠٩] ؛ مرداد في [المختصر من نشر النور والزهر ص ١٢٣] ؛ اللكنوي في [الفوائد البهية ص ٢٤١] - وغيرهم كثير من أصحاب المراجع الحديثة .

نسخ الكتاب :

اطّلعت على نسخةٍ مطبوعة منه وهي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢هـ وبهامشها حاشية محمد الحفني على شرح ابن حجر هذا .

---

(١) ابن حجر : المنح المكية ص ٦ .

- وطبع طبعة ثانية بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ هـ[١] .

كما اطلعتُ على نسختين مخطوطتيْن منه :

إحداهما : من مكتبة أحمد جبران عوض جبران باليمن وهي نسخة عليها تملكات كثيرة من أهل اليمن كُتبتْ سنة ١٢٧٢ هـ نسَخها دحمان بن أحمد بن دحمان بن عبدون بالفقيه صعدي . عدد ورقاتها ٢٩٨ ورقة كُتبتْ بخط نسخي واضح .

والثانية : من المكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم ٢٥٦٥ وهي نسخة قديمة – عدد ورقاتها ٢٤٠ ورقة .

ومن المخطوط نسخ أخرى :

- نسختان بمكتبة مكة المكرمة رقم ٥٣ و ٦٢ تاريخ .
- نسخة بخزانة القرويين بالمغرب برقم ١١٠٨ .
- نسختان في مكتبة برلين برقم ٧٨٣٠ ، ٧٨٣١ .
- نسخة في مكتبة باريس برقم ٥٢٨٦ تقع في ١٤٩ ورقة كُتبتْ خلال القرن الثالث عشر الهجري .

تاريخ تأليف الكتاب :

ورد في نهاية الكتاب قول الناسخ : « قال المؤلف رحمه الله ورضي عنه : وقع الفراغ من تأليفه ليلة الجمعة لليلة خلتْ من جمادى الأول أحد شهور سنة ست وستين وتسعمائة » (٩٦٦هـ /١٥٥٨م) .

---

(١) سركيس : معجم المطبوعات ص ٨٤ .

الهمزية وشرحها :

هي قصيدة في المدح النبوي ألّفها شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) الذي اشتهر بقصائد بارعة في الموضوع منها قصيدة البردة وهي ميمية[١] وقصيدة الهمزية هذه التي تشتمل على ٤٥٦ بيتاً . وقد انتقد بعض علماء أهل السنة عدداً من أبياتها لما فيها من مبالغة ومجازات تميل إلى آراء بعض المبتدعين . ورغم ذلك فقد اشتهرت القصيدة بين الناس فوضعوا لها شروحاً كثيرة من أشهرها :

- شرح ألّفه محمد بن عبد المنعم الجوجري(ت ٨٨٩هـ/١٤٨٤م)[٢] وهو شرح اطلع عليه ابن حجر وذكره في مقدمة شرحه[٣] .

- شرح وضعه أحمد بن يوسف بن الأقيطع المالكي البرلسي (ت٩٠١هـ/١٤٩٥م) عنوانه النخبة السنية في شرح القصيدة الهمزية[٤] .

- شرح ابن حجر المكي الذي ندرسه هنا ألفه سنة ٩٦٦هـ/١٥٦١م.

- شرح وضعه أحمد بن أحمد السنباطي (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢)[٥] .

- شرح محمد بن أبي الوفاء المعروفي الشافعي الحموي عنوانه : نهاية الأمنية في شرح الهمزية (فرغ من تأليفه سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م)[٦] .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٣٣١ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٣٤٩ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١٠:٢٦٠.

(٣) ابن حجر: المنح المكية ص ٦ وقال ابن حجر عنه :« ولا أعلم شارحاً لها غيره رحمه الله » .

(٤) البغدادي : إيضاح المكنون ٢:٢٣٣ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ٢:٢١٢.

(٥) البغدادي : إيضاح المكنون ٢:٢٣٣ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١:١٤٩-١٥٠.

(٦) البغدادي : إيضاح المكنون ٢:٢٣٣؛ كحالة : معجم المؤلفين ١٢:٩٤ .

- شرح محمد بن عبدالله الغزي المعروف بالتمرتاشي (ت١٠٠٤هـ /١٥٩٥م)[١] .

- شرح عبد الوهاب الفاسي الوزير الغساني الأندلسي(ت ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م)[٢] .

- شرح قطب الدين مصطفى البكري الحنفي(ت١١٦٢هـ/١٧٤٨م)[٣].

- شرح عثمان بن عبدالله الكليس العرياني (ت ١١٦٨هـ/١٧٥٤م) عنوانه زبدة القرى في شرح أم القرى[٤] .

- كما وضع لها الشيخ محمد الحفني (ت ١١٨١ هـ / ١٧٦٧م) حاشية على شرح ابن حجر عنوانها أنفس نفائس الدرر[٥] طُبعت على هامش المنح المكية في الطبعة التي اعتمدناها وهي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢هـ .

منهج ابن حجر ومصادره :

اهتم ابن حجر في شرحه للقصيدة الهمزية بجانبين من الشرح الجانب التاريخي والجانب اللغوي .

الجانب التاريخي :

الذي يغلب على شرح ابن حجر على القصيدة الهمزية ذكر الأخبار

---

(١) البغدادي : إيضاح المكنون ٢:٢٣٣ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١٠:١٩٦.

(٢) البغدادي : إيضاح المكنون ٢:٢٣٣ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١:٣٠٧.

(٣) البغدادي : إيضاح المكنون ٢:٢٣٣؛ كحالة : معجم المؤلفين ١٢:٢٧١ .

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٣٤٩ ؛ كحالة : معجم المؤلفين٦:٢٦٠.

(٥) البغدادي : إيضاح المكنون ١:١٣٥ .

النبوية أو الإشارة إليها ، لذلك نرى ابن حجر يتعرض للأخبار الواردة في السيرة النبوية مفصلاً فيها ما أجمله الشاعر مُطيلاً في أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله[١] . ذاكراً أخبار السيرة النبوية في العهدين المكي والمدني متحدثاً عن معجزاته صلى الله عليه وسلم كالإسراء[٢] وغيرها من المعجزات[٣] .

وقد يتعرض أحياناً لأخبار التاريخ القديم كقصة ابنيْ آدم قابيل وهابيل[٤] ، وقصة يوسف عليه السلام[٥] والحديث عن قيصر الروم[٦] وقصة أبرهة والكعبة [٧].

كما قد يتعرّض لأخبار الدولة الإسلامية بعد عصر النبوة[٨] .

وفي كل هذه الأخبار التاريخية سواء ما كان منها متعلقا بالسيرة النبوية أو بغيرها فإننا نلاحظ أن ابن حجر في شرحه اعتمد منهج التلخيص للأخبار بعد تجميعها واختيار الحوادث الهامة منها ليقيم منها رواية تاريخية متكاملة في إيجاز واضح دون أن يذكر مصادره التي أخذ عنها في الكثير الغالب من الأحيان .

---

(١) ابن حجر : المنح المكية ص ٤٧ - وكذلك ص ١٣١ - ١٥٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٦ -١٠٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٧١ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٠٨ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٠٩-٢١١.
(٦) المصدر السابق ص ٤٦ .
(٧) المصدر السابق ص ٨١ .
(٨) المصدر السابق ص ١١٥-١١٧ ، و ص ٢٦٨ - ٢٧٣ ، و ص ٢٩١ .

فكثيراً ما يورد في أول الرواية التاريخية قوله : أخرج أهل السير[١] أو قوله : « نقل بعض أهل السير »[٢] أو قوله « قال الأئمة »[٣] أو قوله «وملخص قصتها »[٤] أو قوله « وحاصلها »[٥] وأحياناً يعرض الرواية التاريخية بإيجاز ثم ينَبّه القاريء إلى أن القصة مذكورة مبسوطة في كتب السيرة فيقول « وبَسْط ذلك في كتب السيرة »[٦] .

وكثيراً ما يعمد ابن حجر إلى إكمال الروايات التاريخية التي يعرضها في الشرح وذلك بأن يعقد فصولاً مكمّلة لتلك الروايات يعنونها بعنوان : تنبيه أو تتمة أو فائدة ، تكون لها علاقة بالحادثة المروية في شرحه .

أما مصادره الأساسية فإنه يذكرها أحياناً عَرَضاً دون تحديد ومن هذه المصادر كُتب حديثية وأغلبها كتب الحديث الصحيحة المشهورة . بالإضافة إلى بعض الكتب الحديثية الأخرى أهمها :

كتاب فتح الباري في شرح البخاري[٧] ، وشرح ابن بطّال الأندلسي للبخاري[٨] ، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري[٩] وتاريخ البخاري[١٠] وكتاب

---

(١) ابن حجر : المنح المكية ، ص ١٠٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٨١ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٧٦ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٧) المصدر السابق ، ورد اعتماده عليه في كثير من شرحه .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

الموضوعات لابن الجوزي[١] .

كما اعتمد بعض كتب التفاسير مثل تفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي[٢] وتفسير الفخر الرازي[٣] .

أما كتب السيرة التي ذكرها عرضاً في شرحه فهي :

- سيرة ابن هشام [٤].
- الروض الأنف للسهيلي[٥] .
- سيرة ابن سيد الناس[٦] .
- سيرة ابن كثير [٧].
- الشفاء للقاضي عياض[٨] .

وكتب التاريخ ذكر منها :

- تاريخ ابن جرير الطبري[٩] .
- تاريخ دمشق لابن عساكر [١٠].

---

(١) ابن حجر ، المنح المكية ، ص ٨٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٢٦ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٦٦ ، ١٢٣ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٥٩ ، ٨٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٩) المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، ١٧٣ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ٦٤ ، ٢١٢ .

- كتابه مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطي[١] .

وضمن عمله التاريخي في شرح القصيدة الهمزية اهتم ابن حجر بتراجم الأعلام المذكورين فيها ، فبعد أن ترجم للبوصيري الشاعر صاحب المتن ترجمة وافية في مقدمة الشرح [٢] . ترجم للعديد من الأشخاص الذين يتعرض لهم في الشرح بأن يذكر اسم المترجم كاملاً مع سلسلة نسبه ، وقد تطول الترجمة أو تقصر بحسب أهمية الشخص أو ما تقتضيه هذه الترجمة من العناية والتوضيح .

فقد ترجم لوالدة الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة آمنة بنت وهب[٣] والسيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين ترجمة مستفيضة[٤] ، كما ترجم لبقية أمهات المؤمنين[٥] . وترجم للصحابة المبشرين بالجنة[٦] . وتراجم أخرى كثيرة .

وإذا عُرِضتْ في النص أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية نراه يضبطها ثم يبين محلها وبعض صفاتها وما فيها من العيون والآبار وغيرها ، ومثال ذلك ما أورده عن منازل الحج بين مصر ومكة المكرمة ثم المدينة المنورة »[٧].

الجانب اللغوي :

يهتم ابن حجر في شرحه هذا بالجانب اللغوي والنحوي والبلاغي فلا

---

(١) ابن حجر ، المنح المكية ، ص ٢٧١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٦٤ – ٦٥.
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ – ٣٢٢ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٠٧ – ٣١٧ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٤٩ .

يترك كلمة تحتاج إلى شرح معناها إلا ويفسرها معتمداً على أشهر كتب اللغة كالقاموس المحيط [١] والصحاح للجوهري[٢] . كما نجده في أحيان كثيرة يتناول الكلمات والجمل بالإعراب كلما وجد لذلك حاجة مبيناً اختلاف أوجه الإعراب بناء على اختلاف آراء النحاة .

وقد يعتمد على بعض المصادر النحوية مثل كتاب جمع الجوامع في النحو للإمام السيوطي[٣] .

أما ما يرد في القصيدة من الأنواع البلاغية كالبديع والمحسنات اللفظية فإنّه يوضّحها مشيراً إلى قواعدها وأسمائها المصطلح عليها مشيراً أحياناً إلى أمهات كتب البلاغة مثل كتاب مفتاح العلوم للسكاكي[٤] .

---

(١) ابن حجر ، المنح المكية ، ص ٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ وغيرها .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ وغيرها .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٤ ، وانظر عن كتاب جمع الجوامع حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٥٩٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

٢ - أشـرف الوسـائل إلى فهم الشـمائل = شـرح الشمايل للتـرمـذي :

ذكره ابن حجر وأحال عليه في كتابه الفتاوى الفقهية [١:٢٦٤، ٤:١١٦] ؛ كما ذكره وأحال عليه في كتابه الفتح المبين بشرح الأربعين [ص١٢٠] ؛ وذكره أيضاً في كتابه الخيرات الحسان [ص ٢١] ؛ وفي كتابه الصواعق المحرقة [ص ١٧٧] [١] ، وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس [ورقة ٣٠ ب] .

و نسبه إليه بعض المترجمين له وهم :

تلميذه السيفي في نفائس الدرر [ورقة ٣ أ] ؛ وحاجي خليفة في كشف الظنون [ص ١٠٥٩ - ١٠٦٠] ؛ والكتاني في فهرس الفهارس [ص٣٣٩]؛ والبغدادي في هدية العارفين [١ : ١٤٦] ؛ والزركلي في الأعلام [١:٢٣٤].

وذكره السيفي بعنوان حاشية على الشمائل وذلك عند حديثه عن مؤلف في الإسراء لابن حجر فقال عنه : « مؤلف في الإسراء كالذيل على حاشيته على شمائل الترمذي »[٢] والواقع أن عنوان الكتاب هو شرح وليس حاشية فكل النصوص التي ذكر فيها ابن حجر كتابه سماه بشرح الشمائل لا حاشية على الشمائل .

قد جمع الترمذي من الأحاديث والآثار الصحيحة كل ما تعلق بأوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَلقية والخُلقية جسماً وسلوكاً مما يعتبر وصفاً دقيقاً لما كان عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وقد خَصّص

---

(١) طبعة ١٣٨٥هـ .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة ٥ أ .

أبوابه للأوصاف النبوية متناولاً :

خَلْق رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصف للونه وقامته وجمال وجهه وعينيه وشعره وشيبه وخاتم النبوة بين كتفيه .

وأوصاف هيئته في مشيته وترجله وجلسته واتكائه وخضابه وكُحْله وتعطُّره وخاتمه ولباسه وعَمامته وازاره وتقنّعه وخُفِّه ونعله وكلامه وضحكه ومزاحه ونومه وفراشه وحجامته ، كما وصف سلاحه من سيف ودرع ومِغفرة .

وما تعلق بطعامه وشرابه وعيشه وأكله وخبزه وإدامه وفاكهته وقدحه ووضوئه عند الطعام وبعده .

وما تعلق بخُلقه كتواضعه وحيائه ، وبعبادته كصلاته وصيامه وقراءته وبُكائه .

خاتماً كتابه بذكر الأحاديث الواردة في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سنة وفاته وميراثه ورؤيته في النوم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . كل ذلك في ٥٦ باباً .

وكتاب شرح الشمائل لابن حجر هذا ما زال مخطوطاً لم يُطبع ، وانما عرفت منه نسخاً كثيرة مخطوطة منتشرة في بلاد عديدة منها :

- أربع نسخ بالمكتبة الظاهرية بدمشق[١] .
- نسخة بمكتبة مانشستر إنجلترا رقم ١٣٢ .

---

(١) خالد الريان : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ٢ : ٦٣ ، ٦١٣ .

– نسختان بدار الكتب الناصرية بتمكروت بالمغرب رقم ٧٢٦ ، ورقم ٩٠٧ .

– نسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم ٨٩٨ جـ .

– نسخة مكتبة السعيدية بحيدرآباد بالهند رقم ٥١٧ .

– نسخة مكتبة برلين بألمانيا برقم ٩٦٣٦[١] .

وقد اطلعت على ثلاث نسخ أخرى غير المذكورة أعلاه :

١ – نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٨٠ تاريخ طلعت كُتبتْ سنة ١١٢٣ هـ نسخها السيد عبد الكريم ابن السيد محمد ، عدد ورقاتها ٢٧٩ ورقة عليها تملّكات منها تملّك باسم محمد الطاهر الكيالي الشهير بالطيار بتاريخ ١٢٢٨هـ .

٢ – نسخة مكتبة مكة رقم ٣٣ تاريخ . لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ – عدد أوراقها ٣٧١ .

٣ – نسخة مكتبة الأحقاف باليمن – رقم ٤١٣ مجموعة حسين بن سهل – كتبها حاج مصطفى بن ملا خالد بن ملا علي بن ملا مصطفى – كتبت سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م عددأوراقها ١٨٨ عليها تملّك باسم الشريف حسين ابن عبدالرحمن بن سهل .

وفي عصر المؤلف اهتم العلماء بشرح شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم للترمذي ، لذلك وجدنا معاصرين له ألّفوا في الموضوع منهم :

---

(١) د. الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٢٢٠ .

– الشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٩٠٢ هـ /١٤٩٦م له شرح على الشمائل النبوية للترمذي عنوانه « اقرب الوسائل في شرح الشمائل » . ذكره السخاوي في الضوء اللامع [٨ : ١٦] ؛ والكتاني في فهرس الفهارس [٢ : ٣٣٦] ، وذكر أنه كتب منه مجلدا ، أي لم يكمله ، وهو مفقود[١] .

– شيخ ابن حجر عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م صنف كتابًا سمّاه « زهر الخمائل على الشمائل »[٢] .

– الشيخ عصام الدين الإسفراييني ت ٩٤٣هـ/١٥٣٦م[٣] .

– الشيخ مصلح الدين اللاري ت ٩٧٩هـ/١٥٧١م له شرح بالعربية وآخر بالفارسية أَلّفه سنة ٩٤٩هـ/١٥٤٢م في نفس سنة تأليف ابن حجر لكتابه هذا[٤] .

ألّف ابن حجر كتابه هذا بمكة المكرمة في شهر رمضان سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م فقال عن ذلك في مقدمته « فهذه عجالة علّقْتُها على مشكل شمائل الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى ... الترمذي ... لَمَّا قُرِئَ عليّ في رمضان من سنة تسع وأربعين وتسعمائة ٩٤٩هـ /١٥٤٢م بالمسجد الحرام المكي ، وسمَّيْتُها أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل » وكان ابتداؤه فيه اليوم الثالث من رمضان وفراغه من تأليفه في ٢٨ رمضان من نفس السنة [٥]..

---

(١) انظر الشقاري : السخاوي مؤرخاً ص ١٧٩ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٠٦٠ .

(٣) حاجي خليفة : المرجع السابق ص ١٠٦٠ .

(٤) حاجي خليفة : المرجع السابق ص ١٠٦٠ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١٢ : ٢٩٣.

(٥) ورد ذلك التاريخ في ختام المخطوط لابن حجر نسخة اليمن .

أما عن محتوى الكتاب ومنهج ابن حجر فيه فيتضح لنا بصورة عامة من الدراسة التالية :

١ - سار ابن حجر في شرحه لكتاب الشمائل للترمذي على نفس تقسيم أبواب الترمذي فتضمن الكتاب ٥٦ بابا متتابعة بصفة منتظمة على نفس التَّسلْسل .

٢ - لم يكْتَفِ ابن حجر بشرح نص الكتاب كما أورده مؤلفه وإنما قام بإضافات كثيرة علمية تاريخية من السيرة النبوية من بينها :

أ - اضافته في أول الكتاب عند إيراده لباب ما جاء في خَلْق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعتبر أن الترمذي أغفل شيئاً هاماً مما يندرج تحت هذا العنوان قائلاً : « واعلم أن الكلام على خَلْقه صلى الله عليه وسلم يستدعي الكلام على ابتداء وجوده فاحتيج إلى ذكره وإن أغفله المصنف وملخّصه ... » [١] .

ثم استدل بالأحاديث الواردة في بداية خلق النبي صلى الله عليه وسلم من بينها قوله صلى الله عليه وسلم (كنت نَبِيّاً وآدم بين الماء والطين)[٢] وأحاديث أخرى في ذلك .

ثم انتقل إلى إيراد تلخيصٍ موجزٍ لتاريخ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاماته ووفاة والده ووالدته وجده وخروجه مع عمه للتجارة ثم تجارته مع خديجة - رضي الله عنها - وزواجه بها ، محدداً ذلك بالسنوات وبالأيام أحياناً[٣] .

---

(١) ابن حجر : شرح الشمائل ورقة ٢ أ - والنسخة التي تتبعتها في دراستي هي نسخة القاهرة .

(٢) الالباني : سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ : ٣١٦ .

(٣) ابن حجر : شرح الشمائل ٢ أ - ٤ ب .

ب - ومن إضافات ابن حجر على نص المتن أن الترمذي قد يذكر عبارة « وفي الحديث قصة » ولا يوردها فنجد ابن حجر يوردها وقد يعرض بعدها ما يتعلق بهذه القصة من المعاني . من ذلك عند إيراد الترمذي في باب ما جاء في إدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حديث « عن جابر بن عبدالله قال : أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال : (كأنهم علموا أنَّا نُحبّ اللّحم) ثم قال وفي الحديث قصة[١] ولم يوردها . فأوردها ابن حجر [ورقة ٩٠ أ] فإذا في القصة معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت في غزوة الخندق في وليمة لجابر .

بعد ذلك نجد ابن حجر يقدم عرضاً لأهم المعجزات بادئاً بقوله : «واعلم أن معظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وأشهرها وأهمها القرآن » ، واستغرق عرضه للمعجزات إلى ورقة [٩٧ ب] (٨ ورقات) .

ج - في باب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد الترمذي[٢] يقدم ١٤ حديثاً يذكرها مباشرة . أما شارحه ابن حجر فيقدم لهذا الباب بمقدمة طويلة تضمنت أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموت تقع في ٣ ورقات من رقة ٢٥٢ أ إلى ورقة ٢٥٤ ب حيث بدأ بنص الترمذي .

٣ - وقد يشرح ابن حجر نص المتن شرحاً تاريخياً وافياً وطويلاً . فمثال ذلك عندما يورد الترمذي نص الحديث « بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتوفاه الله تعالى على رأس ستين سنة » [٣] دون أن يشرحه ، يتولى ابن حجر التوسع في بيان

---

(١) الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨ - ٢٩ .

معانيه ذاكراً – بإيجاز – لأهم مراحل تاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في قرابة ١٢٠ سطراً من ورقة ٧ أ إلى ورقة ٩ أ .

٤ – إذا استدل الترمذي صاحب المتن على أمر بحديث من الأحاديث فإن الشارح ابن حجر كثيراً ما يورد أحاديث أخرى في نفس الموضوع تعضّد ما أورده الترمذي تكون أحياناً أحاديث في نفس المعنى وبألفاظ مختلفة وتكون أحياناً أخرى نفس الحديث بروايات مختلفة(١) .

٥ – إذا ما أورد صاحب المتن اسم شخص فإن الشارح كثيراً ما يعمدُ إلى التعريف بذلك الشخص في ترجمة تطول أو تقصر بحسب أهمية الشخصية(٢) .

– قد يخرج ابن حجر في شرحه هذا عن موضوع الكتاب وسياق كلامه فيأتي بمسائل لا علاقة لها بما كان يذكر لأنه رأى أن القاريء قد يحتاج إلى توضيح مسألة أو قواعد تُيَسِّر له فهم الكتاب .

ومن أمثلة ذلك أنه في ورقة ٤ ب – ٥ أ يشرح لفظ أخبرنا وهو أول كلمة وردت في نص الترمذي فيعرض على القاريء قواعد من مصطلح الحديث فيبين الفوارق بين الألفاظ المستعملة عند المحدثين وهي – أخبرنا وأنبأنا وحدثنا – .

– ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه عندما ذُكر محمد بن الحنفية في سند رواة حديث من الأحاديث ينتهز الفرصة ليوضح خطأ اعتقاد الرافضة فيقول :

---

(١) انظر مثلاً ورقة ١٨٤ ب .

(٢) ففي ورقة ٨ ب يترجم لأم المؤمنين السيدة صفية ، وفي ورقة ١٥٧ ب إلى ١٥٨ أ يترجم لأم المؤمنين السيدة ميمونة .

«ومحمد هو ابن الحنفية أَمَةٌ لعلي – رضي الله عنه – حصلت له من سَبْي بني حذيفة . قيل مِن سخافة عقول طائفة من الروافض أنهم يعتقدون في محمد هذا الألوهية مع أن أبا بكر هو المعطي عليّاً أُمَّه فلولا اعطاؤه له بحقّية كونه الإمام لكان إلههم دَعِيّاً »[1] .

٧ – التزم ابن حجر في أول مقدمة الكتاب أن يشرح الألفاظ المستعصية على فهم طُلاب العلم حيث قال : « هذه عجالة علقتها على مشكل شمائل الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي » . وفعلاً فإن شرحه لألفاظ النص لم يتناول ما كان منها واضح المعنى .

٨ – وفي شرح ابن حجر للمتن نجده في كثير من الأحيان يبدأ بضبط الكلمات التي تحتاج إلى شرح فيضبطها في بيان ما كان معجماً من حروفها وما كان مهملاً وضبط شكل الحروف من فتح أو ضم أو كسر أو سكون .

ويولي أهمية كبيرة لضبط أسماء الأعلام والأماكن .

٩ – كثيراً ما يورد إعراب الكلمات أو الجُمَل ليبيّن وظيفتها في الجملة مما يُعين على بيان المعنى .

١٠ – كثيراً ما يفسر معنى الكلمة ويشرحه شرحاً لغوياً على منهج

---

(١) ابن حجر : شرح الشمائل ورقة ١٢ أ – ١٢ ب .

كتب المعاجم – فإذا وردت الكلمة بالمفرد أورد جميعها لزيادة توضيحها – ثم يورد معناها الأساسي الموضوعة له في كلام المتن ، وأحياناً يورد المعاني المتعددة للكلمة الواحدة .

١١ – نظراً إلى أن هذا الكتاب كان شرحاً لكتاب حديثي فإن ابن حجر لم يهتم كثيراً بذكر مصادره التي اعتمدها في ذلك والتي إذا ذكرها يكتفي في أغلب الأحيان بذكر أسماء المؤلفين دون الإحالة على كُتُبهم ، وهي في أغلبها تشمل كتب الحديث الصحيحة المشهورة أو بعض التفاسير وكتب الفقه والعقيدة .

٣ – مؤلف في الإسراء كالذيل على حاشيته على شمائل الترمذي :

انفرد بنسبته لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر [ورقة ٥ أ]. ووضح السيفي أن هذا الذيل مفقود . ولم نعثر عليه .

تنبيـــــــه :

قبل أن أواصل حديثي عن آثار ابن حجر في السيرة النبوية واتناول بالدراسة كتبه الأربعة التي وضعها ابن حجر في ذكر تاريخ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (الموالد) رأيت لزاماً عليّ أن أضع تنبيهاً يوضح المشاكل التي تعترض الباحث في هذا الموضوع .

وتتنوع هذه المشاكل إلى منهجية وعقدية .

أما المشكل المنهجي فيتمثل في امكانية دراسة هذه الموالد ضمن الإنتاج التاريخي لابن حجر . فإن عنوان هذه الرسالة هو « ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية » . وجميع ما كتبه ابن حجر في الموالد يعتبر ضمن كتاباته في السيرة النبوية ، والسيرة النبوية أساس انطلقت منه الكتابة التاريخية عند علماء المسلمين . فهل يسوغ لي إهمال ذكرها ودراستها ؟ ومراعاة ما يغلب على أذهان الناس من أن الموالد بدعة لم ترد في كتاب ولا سنة ولا فعلها السلف الصالح .

وعدتُ إلى قراءة الموالد الأربعة التي كتبها ابن حجر مرة بعد مرة لأصل إلى القرار السليم النزيه . وبعد أن عاودتُ القراءة لم أجد في نصوص الموالد التي كتبها ابن حجر شيئاً يخالف في روايته للسيرة النبوية ما ورد في كتب الحديث الصحيحة ولا كتب السيرة المعتمدة ولا كتب التاريخ الاسلامية القويمة . فإذا أنا تركت وأهملت دراسة هذه الكتابة التاريخية تكون رسالتي هذه منقوصة في جانبها المنهجي غير موفية بالغرض منها وهو دراسة جهود ابن حجر في الكتابة التاريخية ، وجاز لكل من يناقش رسالتي هذه أن يعتبرها مبتورة منهجياً .

أما المشكل العقدي فيتمثل في إمكانية اعتباري محبّذة لبدعة الموالد وداعية لها ، وهو ما لا ترتضيه مسلمة سنية مثلي تؤمن بالله تعالى وتتأسى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد التقصّي والنظر تبين لي أن للفظ « المولد » معنيين لغويين ومعنيين اصطلاحيين .

فالمولد لغة هو وقت الولادة ومكانها .

وأما اصطلاحاً : فقد اصطلح أهل العلم بالتاريخ على أن المولد هو الكتاب الذي تجمع فيه أخبار ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفولته وشبابه ومن بين كتب السيرة النبوية كتب سيرة عامة تشمل كل مراحل حياة النبي المكرم وكتب تتناول مغازيه وكتب تتناول صفاته وأخلاقه (الشمائل) وكتب تتناول مولده وكتب تتناول وفاته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك .

كما اصطلح أهل الابتداع خلال القرون الأخيرة على جعل لفظ «المولد» دالاً على تلك المجالس البدعية التي يجتمع فيها العامة وغير الموفقين من أهل العلم المحدود ليقرؤوا فيها كتب الموالد ويحتفلوا فيها احتفالاً لم يرد فيه نص فيقوموا فيه بأعمال فيها ما لا يقبله عقل ولا يجيزه دين .

وبعد أن استبان لي الأمر أني - بتوفيق الله - لا أدرس ولا أتناول في رسالتي هذه المجالس البدعية ولا أدعو لها ولا أحبذها ولا أنشرها بين الناس، بل أذكرها بما تستحق من التشهير وعلى أهل الاختصاص في العقيدة أن يبينوا للناس خطرها وخطأها ومشاركتي في ذلك لا تعدو أن تكون مشاركة طالبة علم مختصة في التاريخ الإسلامي .

أما دراستي لكتب الموالد فلا علاقة لها بشأن مجالس الموالد المبتدعة وعليّ أن أتناول كتب الموالد التي ألفها ابن حجر وأتبين ما فيها من مادة تاريخية وأقارنها بما ورد في كتب الصحاح والسيرة وأقحمها ضمن انتاج ابن حجر في التاريخ فأبين أخطاءها - ان وُجِدَتْ - ومنهجها وخصائصها .

وهو ما يتلاءم مع المنهج العلمي في رسالتي ويحفظني من تهمة نشر بدع تلك المجالس التي لا علاقة لها بما أكتب ولا علاقة لها بما في نفسي من إيمان صحيح والحمد لله .

وهذا ما جعلني لا أرى بأسا بدراسة هذه الموالد الأربعة التي كتبها ابن حجر الهيتمي - أسأل الله التوفيق - .

٤ - ٥ - ٦ - ثلاثة موالد نبويــة :

اهتم ابن حجر بكتابة الموالد شأنه في ذلك شأن أبناء عصره فقد وضع ثلاثة موالد صغيرة لتقرأ كنص أدبي في بعض الإجتماعات . وقد ذكرها المؤرخ المكي على الطبري في كتابه الأرج المسكي[١] ، وذكرتْ هذه الموالد مجموعةٌ من مصادر ترجمة ابن حجر[٢] إلاّ أنها لم توضح لنا الفوارق بينها ، كما أنها خلَطَتْ بينها وبين كتابه النعمة الكبرى في المولد النبوي الذي لا يُعتبر مولداً بقدر ما نعتبره كتاب سيرة نبوية نهجَتْ المنهج العلمي في كتابة السيرة ، في حين أنّ الموالد تنهج دائماً المنهج الأدبي وأسلوبه .

فهذه الموالد الثلاثة تتشابه في موضوعاتها وتتفق في كثير من فَقَراتها ولا اختلاف بينها إلاّ في مقدماتها مع توسّع في بعض الموضوعات واختصار في موضوعات أخرى .

وقد وضعها المؤلف لتُقْرأ في مجلس واحد وليسهل حفظها كما ذكر ذلك في مقدمة واحدٍ منها فقال في آخر كتاب النعمة الكبرى « الخاتمة : في تلخيص ما سبق ليسهل حفظه وقراءته في مجلس واحد »[٣].

وهذه الموالد الثلاثة هي :

---

(١) علي الطبري : الأرج المسكي ص ٧٩ (تحقيق د . الطاسان) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ورقة ٥ ب ؛ الكتاني : فهرس الفهارس ص ٣٣٩ ؛ البغدادي : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ؛ إيضاح المكنون ٢ : ٦٦١ ؛ جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٣٥٣ .

(٣) ابن حجر : النعمة الكبرى ورقة ٥٤ ب - نسخة تطوان ، وهذه المجالس اعتبرها أهل السنة والجماعة من البدع ولم تردفي كتاب ولا سنة ولا فعلها السلف الصالح .

٤ - أولاً - مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

لم نعرف منه مخطوطة وإنما حصلْتُ على صورة مطبوعة قديمة طبعت بالشام على نفقة محمد هاشم الكتبي صاحب المكتبة العلمية بالشام في ٣٢ صفحة ولعله طبع طبعة ثانية ذكرها سركيس في معجم المطبوعات العربية والمعربة[١] وقال إنها طبعت بدمشق بالمطبعة الدومانية سنة ١٢٨٣هـ في ٢٤ صفحة بعنوان « تحفة الأخبار في مولد المختار » لم نتمكن من الإطلاع عليها .

أما المطبوعة الأولى فأولها « الحمد لله الذي شرّف هذا العالم بمولد سيد ولد آدم » وقد وردت فيه مقدمة في ٥ صفحات زيادة على المولديْن المواليين .

تضمنت هذه الصفحات الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته الواضحة الجامعة لما في كتب الله المنزلة ، وأمته أفضل الأمم . واستشهد على ذلك بالآيات القرآنية وبشرحها ، وأحال فيه في ص ٥ على كتابه النعمة الكبرى على العالم ثم قال : « لكن في ذلك الكتاب بسْطٌ لا يتمّ معه قراءتُهُ في مجلس واحد فاختصرته هنا بحذف أسانيده وغرائبه واختصرت منه على ما بسنده مُتَابِعٌ أو عاضِدٌ روما للتسهيل..»[٢].

ثم بدأه (ص ٦) بالآية الكريمة :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣].

---

(١) سركيس : معجم المطبوعات ص ٨٢ .

(٢) ابن حجر : مولد النبي صلى الله عليه وسلم ص ٦ .

(٣) القرآن الكريم : التوبة : ١٢٨ .

أما محتوى الكتاب فقد جاء كمايلي :

ص ٣٠ – ٣١ خروجه للتجارة إلى الشام مع عمه أبي طالب وعمره ١٢ سنة ، ثم خروجه للشام مع أبي بكر وعمره عشرون سنة ، ثم خروجه مرة أخرى للشام في تجارة خديجة وعمره خمس وعشرون سنة . وزواجه منها .

ص ٣٢ وضعه للحجر الأسود بالكعبة وعمره خمسٌ وثلاثون سنة . ثـم لما بلغ أربعين سنة أرسله الله رحمة للعالمين .

٥ - أما المولد الثاني :

فقد وضعه في خاتمة كتابه النعمة الكبرى على العالم ، اختلفتْ مقدمته عن المولد السابق ، فقد جعله خاتمة لكتابه النعمة الكبرى على العالم وقال في مقدمته : « الخاتمة : نسأل الله حسنها آمين ، في تلخيص ما سبق ليسهل حفظة وقراءته في مجلس واحد ، قال الله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... ﴾ [1] واختلف محتواه بعض الشيء عن محتوى المولد السابق فحذف فيه تلك المقدمة السابقة في المولد المذكور سابقاً ، كما حذف ما جاء بعد الآية الكريمة من ذكر سيادة الرسول على الخلق ومعجزاته . ثم أورد في [ورقة ٥٤ ب] نسبه صلى الله عليه وسلم بصورة مختصرة عن كتابه السابق . أما باقي محتوى الكتاب فكان تقريباً بنفس نص المولد السابق عدا إضافة بعض الكلمات القليلة .

عرفنا منه نسختين :

الأولى : في المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن رقم ٦٣ سيرة/١٥٩٠

---

(١) القرآن : التوبة الآية ١٢٨ . وانظر : ابن حجر : خاتمة النعمة الكبرى ورقة ٥٤ ب . نسخة المغرب .

تقع في ١٠ ورقات وهي نسخة قديمة كُتبتْ سنة ١١٦٩ هـ بخط محمد بن محمد بن إبراهيم كرم الواعظ العُمري .

والثانية : نسخة بالمكتبة العامة بتطوان برقم ٤٥٦ ع تقع في ١٠ ورقات نسخها حسن رجب السقا خطيب الجامع الأزهر سنة ١٣٠١هـ .

٦ - أما المولد الثالث :

فقد وجدت منه نسخة في المكتبة العامة بتطوان رقم ٢٢/٣٤٤ . نسخت سنة ١٣٠١ هـ بخط حسن رجب السقا خطيب الأزهر . وقد وضع عليه هوامش كثيرة شرحاً لهذا المولد .

ونسخة بدار الكتب المصرية رقم ٣/٢٢١ يقع في ١٠ ورقات .

وهذا المولد يختلف عن سابقه في المقدمة حيث أن أوله « الحمد لله الذي بعث فينا رسوله الأعظم ، ونبيّه الأكمل الأفخم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .. » .

أما محتوى هذا الكتاب فهو يشتمل على نفس متن كتابيه السابقين مع بعض الاختلافات من زيادة أو نقصان بعض النصوص والعبارات أو الفقرات ، فقد بدأه أيضاً بقوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... ﴾ [(١)].

ويبدو أن هذه الموالد التي ألفها ابن حجر انتشرت بين الناس واشتهرت حتى أنّ الكثير من المؤلفين وضعوا لها شروحاً عديدةً وحواشي أحْصَيْنا بعضها فكان منها :

---

(١) القرآن : التوبة ، الآية ١٢٨ .

١ - تحفة البشر ، على مولد ابن حجر للباجوري ، منه نسخة بدار الكتب المصرية رقم ٢٧٤٧ عروسي - ٤٢٧٠٣ أزهرية تقع في ٥٥ ورقة .

٢ - بهجة الفكر ، على مولد ابن حجر ، وهي حاشية الجَمَل على المولد النبوي . طبع بطنطا سنة ١٣٢٢هـ يقع في ١٦٤ صفحة .

٣ - اقتناص الشوارد ، من موارد الموالد ، في شرح مولد الهيتمي . تأليف محمد بن محمد المنصوري الشهير بالخياط . فرغ منها في سنة ١١٦٦هـ(١) .

٤ - حاشية حجازي بن عبد المطلب العدوي المالكي (ت سنة ١٢٣٢هـ) على المولد النبوي لابن حجر(٢) . منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ١-٤٥ مجموع .

٥ - حاشية الدمليجي على المولد النبوي لابن حجر - منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٢١٥-٢٢٠، ٢٤٨٩ صعايدة / ٣٩٩٢١ صعايدة).

٦ - حاشية على مولد ابن حجر الهيتمي : تأليف يوسف بن عبدالرحمن السنبلاويني الشرقاوي المكي ت ١٢٨٥هـ(٣) .

٧ - حاشية عبادة العدوي على المولد النبوي . منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٧٧ زكي ٤١٢٨٠ أزهرية .

٨ - نثر الدر ، على مولد ابن حجر - لأحمد بن عبدالغني بن عمر ،

---

(١) البغدادي : إيضاح المكنون ١ : ١١١ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١١ : ٣٠٣ .

(٢) انظر ترجمته ، كحالة : معجم المؤلفين ٣ : ١٨٩ .

(٣) انظر ترجمته ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ٥٢٠ .

الشهير بابن عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩ م) . وهو شرح لقصة المولد المسماة : « مختصر النعمة الكبرى على العالم »[١] .

٩ - تقرير الشيخ أحمد البيلي على المولد النبوي لابن حجر منه نسخة بدار الكتب المصرية رقم (١ ، ١٥ ، ٢٥٦٥٨ أزهرية) تقع في ١٢ ورقة .

١٠ - حواشٍ وضعها حسن رجب السقا خطيب الأزهر على هامش النسخة السابقة الذكر والتي حُفظت بالمكتبة العامة بتطوان رقم ٢٢/٣٤٤ .

---

(١) خالد الريان : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ٢ : ٥٣١ .

وقد عثرنا خلال مطالعاتنا على كتاب مطبوع وُضِع له عنوان « النعمة الكبرى على العالم » ونُسب لابن حجر الهيتمي طبع بمطبعة الإستقامة بمصر سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م . يقع في ٧١ صفحة ، وبعد الإطلاع عليه وجدنا :

أولاً : أنه لا يتفق أبداً مع كتاب النعمة الكبرى على العالم لابن حجر الذي ندرسه لاحقاً .

ثانياً : أنّ الكتاب لا يمكن أن يكون لابن حجر مترجمنا لأنه يشتمل على كثير من الإختلاقات والأكاذيب التي لا يمكن أن يكون قد كتبها ابن حجر نفسه ، من أمثلة ذلك ما ورد في الكتاب ص ٧ وهو من الكذب الصراح : « قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من أنفق درهماً على قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان رفيقي في الجنة » . ومن ذلك أمثلة كثيرة .

كما أنه اشتمل على أشعار ركيكة ضعيفة المبنى والمعنى ، لا يمكن أن يكون قد ألفها ابن حجر كما لا يمكن أن ينقلها مثل ما ذكر في الكتاب ص ٢٠ :

« يا ذا المكيا يا ذا المكيا مديح محمد عزيز عليا »

وإنما طُبِع هذا الكتاب لنشره بين العامة بناءً على شهرة موالد ابن حجر المكي .

وإن ما في هذا الكتاب من الكذب والخرافات ما يجعل المسلم يبرأ بدينه من قراءته وسماعِه .

٧ - النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيد بني آدم

= إتمام النعمة على العالم = المقاليد في المواليد :

ذكر ابن حجر كتابه هذا بالعنوان الأول في كتابه المولد[١] قائلاً : «كما جمعتُ ذلك في كتاب سميتُـه النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم » . كما نسبه له بهذا العنوان أيضاً تلميذه السيفي في نفائس الدرر[٢] .

أما العنوان الثاني وهو إتمام النعمة على العالم فقد وجدناه على مخطوطة الهند التي نذكرها فيما بعد .

والعنوان الثالث وهو المقاليد في المواليد وجدناه على مخطوطة القاهرة، ولعل العنوانين التاليين من اختيار الناسخين .

نُسَخ المخطوط :

حصلنا منه على ثلاث نسخ :

النسخة الأولى : بعنوان « النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم ويسمى القول السوي في أصل عمل المولد النبوي » . محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى رقم ٤٥٦ ع . وهي نسخة حديثة تقع في ٦١ ورقة ، اسم الناسخ حسن رجب السقا خطيب الأزهر - نسخها في ١٢ محرم سنة ١٣٠١هـ ، وذكر أنه نقلها من نسخة في غاية الإتقان تَمَّتْ في سنة ١٢٠١هـ . واشتمل الكتاب على خاتمة [٥٤ ب - ٦١ أ] لخّص فيها كتاب النعمة الكبرى ليسهل حفظه وقراءته في مجلس واحد كما قال[٣] .

---

(١) طبعة الشام ص ٥ .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ورقة ٥ ب .

(٣) حصلت على هذا المخطوط بتكرم وعناية من الاستاذ الدكتور حسن الوركلي ، شكر الله سعيه .

النسخة الثانية : بعنوان « إتمام النعمة على العالم » . محفوظة بالمكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن بالهند برقم ٦٣ سيرة /١٥٩٠ . تقع في ٣٦ ورقة – نسخها محمد بن محمد بن إبراهيم كرم الواعظ العمري سنة ١١٦٩هـ عليها بعض التملّكات غير مؤرخة . وكذلك اشتمل المخطوط على خاتمة [٣١ ب – ٣٦ ب] فيها تلخيص الكتاب .

النسخة الثالثة : بعنوان « كتاب المقاليد في المواليد » محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤١ الزكية . عليها تملّكات أقدمها بتاريخ ١١٧١هـ باسم يوسف الجمالي وتملّكات أخرى دون تاريخ أحدث منها كثيراً ، نظراً لنوع خطها . تقع في ٤٦ ورقة ، لم يُذكر ناسخها ولا تاريخ النسخ ، ولم تشتمل على الخاتمة التي فيها التلخيص .

تاريخ التأليف :

ذكر ابن حجر في نهاية كتابه النعمة الكبرى وقبل الخاتمة التي اعتبرها كتاباً ثانياً فقال : « نجز يوم الأحد ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وتسعمائة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) » [١].

محتوى الكتاب :

وفيما يلي نقدم عرضاً لمحتوى الكتاب اعتماداً على نسخة المغرب التي وصفناها سابقاً .

ورقة [١ ب] أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه العون ، الحمد لله أتم الحمد وأكمله ، وأشكره أفضل الشكر وأشمله ، إذ بعث فينا رسوله الأعظم ، ونبيّه الأكمل الأفخم ... »

---

(١) ابن حجر : النعمة الكبرى ، ورقة ٥٤ أ .

ورقة [٢ أ] – الباب الأول : في المقدمات . وفيها فصول ثلاثة :

[٢ أ] – الفصل الأول : في أصل عمل المولد .

[٥ أ] – الفصل الثاني : في قبائح صدرت من الناس مقترنة بعمل المولد ، لا سيما بمكة المشرفة .

[٧ ب] –الفصل الثالث :في ذكراختلاف العلماء في تفضيل ليلة المولد .

[٩ أ] – الباب الثاني في المقاصد : وفيه سبعة فصول :

[٩ أ] – الفصل الأول: في ذكر نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم.

[١٠ أ] – الفصل الثاني : في ذكر نُبَذٍ من أصل خلقه صلى الله عليه وسلم .

[١٩ أ] – الفصل الثالث : في ذكر شيء من شرف هذا النسب الشريف .

[٢٠ب] – الفصل الرابع : في تزوج عبدالله بآمنة .

[٢٢ أ] – الفصل الخامس : في حمله صلى الله عليه وسلم .

[٢٤ أ] – الفصل السادس : في ولادته صلى الله عليه وسلم .

[٣٦ أ] – الفصل السابع : في رضاعه صلى الله عليه وسلم .

[٤٣ أ] – تنبيهات :١–شق الصدر .

[٤٥ أ] – ٢–خاتم النبوة .

[٤٦ب] – ٣–اختلاف الناس في أبويه صلى الله عليه وسلم .

يتبين لنا من خلال عرض محتوى الكتاب أنه يتكون من بابين :

تناول في الباب الأول وفي الفصل الأول منه قضايا عقدية فبيّن حكم عمل المولد وأنه بدعة لم يؤثر على أحد من القرون الأولى أنه فعلها . وهو حكم نوافقه عليه إلا أن الذي لا نوافقه عليه أنه بدعة حسنة لما اشتمل عليه – حسب قوله – من الإحسان للفقراء وقراءة القرآن والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار السرور والفرح به ، والبدعة فيه مخالفته للسنة وأعمال السلف من الصالحين فإن الإحسان للفقراء وقراءة القرآن والذكر والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون خاصة بيوم معين ولا بمجلس معين .

ثم ذكر ابن حجر أن أهل مصر والشام وأهل الأندلس والهند يحتفلون بالمولد ويصرفون في ذلك أموالاً طائلة ، وأن أهل مكة يبالغون في الاحتفال به . وتطرق إلى ذكر العلماء الذين يجيزون هذه البدعة ويعتبرونها حسنة .

ثم نقد ابن حجر الجماعة الذين يعقدون مجالس الموالد في أي يوم كان من السنة ، فهو بذلك يجيز الاحتفال بالمولد في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ولا يجيزه في غيره من أيام السنة – وهو أيضاً ما نتفق معه في عدم جواز عمل المولد في كل أيام السنة ونخالفه في إجازته الاحتفال به في اليوم المعين .

وفي الفصل الثاني من الباب الأول : انتقد ابن حجر القبائح التي تصدر من الناس مقترنة بعمل المولد لا سيما بمكة المكرمة ، منها :

ورقة [٥ أ] – « اختلاط النساء بالرجال في المسجد الحرام » .

[٥ أ] – « خروجهم إلى زيارة محل المولد المشهور على أقبح هيئة وأشنع رؤية ويسمون ذلك زفة المولد » .

[٥ أ] – « النساء يتزيّن بأحسن حليهن وحللهن ويتطيبن بأطيب طيبهن

ثم يخرجن مختلطات بالرجال اختلاطاً فاحشاً » .

[٥ أ - ب] - أنه « يقع في تلك الليلة من المفاسد والقبائح ما تصم عنه الآذان » .

[٥ ب] - « ومن القبائح أيضاً ... أنهم يخرجون والقمر في قوة سلطانه بالسُّرُج الكثيرة الشموع على اختلاف أنواعها ثم يأتون فتنصب تلك الشموع وغيرها في المسجد الحرام على صفات أكثر وأظهر مما كانت عليه في حال مشيهم وهذا قبيح أي قبح » .

[٥ب - ٦أ] - « إن بعض المتَّسمين - من المكيين - بصورة الفقهاء يصطفون في الذهاب والعود في تلك الزفة صفوفاً مختلفة صفاً من الرجال وصفاً من الشموع والناس مصطفون بجنبتي الطريق مزدحمون على التفرج عليهم فيتمهلون غاية التمهل والتأني في مشيهم ويتبختر بعضهم تبختراً يغلب تبختر النساء - أعاذ الله بلده وحرمه من أفعال هؤلاء وقبائحهم » .

[٦ أ] - « اشتهر وتواتر عن النساء قبائح تصدر منهن حتى في المسجد الحرام » .

[٦ أ] - بلغ المؤلفَ وقوعُ بعض مقدمات الزنا بهن في المطاف وعند تقبيل الحجر الأسود .

[٦ أ] - أورد حكاية أحد طلبته تغريه امرأة سوء عند تقبيل الحجر الأسود وتتبعه فتأخذه إلى بيتها ولكن الله يسلمه من الزنا .

[٦ أ-ب] - حكاية طالب آخر وقع في المعصية فابتلاه الله بالجنون والاختلاط .

[٦ ب] - « أكثر الناس في عمل المولد لا يمنعون النساء من إشرافهن

على الرجال ونظرهن اليهم وذلك قبيح ... والواقع من النساء في المواليد كثيراً ما يترتب عليه الشهوة والفتنة » .

[٧ أ] – « في تلك المواليد يأتون بمن يقرأ لهم المولد الشريف على الكيفية التي ألفها الوُعَّاظ في هذه الأزمنة وذلك منكر أي منكر لأن أكثره كذب وبهتان واختلاق . بل لم يزالوا يولدون فيه ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه ، بل يجب على العلماء وكل من علم ذلك وقدر عليه الإنكار عليهم وتركهم للباطل منه ، أو مفارقة المجلس والقيام عنه » .

[٧ أ] – « فإن كان ولا بد من الإظهار ، فليكن مصوناً من غوائل الرياء وقبائح البدع ليُسْلك في مسلك المطهرين من الأخيار » .

ويروي ابن حجر محاربة الأخيار لهذه البدع التي تقام في زفة المولد فيقول :

ورقة [٥ ب] – « ثم لما تنبّه بعض الموفّقين من القضاة إلى ذلك منعهن [النساء] من الخروج فغلبنه المرة بعد المرة فمنع الناس من الخروج والمشي إلى الموالد بالكلية ، فحمد الصالحون فعله وشهدوا بذلك عدله وفضله ، ثم أُعيد ذلك ثم منعوا وهكذا »[١] .

ويقول في ورقة [٦ أ] – « إن كثيراً من العلماء الأربعة بمكة المشرفة قاموا أشد قيام وانتصروا اشد الانتصار في منع النساء من الخروج من بيوتهن إلى المسجد الحرام بالكلية ... فعارضهم آخرون حتى كثرت الفتاوى وألف بعض كل من الفريقين في الرد على الآخر ، وأنهى كل من الفريقين أسئلة

---

(١) كأنما يفهم من موقفه هذا أنه يعارض خروج النساء ومشاركتهن في مجالس عمل المولد ويجيزه للرجال ، وهذا غير جائز .

إلى علماء مصر بحسب غرضهم فأجابوا عن كل سؤال بما يناسبه فوقع بينهم من المراسلات والخطأ والسبّ ما كان سبباً لإغراء الفسقة ومَن في قلبه زيغ وهوى إلى نصرة الباطل وابقاء تلك القبائح كما كانت فزادت وطمت وانتشرت وعمت » .

غرض ابن حجر من التآليف :

تحدث ابن حجر في خاتمة هذا الكتاب – التي جعلها كتابا منفصلاً – عن غرضه من الكتابة في المولد وهو قسم من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخه فقال ما نصه : « ولو لم يكن من ذلك إلاّ ما ظهر عند حَمله [صلى الله عليه وسلم] وقُبَيْلَهُ ووقت ولادته وفي أيام رضاعه وتربيته لكفى ، كما جمعتُ ذلك في كتاب سميته النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيّد بني آدم »[1] .

كما وضح ابن حجر غايته من التأليف في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخه ليقاوم البدع التي تحدث في مجتمعه من قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم مولده بكثير من القصص الخيالية والروايات الموضوعة . وينادي ابن حجر أولي الأمر لِمقاومة ذلك ومنعه وضرورة محاربة هؤلاء الناس الذين يسيؤون لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وعن ذلك قال ابن حجر في مقدمة كتابه هذا النعمة الكبرى على العالم : « أما بعد : فإنه لما كان ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وتسعمائة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) خطر لي أن أكتب ورقات في بيان أصل المولد النبوي في هذا الشهر ، ثم أذكر ما له ذِكْر في كتب الحفاظ المحدثين مما سلِم من وضع الواضعين وافتراء الكاذبين ... دعاني إلى ذلك اختلاف الناس في أصل عمل المولد وهل هو بدعة أو لا ، وإكثار القُصّاصِ والوعاظ من

---

(١) ابن حجر : المولد ، ص ٥ ، طبعة الشام .

ذكر أخبار موضوعة ، وحكايات وأشعار مصنوعة ، غير مُستحيين من الله ورسوله في الكذب عليهما عمداً تارة وجهْلاً أخرى ، ومِن ثَم قال الأئمة : يجب على كل عارف الإنكار عليهم باليد فاللسان فالقلب ، خشية من العطب والسلب ، لأنهم ضلوا عن الهدى ، وزلوا عن الحق وأزالوا ، فضراعة إليك اللهم في هِدَايَتهم للصواب وأن تُلْهِم مِن صُلحاء أولي الأمر مَن يكفُّهم عما يذكرونه على رؤوس الأشهاد من قبائح الكذب الذي بلغوا فيه العجب العجاب ، إنك أكرم مسؤول ، وخير مرجو ومأمول » .

أما الباب الثاني من الكتاب فقد جعل ابن حجر جميع فصوله السبعة متخصصة في ذكر أخبار مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستعرضاً فيه أصل خلقه صلى الله عليه وسلم ونسبه وشرف هذا النسب ثم زواج والديه وحمل أمه به وولادته ورضاعه وشق صدره وخاتم نبوته ، خاتماً ذلك بعرض اختلاف الناس في حكم أبويه .

منهج ابن حجر :

أما عن منهج ابن حجر في كتابه هذا فقد قال في الخاتمة :

« كما جمعتُ ذلك [حمله وولادته ورضاعه وتربيته صلى الله عليه وسلم] في كتاب سميته « النعمة الكبرى على العالم بمولد سيّد بني آدم » بأسانيده التي نقلها أئمة السنن والحديث الموصوفون بالحفظ والإتقان والجلالة والبرهان في القديم والحديث مما هو سالم من وضع الوضاعين وانتحال الملحدين والمفترين لا كأكثر الموالد التي بأيدي الناس فإن فيها كثيراً من الكذب المختلق الموضوع »[1] .

---

(١) ابن حجر : المولد ص ٥ – ٦ ، طبعة الشام .

وبعد أن تتبعتُ ما ورد في الكتاب من أخبار تاريخية متعلقة بالسيرة النبوية لم أجده إلا صادقاً في ما ذكره عن نفسه من أنه يسند أخباره عن «أئمة السنن والحديث الموصوفين بالحفظ والإتقان والجلالة والبرهان في القديم والحديث ، مما هو سالم من وضع الوضاعين وانتحال الملحدين والمفترين »[١].

ويتبين لنا ذلك واضحاً في العرض المفصّل الذي نعرض فيه مصادره التي اعتمدها في كتابه هذا .

مصادره :

نظراً لأهمية معرفة مصادر ابن حجر في كتابه هذا فإني أعرض بتفصيل أسماء مؤلفيها مع الإحالة على ورقات المخطوط[٢] حتى يتسنى للباحث الحكم على مدى عناية المؤلف بالاعتماد على النصوص الصحيحة في تأليفه لمولده هذا الذي عنوانه « النعمة الكبرى على العالم » .

فمن مؤلفي كتب الحديث :

- البخاري ورقة [١٩ أ] .
- شرح البخاري لقطب الدين القسطلاني [٣٤ ب] .
- شرح البخاري لابن حجر العسقلاني [٤٠ أ] .
- مسلم [١٠ ب ، ٢٥ ب] .
- شرح مسلم للنووي [٤٦ أ ، ٥١ أ] .
- شرح مسلم للأُبّي [٥٢ أ] .
- الإمام أحمد بن حنبل [١٩ ب ، ٣٥ أ] .

---

(١) ابن حجر : المولد ص ٥ - ٦ .

(٢) وقد يتكرر ذكر نفس الكتاب مرات أخرى فلا نذكره وإنما نكتفي بأمثلة منه .

- مرويات ابنه عبدالله بن أحمد بن حنبل [٤٤ ب] .
- صحيح الترمذي [١٩ أ ، ٣٢ ب] .
- مسند الدارمي [٤٤ أ] .
- الحاكم في المستدرك [١٤ ب ، ١٩ ب] .
- مسند عبد الرزاق [١٢ ب] .
- صحيح ابن حبان [٢٣ ب ، ٢٤ أ] .
- مسند الفردوس [١٠ أ] .
- مرويات البغـوي [٣٠ ب] .
- البيهقي [١٩ ب ، ٢١ ب ، ٢٩ أ] .
- النيسابوري (أبو سعيد) [١٧ ب ، ٢٦ ب] .
- الذهبي [٣٢ ب ، ٣٣ ب] .
- أبو يعلى [٤٣ أ] .
- الخرائطـي [٢١ أ] .
- أبو علي بن السّـكن [٢٩ أ ، ٣٠ ب] .
- الصابوني [٤٠ أ] .
- الحسن بن سفيان [٤٤ أ] .
- بالإضافة إلى إحالات كثيرة إلى كتب أبي نعيم والطبراني .

وهي كتب مشهورة في الحديث عرفت عند أهل السنة بالصحة والثبات وإذا صادفه منها حديث مرسل أشار إلى ذلك ووصفه بالإرسال مثلما ورد في

ورقة [٢٩ ب و ٣٠ أ] . وإذا كان الحديث مرسلاً ضعيفاً ذكره بذلك ، مثال ورقة [٢٤ أ] .

ومن مؤلفي كتب السيرة والتاريخ :

- ابن اسحاق ورقة [١٥ أ ، ٢٣ أ] .
- الزبير بن بكار [٢٢ ب] .
- ابن سعد [٢٥ أ ، ٣٠ ب ، ٤٠ ب] .
- ابن الجوزي [٣١ أ ، ٣٤ أ] .
- ابن القيم [٣٢ ب] .
- ابن ناصر الدين [٤٨ أ] .
- ابن كثير [٤٨ أ] .
- الواقدي [٢٣ ب ، ٤٥ أ] .
- الخطيب البغدادي [٢٢ أ ، ٢٨ أ] .
- ابن عساكر [١٤ أ ، ٢٠ أ] .
- ابن عبد البر [٢١ ب ، ٣٣ ب] .
- السهيلي [١٠ أ ، ٤٦ أ ، ٤٨ أ] .
- الكلاعي [٣٣ أ] .
- ابن حجر العسقلاني [٤٢ أ] .
- السخاوي [٣ أ] .
- ابن خلكان [٣ ب] .

بالإضافة إلى العديد من كتب التفسير والفقه واللغة والعقيدة .

منهج ابن حجر في كتابة السيرة النبوية :

اهتم ابن حجر بالتأليف في موضوعات مختلفة متعلقة بالسيرة النبوية الشريفة . فقد ألف سبعة كتب فيها شرحان وخمسة مؤلفات . أما الشرحان فقد وضعهما لمؤلفين مختلفين أوّلهما شرح به قصيدة وضعت في المدح النبوي ولكن الشاعر البوصيري تناول فيها العديد من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تغلب عليها موضوعات السيرة وصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله مع مدحه . وثانيهما شرح لكتاب الشمائل النبوية تأليف الترمذي .

والمؤلفات الخمسة هي : تأليف في الإسراء لم نعثر عليه ، وأربعة موالد ثلاثة منها صغيرة وواحد كبير عنوانه النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم .

فقد كتب ابن حجر شرحاً لقصيدة الهمزية للبوصيري في المدح النبوي واعتمد في هذا الشرح ايراد أخبار السيرة النبوية في العهدين المكي والمدني منتقياً من النصوص أصحها وأدقها شارحا بها ما يرد موجزاً في نص الهمزية .

كما تعرض لذكر أخبار التاريخ القديم المشهورة كقصة ابنيْ آدم وقصة يوسف وقصة أبرهة والكعبة وغيرها . وقدم في شرحه تراجم لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في القصيدة وتعريفاً ببعض الأماكن والمواقع الجغرافية بضبط أسمائها وأماكنها .

كما وضع ابن حجر شرحاً لكتاب الشمائل للترمذي الذي جمع فيه الترمذي الأحاديث والآثار الصحيحة التي تتعلق بأوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَلقية والخُلقية جسماً وسلوكاً ، فنجد ابن حجر يسير في

شرحه على نفس تقسيم أبواب الترمذي مع إضافة معلومات وقصص تاريخية من السيرة النبوية يكون قد أغفلها الترمذي ، كما يضيف أحاديث صحيحة لم يوردها الترمذي وفي كثير من الأحيان . ويقدم شرحاً لمتن الحديث وافياً وطويلاً يضبط فيه الكلمات ويوضح ما فيها من إعجام في بعض حروفها ، مع تقديمه ضبطاً لأسماء الأعلام والأماكن ، معتمداً في كل ذلك على كتب الحديث الصحيحة وبعض كتب التفسير والفقه والعقيدة .

كما اهتم ابن حجر بوضع مؤلفات في السيرة النبوية سماها الموالد وهي أربعة مؤلفات أكبرها كتاب النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم ثم ثلاث مختصرات لهذا الكتاب عرض فيها ابن حجر نسبه صلى الله عليه وسلم والأحداث في العالم قبله وزواج والده عبدالله من أمه آمنة ثم ولادته ورضاعته وما رافقها من حادثة شق الصدر وما يتعلق بخاتم النبوة ثم وفاة أمه وجده عبد المطلب ثم خروجه للتجارة إلى الشام أولاً مع عمه أبي طالب ثم مع أبي بكر ثم خروجه بتجارة خديجة وزواجه منها . كل هذه الأحداث في اطار الرواية التاريخية الدقيقة البعيدة عن الزيادات الخيالية والروايات الباطلة التي كان يقرؤها ويتغنى بها العامة من أهل الابتداع في هذه المجالس التي يسمونها الموالد ، محارباً لجميع البدع التي تحصل في هذه المجالس مما ينكرها الدين الإسلامي ويتبرأ منها .

أما الروايات التاريخية التي يعرضها ابن حجر في مؤلفاته وشروحه في السيرة النبوية فإنها تخلو من الأخبار الكاذبة والآثار الموضوعة حيث يعتمد مصادر حديثية وكتبا في السيرة والتاريخ جديرة بالثقة في الرواية ، معروفة عند عامة المسلمين بالصحة والتوثيق .

الفصل الرابع
تآليفه في التاريخ الإسلامي

- توضيح حول كتاب منتهى الاعلام المنسوب لابن حجر خطأ .

١ - كتاب في بيان أحقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب .

٢ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزندقة .

٣ - ذيل الصواعق المحرقة .

٤ - إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذٍ من أخبار تاريخ الخلفاء .

٥ - تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية ابن أبي سفيان .

٦ - مبلغ الأرب في فخر العرب .

٧ - المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة .

- **توضيح حول كتاب منتهى الإعلام المنسوب لابن حجر خطأً :**

عندما كنتُ بصدد وضع خطة البحث لهذه الرسالة علمتُ بوجود كتاب عنوانه « منتهى الاعلام بوفيات الصحابة وملوك الإسلام » نُسِب لابن حجر ، وصفه وذكره الدكتور محمد عبدالله عنان في فهرس مخطوطات الخزانة الملكية الحسنية بالرباط[ص٣٠٤-٣٠٥]. وهو كتاب كبير في التاريخ الإسلامي العام .

فاعتمدت عنوان الكتاب واسم ابن حجر المكي عليه وجعلتُهُ من بين مؤلفاته التي عليّ أن أدرسها ، وخصصت له فصلاً في رسالتي .

ثم بذلت الجهد للحصول على مخطوطة الكتاب وبإعانة من الله وتفضّل من سعادة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي – شكر الله سعيه – وصلتني صورة كاملة من المخطوط ، وذهبتُ شوطاً كبيراً في دراستها والتعرف عليها . وكانت مفاجأتي كبيرة عندما تبيّن لي أن هذا الكتاب ليس من تأليف ابن حجر ولا يمكن أن يكون من تأليفه ، وإنما الخطأ من أحد قُرَّاء المخطوط الذي كَتَب بخطه المغربي على الهامش الأيسر من الورقة الأولى ما نصه : « تاريخ ابن حجر الهيتمي – رحمه الله – المسمى بمنتهى الإعلام ، بوفيات الصحابة وملوك الإسلام » وهو خط مغاير تماماً لخط ناسخي الكتاب اللَّذيْن كان خطهما مشرقياً .

ولا يفوتني هنا أن أغتنم الفرصة للتعريف بمخطوطة كتاب « منتهى الاعلام » وذكر محتواها وبيان الأسباب الداعية إلى تيقُّني مِن أنّ هذا الكتاب ليس من تأليف ابن حجر الهيتمي وإنما نُسِب إليه غلطاً .

وصف المخطوط :

المخطوطة محفوظة بالمكتبة الحسنية الملكية (بالديوان الملكي) بالرباط (المغرب) برقم ١٥٠٧ (تاريخ) . تقع في ٢٥٣ ورقة . تاريخ نسخها سنة ٩٩٣ هـ . نسخها ناسخان ذُكِر اسماهما في نهاية المخطوط بما نصه : « بقلميْ الفقيرين السيد علي ودرويش جلبي عفا الله عنهما وعن والديْهما » . خطهما مشرقي مختلف مع تمام الوضوح .

وعنوان الكتاب وضع بالهامش الأيسر من الورقة الأولى بخط مغربي هو أحدث من المخطوط يعود إلى زمن غير بعيد .

والمخطوط منقوص الأول سقطت منه كراسات كثيرة حيث بدأ في أول ورقة منه بأخبار دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يدل على أن الضائع من النسخة أغلب ما يهم السيرة النبوية وهي ١٣ باباً وقسم كبير من

الباب الرابع عشر .

محتوى الكتاب :

وبعد مطالعة كامل الكتاب أصبحتُ على يقين تام بأن كتاب منتهى

الاعلام هذا ليس من تأليف ابن حجر الهيتمي وذلك للأسباب التالية :

وردت في صُلب الكتاب أخبار حوادث وقعتْ بعد وفاة ابن حجر وهي في الورقات التالية :

[٢٠٤ ب] خبر حوادث في اليمن مؤرخة بسنة ٩٧٦هـ/١٥٦٨م وسنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م :

[٢٤٢ أ]:يذكرالسلطان سليمان خان بقوله:المرحوم . وقد توفي هذا السلطان سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م سنة وفاة ابن حجر .

[٢٤٥ أ]:يذكر حوادث بتاريخ سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م وسنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م .

[٢٤٥ أ]: يذكر حوادث بتاريخ ٩٨٢هـ/١٥٧٤م .

[٢٥٠ب]: يذكر حوادث بتاريخ ٩٧٧هـ/١٥٦٩م .

[٢٥١ أ]: يذكر حوادث بتاريخ ٩٨٠هـ/١٥٧٢م .

[٢٥٢ أ]: يذكر حوادث بتاريخ ٩٨٥هـ/١٥٧٧م .

[٢٥٢ب]: يذكر حوادث بتاريخ ٩٨٦هـ/١٥٧٨م .

[٢٥٣ب]: يذكر حوادث بتاريخ ٩٩٠هـ/١٥٨٢م .

ب - يذكر مؤلف هذا الكتاب المعز لدين الله الفاطمي [في ورقة ٢١٣ب] فيصفه بالخليفة وهذا ليس من مذهب ابن حجر ولا من عادته لأنه لا يعتبر الفاطميين من الخلفاء وينكر اعتبارهم من ضمنهم كما سيتبين للقارىء في دراستنا لكتبه التاريخية التي ندرسها في ما بعد .

ج - في الورقة [٧٠ب] نقل المؤلف عن كتاب الفتوحات المكية الذي ألفه المتصوف المغالي ابن عربي . وهذا من غير عادة ابن حجر الهيتمي فإننا لم نعثر له على نقل أو مدح لهذا المتصوف المبتدع .

وبعد ، فإن كل هذه الأدلة تجعلنا نقتنع بأن كتاب منتهى الإعلام ليس من تأليف ابن حجر المكي خاصة وأننا لم نعثر على نص واحد ينسب هذا الكتاب إليه في حين أن المترجمين له وخاصة المقربين منه من تلاميذه الذين أحصوا مؤلفاته كبيرها وصغيرها وذكروها بعناوينها ولم يهملوا حتى الرسائل الصغيرة التي ألفها ابن حجر . فلو كان هذا الكتاب له لما أهمل المترجمون له نسبته إليه .

وهذا ما جعلني لا أتناوله بالبحث في هذه الرسالة .

١ - كتاب« في بيان حقّية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب :

ألفه قبل سنة ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م واختصّ بذكره ابن حجر نفسه في مقدمة كتابه الصواعق المحرقة وقال : إنه وضعه استجابة لرغبة مَن سألَه في ذلك .

ووصف ابن حجر كتابه قائلاً « فجاء بحمد الله أُنموذجاً لطيفاً ، ومنهاجاً شريفاً ، ومسلكاً منيفاً » .

وبعد أن أتمَّ تأليفه سُئل أيضاً في إقرائه لطلاب العلم بالمسجد الحرام فقام بتدريسه سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م وبعد ذلك ظهر لابن حجر أن يزيد عليه أضعاف ما فيه ليُصبح كتاباً آخر هو كتاب «الصواعق المحرقة» (١) الذي نقوم بدراسته بعد هذا مباشرة .

لم نعثر منه على نسخة

---

(١) انظر مقدمة الصواعق المحرقة ص ٣ - طبعة ١٣٨٥هـ .

٣ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الإبتداع والضلال والزّنْدقة :

تسمية الكتاب :

ذكره ابن حجر بالعنوان المذكور أعلاه في كتبه : الفتح المبين بشرح الأربعين[١] والزواجر عن اقتراف الكبائر[٢] وأسنى المطالب في صلة الأقارب[٣] .

وذكره المؤلف أيضاً في خاتمة كتابه هذا بعنوان مختصر هو «الصواعق المحرقة »[٤]، كما أحال عليه بهذا العنوان المختصر في كتابه «المنح المكية في شرح الهمزية»[٥]، وفي كتابه«الفتح المبين بشرح الأربعين»[٦].كما ذكره ونسبَهُ له تلميذه السيفي في «نفائس الدرر» [ورقة ٥ ب] بعنوان « الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والابتداع والزندقة » .

وذكره العيدروسي في النور السافر [ص ٢٩١] بعنوان « الصواعق المحرقة ، في الردّ على أهل البدع والضلال والزندقة » .

---

(١) ابن حجر : الفتح المبين ص ٤٣ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦ .

(٢) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢ : ٢٣١ .

(٣) ابن حجر : أسنى المطالب في صلة الأقارب ص ٦٢٧ نسخة القاهرة .

(٤) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٢٢٦ طبعة سنة ١٣٨٥هـ .

(٥) ابن حجر : المنح المكية في شرح الهمزية للبوصيري ص ٢٦٥ طبعة بولاق سنة ١٢٩٢هـ .

(٦) ابن حجر : الفتح المبين بشرح الأربعين ص ٤٣ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٧٦ .

وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون [ص ١٠٨٣] وكذلك البغدادي في هدية العارفين [١ : ١٤٦] بعنوان « الصواعق المحرقة ، على أهل الرفض والزندقة » . وذكره مرداد في المختصر من نشر النور والزهر [ص ١٢٣] بعنوان « الصواعق المحرقة ، على أهل البدع والضلال والزندقة » .

كما تعدد العنوان واختلف في بعض نسخ المخطوطات منه :

- فورد على نسخته بدار الكتب الظاهرية برقم ٣٤٦٩ بعنوان «الصواعق المحرقة ، في حقيقة خلافة الصحابة رداً للروافض والمتزندقة » .

- وورد بعنوان « تاريخ خلافة الأئمة الأربعة » على مخطوطةٍ محفوظة بالخزانة العامة بالرباط مصورتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (رقم ٤٥٤٥) ضمن مجموعة أفلام لمخطوطات مختلفة بعضها من المكتبة الأزهرية وبعضها من الخزانة العامة بالرباط .

وعلى مصورة مخطوطة الرباط ختم هذه المكتبة مع ذكر أرقام مختلفة متعددة هي : ١٣٢٤ د / و ٩٠١ د / و ٢٠٢٩ /(١) .

وطبع الكتاب بعنوان « الصواعق المحرقة ، في الردّ على أهل البدع والزندقة » في طبعات ثلاث هي :

١ - طبعة القاهرة - المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٧هـ بهامشها كتاب لابن حجر عنوانه تطهير الجنان واللسان .

٢ - طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، وطبع معه كتاب تطهير الجنان واللسان - حقق الكتاب عبد الوهاب عبد اللطيف .

---

(١) وقد بحثنا في ما طبع من فهارس هذه المكتبة فلم نعثر له على ذكر في هذه الأرقام إلا أن الأختام التي عليه تثبت وجوده بها .

٣ - طبعة دار الكتب العلميـة بلبنان سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م وعلى غلافها أنها طبعت بمراجعة النسخة وضبط أعلامها وكتابة هوامشها وهو عمل منسوب لجماعة من العلماء بإشراف الناشر .

وبعد أن اطلعت على الطبعتين الأخيرتين تبيّـن لي ما يلي :

١ - أن محقق الطبعة الثانية عبد الوهاب عبد اللطيف وضع مقدمة تحدث فيها عن أهمية الكتاب ثم ذكر بعض الفِرَق الإسلامية ، وتعديل الصحابة وترجم للمؤلف ابن حجر الهيتمي في صفحة ونصف الصفحة .

٢ - لم يذكر مخطوطاً للكتاب اعتمده وحقّقه ، ولم يقارن بين مخطوطات الكتاب ولا ذكر اختلاف النُّسَخ ، ولعله لم يحقّق مخطوطة منه وإنما اعتمد الطبعة القديمة الأولى .

٣ - وضع هوامش على نص الكتاب - وان لم تكن كثيرة - وإنما شَرَح فيها بعض الألفاظ وخرَّج بعض الأحاديث - وهي قليلة - وأحال على بعض المصادر الحديثية والفقهية والأصولية ، مع التعريف ببعض الأعلام . ودون أن يخرج الآيات القرآنية .

٤ - إن الطبعة الثالثة التي صدرت عن دار الكتب العلمية ، كُتِب على غلافها « راجَعَ النسخة وضبط أعلامها وكتَبَ هوامشها جماعة من العلماء بإشراف الناشر » .

وبالإطلاع على هذه الطبعة تبيّـن لي أنها مطابقة تماماً للطبعة السابقة بنصها وهوامشها ، ولا تختلف عنها في شيء غير أنها حذفت المقدمة التي وضعها عبد الوهاب عبد اللطيف وأنْقَصَت من بعض الهوامش الهامة المفيدة ، ولم يقم مَنْ ذُكِروا باسم جماعة من العلماء والناشر المشرف عليهم بأيّ عَمَل من تحقيق وإضافة .حتى أن بعض الأخطاء المطبعية في الطبعة

الثانيـة وقعـتْ في طبعتهـم[١] .

الغاية من تأليف الكتاب :

وضّـح ابن حـجر الغاية من تأليفه كتابه الصواعق المحرقة في المقدمة الأولى التي وضعها لكتابه فقال فيها :

« اعلم أنّ الحامل الداعي لي على التأليف في ذلك ، وإن كنتُ قاصراً عن حقـائق ما هنالك ، ما أخـرجه الخطيب البغدادي في الجامع وغيره أنه صلى الله عليـه وسلم قـال : (إذا ظهـرتْ الفِـتَن – أو قـال – البـدع وسُبَّ أصـحابي فليُظْهـر العـالم علْمَـه ، فـمن لم يفعل ذلـك فـعليـه لعنــة اللــه والملائكـة والناس أجـمعين ، ولا يَقْبَـل اللـــه منه صـرفـاً ولا عـدْلا)[٢] . ومـا أخرجه الحاكم عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما ظهر أهل بدعة إلاّ أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه)[٣] .

كـمـا يوضح ابن حـجـر غـايتـه من تأليف هذا الكتـاب ليردّ به على الشّـيعة ويُبطل آراءهـم ويَحـدّ من انتشار تأثيرهم بمكة فيقول في ذلك « لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة ، أشرف بلاد الإسلام ، فأجَبْتُ إلى ذلك رجاء لهداية بعض من زل به قدمه عن أوضح المسالك »[٤] .

---

(١) انظر مـثلاً كلمـة « فبنت » وصوابها « فبيت » وردت في الطبعة الثانية ص ١٤٤ ، وبنفس الخطأ وردت في الطبعة الثالثة ص ٢٢٢ . وكذلك كلمة « كنتُ » وصوابها « كُتِب » جاءت في الطبعة الثانية ص ٢٢٦ والطبعة الثالثة ص ٣٣٩ .

(٢) الذهبي : ميزان الاعتدال ج : ٣ رقم الحديث ٧٨٨٧ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ج : ٥ رقم الحديث ٩١١ .

(٣) ابن حجر : مقدمة الصواعق المحرقة ص ٣ . وقد خرج الحديث الهندي : كنز العمال رقم ١١٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

كما نستطيع أن نوضح هدف ابن حجر وغايته من الكتابة في تاريخ الخلفاء الراشدين ليوضح مقدارهم ووجوب احترامهم وذلك ما أشار إليه في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر عند حديثه عن حرْمة شتْم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال : « والأحاديث في ذلك كثيرة وقد استوفيْتُها وما يتعلق بها في كتاب حافل لم يُصَنَّف في هذا الباب – فيما أظنّ – مثله . ومن ثم سمَّيْتُه : « الصواعق المحرقة ، لإخوان الشياطين أهل الإبتداع الضلال والزندقة » فاطْلُبْه إن شئتَ لترى ما فيه من محاسن الصحابة وثناء أهل البيت عليهم لا سيما الشيخان ، ومن افتضاح الشيعة والرافضة في كذبهم وتقوُّلهم وافترائهم عليهم بما هم بريؤون منه ، رضوان الله عليهم أجمعين »[١] .

وأكَّد ابن حجر على هذه الغاية من بيان فضل الصحابة ووجوب محبتهم وأنّ ذلك ما دعاه للتأليف في تاريخهم فقال في مقدمة الخاتمة الطويلة التي وضعها لكتابه الصواعق المحرقة : « وإنما افتتحْتُ هذا الكتاب بالصحابة وختمتُه بهم ، إشارة إلى أنّ المقصود بالذات من تأليفه تبرئَتُهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم مَن غلبتْ عليهم الشقاوة ، وتردَّوْا بأرْدية الحماقة والغباوة ، ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين ، وركبوا متْن عمياء ، وخبطوا خبط عشواء ، فباؤوا مِن الله بعظيم النكال ، ووقعوا في أهوية الوبال والضلال ، ما لم يداركهم الله بالتوبة والرحمة ، فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة ، أماتنا الله على محبّتهم ، وحَشَرنا في زمرتهم آمين »[٢].

---

(١) ابن حجر : الزواجر ٢ : ٢٣١ .

(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٢٠٨ .

تاريخ تأليف الكتاب :

وضّح ابن حجر أنه طُلِب منه قديماً – ولم يذكر اسم الطالب – أنْ يضع كتاباً في حقّية خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب فاستجاب للطلب . ثم سُئل في إقرائه في رمضان سنة ٩٥٠هـ /١٥٤٣م بالمسجد الحرام – ثم زاد عليه بأن أكمل فيه بقية الخُلَفاء . فكان تأليفه لهذا الكتاب بعد سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م – وفي هذا المعنى قال ابن حجر في مقدمته : « أما بعد : فإني سُئلتُ قديماً في تأليف كتاب يُبيّن حقِّيَّة خلافة الصديق وإمارة ابن الخطّاب فأجبْتُ إلى ذلك مسارعة في خدمة هذا الجناب فجاء بحمد الله أنموذجاً لطيفاً ... ثم سُئِلتُ قديماً في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) بالمسجد الحرام ... ثم سَنَح لي أن أزيد عليه أضعاف ما فيه وأبيّن حَقِّيّة خلافة الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتبع ذلك ... فجاء كتاباً في فنه حافلاً »[1] .

انتشار الكتاب في حياة المؤلف :

تحدّث ابن حجر عن انتشار كتابه الصواعق المحرقة في حياته فقال في مقدمة الكتاب الذي ذيّل به كتاب الصواعق : « وقد كُتِبَ منه من النُّسَخ ما لا أُحْصِي ، ونُقل إلى أقاصي البلدان والأقاليم كأقصى المغرب وما وراء النهر ، سمرقند وبخارى وكشمير وغيرها والهند واليمن »[2] .

محتوى الكتاب :

ذكر ابن حجر محتوى الكتاب في مقدمته فقال : « ورتَّبْتُه على

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٣ .

(٢) ابن حجر : ذيل الصواعق المحرقة ص ٢٢٦ .

مـقدمـات وعـشـرة أبواب وخـاتمة » . إلاّ أنّ دراسـة الكتـاب وضـحتْ أن أبوابه كانت أحد عشر باباً . وقد يكون ابن حـجر أضـاف البـاب الحادي عشـر بعد إتمام مـقصده من بيان فـضـائل الخلفـاء الراشدين ثم رأى أن يضـيف البـاب الحادي عشر في فضائل أهل البيت النبوي فترجَـمَ فيه لأئمـة آل البيت .

وضع ابن حجر ثلاث مقدّمات لكتابه هذا وضّـح فيها مايلي :

في المقدمة الأولى : أسبـاب تأليفه الكتاب ووجوب مـحاربة أهل البدع والرافضة – وذكر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بوجوب احترام أصحابه ومحبّـتهم – ونقد أفكار الشيعة – كما عرض أقوال سيدنا علي رضي الله عنه في محبة أبي بكر وعمر .

أمـا المقدمة الثانية : فقد وضّـح فيها أهمية تنصيب إمام للمسلمين واجـتمـا ع الصـحـابة – رضـوان الله عليـهم – على ذلك ، حـتى قبل دفْن النبي صلى الله عليه وسلم .

وجـعل المقـدمـة الثـالثـة : في تـوضـيح مـا تَـثْـبُتُ به الإمـامـة – وجـواز الإمامة للمفضول لا الأفضل – وخرافات الشيعة حول شروط الإمامة .

أما أبواب الكتاب فقد خصّـص الباب الأول بفصوله الخمسة ، والباب الثـاني بفصله الوحيد والبـاب الثـالث بفصـوله الأربعة لذكر أبي بكر الصديق وخـلافتـه وحقيتـها والنصـوص الدالة عليـها ، وفي الثناء عليه وعلى عمر، وفي أفضليته .

ووضـع ابن حـجـر البـاب الرابع وفيـه ثلاثة فـصول والبـاب الخـامس وفيـه سبعة فصول في عمر بن الخطاب وخلافته وحقيتها وفضائله .

وجـعل البـاب السـادس والبـاب السـابـع بفصـوله الثلاث في عثمـان بن عفان وخلافته وفضائله .

أما الباب الثامن والتاسع بفصوله الأربعة فكان في علي بن أبي طالب وخلافته وفضائله .

وخصص الباب العاشر بفصوله الثلاثة في خلافة الحسن بن علي وفضائله .

وأضاف الباب الحادي عشر في فضائل أهل البيت النبوي وجعله في ثلاثة فصول .

ثم وضع خاتمة للكتاب في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة – وقتال معاوية وخلافته – والاختلاف في كُفْر يزيد بن معاوية .

مصادر ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة :

بعد الإطلاع على الكتاب ودراسته وتتبع مصادره تبين لي أن مصادر ابن حجر في كتابه تنوعتْ بيْن كُتب حديثية وتاريخية وتفاسير وكُتب فقه شافعي ولغة .

وفيما يلي ذكر أهم المصادر التي اعتمدها ابن حجر بحسب تصنيفها في العلوم المختلفة :

اعتمد ابن حجر كُتباً عديدة وكثيرة من كتب الحديث والسيرة النبوية ، وهي تمثل أغلب مصادره لأن طبيعة الكتاب تتطلب ذلك نظراً إلى أنه يتناول تاريخ الصحابة الراشدين وآل البيت وإن أخطاء الشيعة والروافض تُرَدّ بالاعتماد على الحديث النبوي الصحيح مع كتب الآثار والسيرة وما شابههما من كتب الأجزاء الحديثية والأمالي وغير ذلك من مصادرها .

لذلك نرى ابن حجر اعتمد من كتب الحديث عدداً ضخماً وأهمها : الكتب الصحيحة الستة ، وكتب الحديث الشهيرة الكبيرة مثل المستدرك للحاكم

وصحيح ابن حبان ونوادر الأصول للحكيم وموطأ مالك ومسانيد عبد بن حُمَيْد والبزّار وعبد الرزاق ، وسُنَن البيهقي وسعيد بن منصور وأبي ذر الهروي والبغوي والمحاملي والديلمي وأبي يعلى والآمدي وابن راهويه .

وكثير من أمالي الحديث وأجزائه ومعاجمه كمؤلفات عبدالله بن أحمد بن حنبل وابن الجوزي وسبطه والآجرّي والمدائني وابن بشران ، وابن مردُويَه وابن قانع وابن شاهين والزين العراقي وابن عدي .

وبعض شروح الكتب الصحيحة كشرح ابن حجر العسقلاني للبخاري ، والمفهم في شرح مسلم لأحمد القرطبي ، وغير ذلك كثير من المؤلفات الحديثية وكتب السيرة والشمائل كدلائل النبوة لأبي نعيم ، وسيرة ابن إسحاق وشفاء القاضي عياض .

كما اعتمد ابن حجر كتباً في تفسير القرآن كتفسير الفخر الرازي وابن أبي حاتم ، وكتباً في الفقه وخاصة الفقه الشافعي كمؤلفات النووي والرافعي وغيرهما ، وكتباً في اللغة والبلاغة كمؤلفات ابن الأعرابي والتفتازاني .

أما المؤلفات التاريخية التي اعتمدها في كتابه هذا فكثيرة ، منها ما تعلق بالمغازي ككتاب الواقدي وموسى بن عقبة ، والتواريخ العامة للمدن كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ المسعودي .

وكتب التراجم والطبقات والمشيخات والمعاجم مثل كتاب الحلية لأبي نعيم والبخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفاء والحاكم في الكنى والشيرازي في الألقاب والذهبي في الميزان وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان وطبقات ابن سعد وطبقات أبي إسحاق وابن عبدالبر في طبقات

الصحابة المسمّى بالإستيعاب ، وطبقات السبكي الكبرى ، وكتاب المحب الطبري الذي عنوانه الرياض النَّضِرة في فضائل العشرة ، والقزويني في كتاب كنوز المطالب في بني أبي طالب ، ومشيخة السِّلَفي ووفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها .

ويمكن أن نتعرف على خصائص منهج ابن حجر المكي في التعامل مع مصادره هذه فنقول :

- إنّ ابن حجر في أغلب حالاته يحيل إلى اسم المؤلف فقط وفي حالات قليلة يذكر المؤلف وعنوان الكتاب الذي اعتمده وأحياناً يحيل على عنوان الكتاب فقط . وذلك حسب شهرة الكتاب بين الناس وعدمها .

- قد يعتمد على مؤلف واحد ويذكر روايته للحديث من عدّة كتب له . مثال ذلك : أورد نص حديث عن الطبراني من الأوسط (أي معجمه الأوسط) وذكر أنه أخرج مثله في الكبير (أي معجمه الكبير)(١) .

- في أغلب الأحاديث يورد تخريجها من أكثر من مصدر فيقول مثلاً : « أخرج الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي »(٢) وذلك ليؤكد صحة الحديث .

- غالباً ما يصدر حكمه على صحة أو ضعف الحديث الذي يُورده بعد دراسته لتسلسل سند الحديث(٣) . فيقول مثلاً : « زاد الثعلبي في رواية لكن

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة ، ص ٩٧ .

(٢) ومن أمثلة ذلك كثيرة : انظر ص ٩٦ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠٩ وغيرها .

(٣) مثال ذلك ص ١٥٦ ، ٢٢١ .

في سندها كَذَّاب »[١] .

– عند استشهاده بالآيات القرآنية يورد شرح الآية من علماء التفسير كما يورد اختلافهم في تفسيرها – إن وُجِدَ – وأسباب هذا الاختلاف[٢] .

– يستعرض أقوال علماء المذاهب السنية الأربعة ليستشهد بها على وجوب محبة آل البيت مثلاً [٣] .

قد ينقل عن المصدر نصاً كاملاً فيورد في آخره عبارة انتهى[٤].

وقد يورده ملخصاً منه فيقول انتهى ملخصاً[٥] .

– يقدم دراسة مقارنة لاختلاف المصادر في الحكم على أيّ قضية يعرضها فيناقش آراء العلماء المختلفة فيها وفي ذلك دراسة مفيدة واضحة تخدم منهجه وفكرته[٦] .

– إذا كان ابن حجر يلتزم في الاستشهاد بنصوص كتب الحديث والتفسير الدقَّةَ في النقل والإحالة على هذه الكتب بذكر عناوينها أو أسماء مؤلفيها فإنه إذا نقل عن كتب التاريخ لا يلتزم بذلك دائماً وإنما نراه يذكر أحياناً تفاصيل الخبر التاريخي دون أن يحيل على مصدره[٧] في حين أنَّا

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة ، ص ١٧٦ .

(٢) مثال ذلك ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(٣) راجع ص ١٨٠ ، ٢١٠ .

(٤) نفس المصدر ص ٦٠ ، ٦١ ، ٨٦

(٥) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٢٢٤ .

(٦) نفس المصدر ص ١٤٥ .

(٧) نفس المصدر ص ١٩٦ – ١٩٩ .

نجده في أحيان أُخرى ينقل النص الطويل بلفظه فيقول في نهايته : « انتهى لفظه بحروفه »[١] .

وقديختصرالنص المنقول ويحيل إلى مصدره لمن يريد أن يطلع عليه[٢].
أو يقول : « هذا ملخّص تلك الوقائع ولها بسط لا تتحمله هذه العجالة على أن الإختصار في هذا المقام هو اللائق »[٣] .

منهج ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة :

إن مناهج المؤلفين تتأثر دائماً بموضوعات مؤلفاتهم وبالأسباب الدافعة لتلك التآليف . وقد ألّف ابن حجر كتابه الصواعق المحرقة لغاية محددة وهي وضع تاريخ للخلفاء الراشدين بعد أن درَّسَ أخبارهم في دروسه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م ولم يفعل ذلك إلاَّ كما قال : «لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة »[٤] .

فكان يُلْقي دروسه ويؤلّف كتابه هذا ليقاوم تيار الشيعة الذي بدأ ينتشر بمكة فإذا هو يكتب في موضوع تاريخ الخلفاء الراشدين ليبيّن للناس فضائلهم وحقّيتهم بالخلافة ويدحض دعاوي الشيعة فيهم فهو يقول في مقدمة الكتاب :

« وأبيّن حقّية خلافة الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتبع ذلك مما يليق بقوادمه وخوافيه ، فجاء كتاباً في فنه حافلاً ، ومطْلَباً في حلل الرصانة والتحقيق رافلاً ، ومهنَّداً قاصماً لحجج المبطلين ، وأعناق شرار المبتدعة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٢٣ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨٥ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١١٨ - ١١٩ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣ .

الضالين ، لما اشتمل عليه من البراهين العقلية ، والأدلة الواضحة المنقّحة النقلية،التي يعقلها العالمون ، ولا ينكرها إلاّ الذين هم بآيات الله يجحدون »[١].

ونراه يعتمد في كتابه هذا منهجاً ذا دعائم ثلاثة :

أ - الردّ عليهم بالاستدلال بنصوص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توضح فضل الصحابة ووجوب محبتهم واحترامهم وأقوال العلماء في ذلك .

ب - الردّ عليهم بالنقاش والإقناع بناءً على المحاورات العقَدية .

جـ - الردّ عليهم اعتماداً على الأخبار التاريخية بالتعريف بتراجم وتاريخ الخلفاء الأربعة وفضائلهم وحقيتهم في الخلافة .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣ .

أ - استدلاله بالنصوص القرآنية والحديثية :

١ - استدلاله بالآيات القرآنية :

أورد ابن حجر الآيات القرآنية التي يستدل بها على حقية خلافة أبي بكر الصديق[١] وقدَّم شروحاً لها معتمداً على كبار المفسرين للآيات التي يستشهد بها .

- ففي الفصل الثاني من الباب الثالث قدم ابن حجر الآيات القرآنية الدالة على فضل أبي بكر ونزلت فيه بإجماع العلماء والمفسرين . ومنها قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[٢] أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم مَن أنكر صُحْبَتَه كفر إجماعاً »[٣] . وجملة الآيات التي استشهد بها في هذا الفصل إثنا عشر آية .

- وفي الفصل السادس من الباب الخامس أورد ابن حجر عدداً من الآيات القرآنية التي وافق فيها القرآن الكريم آراء عمر وأقواله فكانت ١٥ آية[٤].

- وفي الفصل الأول من الباب الحادي عشر أورد ابن حجر الآيات القرآنية الدالة على فضل أهل البيت النبوي فأورد فيه أربعة عشر آية »[٥] .

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة ، ص ١٦ - ٢٠ .

(٢) القرآن الكريم : التوبة : ٤٠ .

(٣) ابن حجر : الصواعق المحرقة ، ص ٦٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٩٩ - ١٠١ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٤٣ - ١٨٦ .

وبعد كل آية يورد جملة من الأحاديث في أسباب نزولها وتفسيرها من أقوال العلماء المفسرين لها وقد يورد في بعضها « تنبيهاً » يبيّن فيه ما يريد إظهاره لأهميته ، وقد يضع بعد شرح الآية « خاتمة » يلخّص فيها أهمّ ما جاء في الآية ليردّ بها على الرافضة .

وفي الآية الرابعة عشر أورد خمسة مقاصد طويلة في تفسيرها وما تضمنته من ترغيب وتحذير وواجبات ، وأضاف لهذه المقاصد تنبيهات أيضاً[١] .

٢ - استدلاله بالأحاديث النبوية :

ظهر استدلال ابن حجر بالأحاديث النبوية في جميع أبواب الكتاب ففي المقدمات الثلاث أورد أحاديث صحاح عن كبار المحدثين في أفضلية الصحابة رضوان الله عليهم – وأحاديث عن ظهور الرافضة والتحذير من أتباعهم .

– ويشكك في صحة الأحاديث التي اعتقدها الرافضة فيقول :

« ومما يرشدك إلى أن ما نسبوه إليهم كذب مُخْتَلَق عليهم أنهم لم ينقلوا شيئاً منه باسناد عُرِفتْ رجاله ولا عُدلت نَقَلَتُه ، وإنما هو شيء من إفْكهم وحمْقِهم وجهلهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى فإياك أن تدع الصحيح وتتّبع السقيم ميلاً إلى الهوى والعصبية »[٢] .

– يقدم ابن حجر توضيحاً لاختلاف وتضارب أقوال العلماء في حديث ما ، مثال ذلك ما أورده عن تأخّر علي عن مبايعة أبي بكر فيبيّن أصل ذلك الحدث وحقيقته[٣] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٦٩ – ١٨١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٤ – ١٦ .

– أورد ابن حجر الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تُشير إلى خلافة أبي بكر بعده . وقد يأتي بالحديث بأسانيد متعددة وروايات مختلفة ليؤكد به صحته .

فذكر في هذا الفصل ، وهو الفصل الثالث من الباب الأول أربعة عشر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على خلافة أبي بكر الصديق[١] .

– استشهد ابن حجر في الفصل الثاني من الباب الثالث بأحاديث تدل على فضائل أبي بكر وحده ، أكملَ بها تسلسل العدد مع الأحاديث السابقة في الفصل الأول فبدأها بالحديث الخامس عشر وأحال بالإشارة إلى ما سبق فقال : « وأما الأحاديث فهي كثيرة مشهورة وقد مرّ في الفصل الثالث من الباب الأول منها جملة إذ الأربعة عشر السابقة ثمّ الدالة على خلافته وغيرها من رفيع شأنه وقدره غاية في كماله ، وغُرَّةً في فضائله وأفضاله ، فلذلك بَنَيْتُ عليها في العدّ هنا فقلتُ : الحديث الخامس عشر »[٢] . وأورد في هذا الفصل سبعين حديثاً تخصّ أبا بكر وحْدَهُ [٣].

– وفي الفصل الثالث أورد ابن حجر ثلاثة وأربعين حديثاً مشتركة في فضائل أبي بكر وغيره من الصحابة الكبار كعمر وعثمان وعلي ومنها أحاديث جاءت في فضل الصحابة عامة . وأعطى هذه الأحاديث أرقاماً متتابعةً بعد الأرقام السابقة . فبدأها من الحديث الحادي والسبعين إلى الحديث الرابع عشر بعد المائة[٤] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠ – ٢٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٨ – ٧٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٧٦ – ٨٣

– عند ذكره لفضائل عمر بن الخطاب اعتمد ابن حجر ما ذكَرَه سابقاً من أحاديث جَمعتْ بين فضائل أبي بكر وعمر وأحصاها فذكر أنها كانت أربعة وثلاثين حديثاً ، ثم أكمل العدد فبدأ من الحديث الخامس والثلاثين وأورد فيه أربعة وثلاثين حديثاً فوصل إلى الحديث الثامن والستين(١) .

وقد يحيل إلى أحاديث ذكرها بمتنها وسنَدها سابقاً فيوردها هنا بمعناها .

– في فضائل عثمان بن عفان وخلافته أورد ابن حجر أربعة وثلاثين حديثاً ولم يعتمد تسلسلها على الأحاديث السابقة التي جمعتْ فضائل الخلفاء إنما استقلت الأحاديث هنا بأرقامها بداية من الحديث الأول(٢) .

– وفي فضائل علي بن أبي طالب أورد ابن حجر أربعين حديثاً خاصة بفضائل علي وحْدَه(٣) .

– اهتم ابن حجر بتأكيد فضل الإمام علي وأنّ اعتقاد ذلك واجب على المسلم ، وأورد أقوال العلماء التي تؤكد أنّ من ينكر لعلي فضله فهو مذموم(٤) .

وبذلك يرد على الشيعة ويثبت بأننا أهل السنة نعترف بالفضل لعلي ولا ننكره حقه . وفي هذا المعنى قال ابن حجر : « وأنظر إلى إنصافنا معشر أهل السنة والجماعة الذين طهّرهم الله من الرذائل والجهالات والعناد والتعصّب والحمق والغباوة ، فإننّا لم نكفر القائلين بأفضلية عليّ على أبي بكر وإن كان

---

(١) نفس المصدر ، ص ٩٤ – ٩٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢١ – ١٢٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٧ – ٥٨ .

ذلك عندنا خلاف ما أجمعنا عليه في كل عصر منا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، على ما مرّ أول هذا الباب ، بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير . ومَن كَفَّر الرافضة من الأمة فلأمور أخرى من قبائحهم انضمّتْ إلى ذلك فالحذر الحذر من اعتقاد كفر مَن قلبُه مملوء بالإيمان بغير مقتضٍ ، تقليداً للجُهَال الضُّلاّل الغُلاة » (١).

– استشهد ابن حجر بأقوال علي رضي الله عنه في أفضلية أبي بكر وعمر عليه ومنها قوله : « لا أجد أحداً فضَّلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلَدْتُه حد المفتري »(٢) .

ومن أقوال الإمام علي في أحقية أبي بكر بالخلافة : « والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لو عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لجاهدتُ عليه ولو لم أجد إلاّ ردائي ، ولم أترك ابن أبي قحافة يصعد درجةً واحدة من منبره صلى الله عليه وسلم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم رأى موضعي وموضعه فقال : قُمْ فصلِّ بالناس وتركني ، فرضينا به لدنيانا كما رضي به ر سول الله صلى الله عليه وسلم لدِيننا »(٣) .

– وفي الفصل الثاني من الباب العاشر نقل ابن حجر اثني عشر حديثا عن فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب(٤) .

– وفي فضائل أهل البيت النبوي وفضائل قريش عامة أورد ابن حجر أربعة وأربعين حديثاً في الفصل الثاني من الباب الحادي عشر(٥) .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٦٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٠ – ٦١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٢ ، وفي ص ٦٣ – ٦٤ أورد ابن حجر قولاً آخر للإمام علي في الموضوع .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٨٦ – ١٩٠ .

– وفي فضائل بعض أهل البيت كفاطمة وولديْها عرَض ابن حجر ثلاثين حديثاً جاءت في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر[١] .

– في نقاش ابن حجر مع الرافضة لا ينفي الأحاديث التي يستشهدون بها مبْدئياً فلا يرفضها جزافاً دون معرفتها بل على العكس إذا كان الحديث الذي هو حجَّتهم صحيحاً يُثْبِتُ ابن حجر صحّته . ومن ذلك قوله : « أنه حديث صحيح لا مِرْية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقُهُ كثيرة جداً »[٢] .

– وقد يورد ابن حجر روايات يدعم بها أقواله وهي من أقوال بعض الشيعة المعتدلين وهم مَنْ وصفهم ابن حجر بقوله : « عن سالم بن أبي حفصة وهو شيعي لكنّه ثقة »[٣] . وقال أيضاً : « وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصِفين كعبدالرزاق فإنّه قال : أُفَضّل الشيخيْن بتفضيل علي إياهما على نفسه وإلاّ لما فضَّلْتُهما »[٤] .

– وعلى العكس من ذلك إذا استشهد الرافضة بأحاديث موضوعة فإن ابن حجر يذكر أنها موضوعة بدليل أنها لم ترد في الكتب الصحيحة وأنها ذُكرتْ بين الأحاديث الموضوعة ومن ذلك قوله : « إن هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه صلى الله عليه وسلم . ألاَ لَعنةُ الله على الكاذبين ، ولم يقل أحد من أئمة الحديث أن شيئاً من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها بل كلهم مجمعون على انها مَحْض كذب وافتراء »[٥] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٩٠ – ١٩٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

– عند استشهاد ابن حجر بالأحاديث الشريفة يقدم حكمه على صحة الحديث أو ضعفه فيقول مثلاً « بسند جيد »[(١)] ويقول « وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسندٍ رجاله مِن أكابر أهل البيت »[(٢)] .

– ويقول عن حديث « وكثرةُ طُرُقه ربما توصِلُه إلى درجة الحسن »[(٣)] ويحكم على سند ضعيف فيقول :« وسنده غريب ضعيف جداً »[(٤)] ، أو يقول « وسندهما ضعيف »[(٥)] ، ويقول « وهو مرسل غريب سنداً ومتناً »[(٦)] . وقد يقول عن سند حديث « بسند رجاله ثقات إلاّ واحد منهم »[(٧)]، وفي حكم آخر قوله « وفيه رجل اختُلِف في تضعيفه وبقية رجاله ثقات »[(٨)] . وقوله « أخرجه جماعة كلهم بسند ضعيف »[(٩)] ، وقال أيضاً « في سنده رافضي غال في الرفض ورجل آخر متروك »[(١٠)] .

وإذا أورد حديثاً موضوعاً يقول عنه « فهو موضوع » [(١١)] ومن حكمه أيضاً على سند الحديث يقول : « زاد الثعالبي في رواية لكن في سندها كذّاب »[(١٢)] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٦٩ ، ٧٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٦ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٥٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٧٥ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٧٥ ، ١٢٣ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٧٥ .
(٧) نفس المصدر ، ص ١٢٤ .
(٨) نفس المصدر ، ص ١٢٦ .
(٩) نفس المصدر ، ص ١٥٢ .
(١٠) نفس المصدر ، ص ١٧٤ .
(١١) نفس المصدر ، ص ١٧٤ .
(١٢) نفس المصدر ، ص ١٧٦ .

ب - الرد على الروافض بالنقاش والمحاورات العقدية :

اشتمل الكتاب على محاورات وردود كثيرة رد بها ابن حجر على أقوال الشيعة والرافضة فكان يقدم الأدلة النقلية والعقلية معترضا على أقوالهم ، فمن ذلك :

- ردّه عليهم ومحاجتهم في أحقية خلافة أبي بكر الصديق(١) .
- ردّ قولهم بعدم أهلية أبي بكر بالإمامة(٢) .
- ردّ قولهم بعدم شجاعة أبي بكر وذلك بعرض مواقف دالة على شجاعته وقوته وثباته(٣) .
- عرضَ ابن حجر شبه الشيعة والرافضة الخمسة عشر في أبي بكر وردًّ عليها باثبات بطلانها بأوضح الأدلة وأظهرها (٤).
- ردّه على الروافض بإيراد أقوال علي في تفضيل أبي بكر وعمر على نفسه وإثبات أحقيتهما بالخلافة قبله (٥).
- ردّه عليهم في اعتراضهم على خلافة عمر الفاروق وإثباتها له بالأدلة الواضحة القطعية(٦) .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، وغيرها .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٠ - ٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٩ - ٥٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٨٧ .

- رده عليهم في اعتراضهم على خلافة عثمان بن عفان بإثبات صحة بيعته وإجماع الصحابة عليها ومعهم علي[١] .

- إثباته ضرورة محبّة آل البيت النبوي ومناقشته لهم في افراطهم في هذه المحبة والمبالغة فيها مع كرههم لأبي بكر وعمر[٢] .

- ردّه على اعتقاد الشيعة الروافض في ولاية المهدي وقولهم أنه مات وعمره خمس سنوات آتاه الله فيها الحكمة محتجاً بأن الصغير لا تصح ولايته[٣] .

كما ناقش ابن حجر أقوالاً أخرى كثيرة يعتقدها الشيعة والروافض وينشرونها بين الناس ، لذلك نراه ينبّه الناس إلى مخاطر أقوالهم واعتقاداتهم ويلجأ في أحيان كثيرة إلى وصفهم بأوصاف كثيرة وذكر حقائقهم في مواطن عديدة من كتابه ، من أهمها قوله :

- « ... الرافضة ونحوهم ، فقاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم »[٤] .

- « أولئك المبتدعة والجهال »[٥] .

- « ان ذلك من قبائح كذبهم وافترائهم ، فقبحهم الله وخذلهم »[٦].

- « ان هذه من غباوتهم وجهالاتهم اذ لا دلالة في ذلك لما زعموه»[٧]..

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٦٨ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٣ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٦ .

– « بل هم أشد ضرراً على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال كما صرح به علي رضي الله عنه بقوله : تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا »[١] .

– « وأحسن ما يقال في هذا المحل ألاّ لعنة الله على الكاذبين ... بل أولئك الأشقياء »[٢] .

– « وإنما هو من جهالاتهم وغباواتهم وكذبهم وحمقهم »[٣] .

– « ولا تتوهم الرافضة والشيعة قبّحهم الله ... وهؤلاء الضالون الحمقى ... قاتلهم الله أنى يؤفكون »[٤] .

– « أن أولئك المبتدعة الرافضة والشيعة ونحوهما ليسوا من شيعة علي وذريته بل من أعدائهم »[٥] .

– « وأما الرافضة والشيعة ونحوهما إخوان الشياطين ، وأعداء الدين ، وسفهاء العقول ، ومخالفوا الفروع والأصول ، ومنتحلوا الضلال ، ومستحقوا عظيم العقاب والنكال ، فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس ، المطهرين من شوائب النقص والدنس ، لأنهم أفرطوا وفرَّطوا في جنب الله فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين في مهالك الضلال والإشتباه وإنما هم شيعة إبليس اللّعين ، وخلفاء أبنائه المتمردين ، فعليهم لعنة الله

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٥٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

وملائكته والناس أجمعين »[١] .

- « وأن انكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين »[٢] .

- « أن الفرقة المسماة بالشيعة الآن إنما هم شيعة إبليس لأنه استولى على عقولهم فأضلها ضلالاً مبيناً » [٣].

ج - الرد على الروافض اعتماداً على الأخبار التاريخية :

إن ردود ابن حجر على الروافض اعتمدت عروضا للكثير من الأخبار التاريخية الموثقة التي ذكرت مواقف الخلفاء الراشدين وآل البيت وعرضت فضائلهم وأقوالهم مع ترجماتهم وأخبارهم .

فكانت أهم النقاط التاريخية التي تناولها هي ما يلي :

- في الفصل الأول من الباب الأول أورد أخبار بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة والأحداث التاريخية المصاحبة لها من الإجتماع في سقيفة بني ساعدة والإتفاق بالإجماع انها لأبي بكر[٤] .

- كما نهج ابن حجر منهج المؤرخين عند حديثه عن شجاعة أبي بكر وأورد له مواقفه في الغزوات والحروب بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٦١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٩ - ١٢ .

وبعد وفاته[١] .

- عند استشهاد ابن حجر بحديث من الأحاديث السابقة الذكر قد يتنبه إلى أن هناك أمراً يحتاج إلى مزيد توضيح فيضع « تنبيهاً » . مثال ذلك: حديث : « عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال : كان اسم أبي بكر عبدالله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :(أنت عتيق الله من النار)[٢] فسمي عتيقاً (تنبيه) يستفاد من هذه الأحاديث ما هو الأصح عند العلماء أن اسم أبي بكر عبدالله وأن لقبه عتيق »[٣] .

- أورد ابن حجر في نقاط واضحة عدة مواقف تاريخية مشرفة لأبي بكر الصديق معتمداً في بعضها على ما جاء في التهذيب للنووي وعلى مصادر أخرى لم يذكرها ، كما وثق بعض الأخبار بالأحاديث المخرجة من البخاري والطبراني وغيرهما [٤] .

- استعرض ابن حجر قضية تاريخية من مؤلفات المؤرخين وهي مرض أبي بكر واستخلافه لعمر ووفاته . وقد وثق التواريخ فيها باليوم والشهر والسنة وأحال إلى الواقدي والحاكم وابن سعد وابن عساكر وغيرهم[٥] .

- نقل ابن حجر عن الذهبي في فضائل عمر بن الخطاب وإسلامه وقوته وشجاعته[٦] . وعن ابن سعد في الطبقات في سيرة عمر بن الخطاب وأوصافه [٧] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٩ - ٣٢ .
(٢) الترمذي : السنن ٢ : ٢٩٢ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٦٩ - ٧٠ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٨٥ - ٨٧ .
(٥) نفس المصدر ، الفصل الثاني من الباب الرابع ص ٨٨ - ٩٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٩١ - ٩٣ .
(٧) نفس المصدر ، ص ١٠٢ - ١٠٤ .

– في فضائل عثمان وإسلامه وهجرته يورد ابن حجر أخباراً تاريخية كثيرة عن ابن عساكر وابن سعد وغيرهما [١].

ويذكر مقتل عثمان وتاريخه ومكان دفنه بتعدّد الروايات[٢] .

وثم يعيد قصة مقتله بتوسع في الباب الثامن عند حديثه عن خلافة علي معتمداً على ابن سعد وابن عساكر في روايتهما [٣].

– في نهاية الفصل الثالث من الباب السابع يضع ابن حجر « تتمة » يناقش فيها الأمور التي نقمها الخوارج على عثمان وحطّوا بها من قدره وأفعاله فيقدم لها تحليلاً تاريخياً عن كل نقطة وجوابه عليها بأمور تاريخية ثابتة وفي نهايتها يذكر خلاصة يعنونها بلفظ « الحاصل » وفيه يبين في سطور فضل عثمان وبطلان تلك الترهات والإعتراضات التي نسبها له الرافضة[٤] .

– أورد ابن حجر أخبار وقعتيْ الجمل وصِفّين في عهد علي بن أبي طالب معتمداً على ابن سعد كمصدر تاريخي له ولم يتوسّع فيهما لأن هدف ابن حجر من كتاباته التاريخية هو ردّه على الخوارج فقال في ختام كلامه « هذا ملخص تلك الوقائع ولها بسط لا تحتمله هذه العجالة على أن الاختصار في هذا المقام هو اللائق فقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا)[٥] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٥ – ١١٨ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١١٢ – ١١٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١١٨ – ١١٩ . والحديث خرّجه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ : ٤٢ .

– يناقش ابن حجر الإختلافات التاريخية ويقد م دراسة تحليلية علمية لاختلاف المصادر حول تاريخٍ ما ، فمثال ذلك ما قدَّمه من عرض تاريخي لإسلام علي واختلاف العلماء في تحديده ، فقال : « أسلم وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قديما ، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة أنه أول من أسلم ، ونقل بعضهم الإجماع عليه ومرّ الجمع بين هذا الإجماع ، والإجماع على أن أبا بكر أول مَن أسلم ، ونقل أبو يعلى عنه قال : بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وأسلمتُ يوم الثلاثاء »[١] .

– ذكر ابن حجر حدث مقتل علي برواية تاريخية اتخذ فيها منهج المؤرخ ثم أورد اختلاف الروايات في عُمُر علي عند مقتله فقال « وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون ، وقيل خمس وستون ، وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون » [٢] دون ترجيح .

– عرض ابن حجر قصة الخلاف بين الحسن بن علي ومعاوية وكيفية الصلح بينهما بمنهج مؤرخ للأحداث [٣] .

– في ذكر فضائل الحسن بن علي أورد ابن حجر روايات المؤرخين أمثال ابن سعد وابن عساكر وابن عبد البر وأورد الإختلاف في سنة وفاته بقوله : « وكانت وفاته سنة تسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين أقوال ، والأكثرون على الثاني كما قاله جماعة ، وغلط الواقدي ما عدا الأول ، سيما مَن قال سنة ستَ وخمسين ومن قال سنة تسع وخمسين » [٤] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٢٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٥-١٣٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٤٠-١٤١ .

– لو نظرنا إلى محتوى كتاب الصواعق المحرقة لوجدناه يشتمل على أخبار خمسة عشر من الصحابة وآل البيت هي :

أخبار الخلفاء الراشدين الأربعة ، أخبار أحد عشر من أئمة آل البيت.

وقد خصص ابن حجر لأخبار الخلفاء الأربعة وأخبار الحسن بن علي مساحات واسعة من كتابه بحيث خصص لأبي بكر ثلاثة أبواب ولعمر بابين ولعثمان بابين ولعلي بابين وجعل الباب العاشر لخلافة الحسن بن علي ، أما بقية أئمة آل البيت الأحد عشر فقد جمعهم في باب واحد وهو الباب الحادي عشر .

ونظراً للغاية التي يقصدها ابن حجر من هذه الأخبار فإنه لم يضعها على أساليب كتب الطبقات والتراجم وإنما ركز فيها على ذكر الفضائل والصفات الأخلاقية والدرجة الدينية مع الإهتمام بأحقية الخلفاء في توليهم الخلافة ، وهو غايته من تأليف الكتاب للرد على الشيعة والرافضة .

أما أخبار أئمة آل البيت فإنها وردت موجزة بالنسبة لأخبار الخلفاء تختلف طولاً بحيث في بعضها لا تتجاوز بضعة أسطر وتمتد إلى صفحات في بعضها الآخر .

فهو في هذه الأخبار عامة لا يهتم كثيراً بذكر تواريخ الولادة ولا تفاصيل أخبار المترجم واعماله وتنقلاته ومواقفه السياسية والاجتماعية وغيرها وإنما يهتم فيها أساساً بذكر الفضائل والدرجة العلمية والأخلاقية والدينية مع التزام ذكر وفاة الشخصية وتاريخها وأسبابها .

وذلك عائد إلى أن الغاية من هذا التأليف انما هو التأكيد على فضائل المترجمين ومكاناتهم الدينية والاخلاقية وأحقيتهم بالخلافة والإمامة .

– في الباب الحادي عشر يضع ابن حجر أخبار عشرة من آل البيت وهم أئمته بعد علي بن أبي طالب والحسين المترجمين في الأبواب الثامن والتاسع والعاشر .

والمترجمون في هذا الباب (الحادي عشر) هم :

١ – الحسين بن علي : الذي يورد قصة مقتله في كربلاء سنة إحدى وستين مفصلة [١] .

٢ – زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٢] .

٣ – محمد الباقر : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي / ابن زين العابدين[٣] .

٤ – جعفر الصادق / ابن الباقر[٤] .

٥ – موسى الكاظم / ابن جعفر [٥].

٦ – علي الرضا / ابن موسى الكاظم[٦] .

٧ – محمد الجواد / ابن علي الرضا[٧] .

٨ – علي العسكري / ابن محمد الجواد[٨] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٩٦ – ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٠١ – ٢٠٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٢٠٦ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

٩ - أبو محمد الحسن الخالص / ابن علي العسكري[١] .

١٠- أبو القاسم محمد الحجة / ابن أبي محمد الخالص[٢] .

وبذلك يصبح عدد المترجمين من آل البيت اثني عشر إماماً . وهم الأئمة الاثنى عشر الذين تعتبرهم الروافض أئمة الشيعة حتى يبين للشيعة أنّ هؤلاء الأئمة هم ممن لا يُنكِر فضلهم أهل السنة والجماعة . وقد أراد ابن حجر أن يقدم أخبارهم نقية من شوائب الخرافات والأكاذيب التي ألحقها الروافض بهم .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٠٨ .

٣ - ذيل الصواعق المحرقـــة :

هو تذييل لكتابه الصواعق المحرقة فيه زيادات مهمّـة توضح فضل آل البيت عامة إلى زمن المؤلف وفضل الخلفاء الأربعة والصحابة خاصة .

ولقد ألفه ابن حجر بعد أربعة عشر سنة من تأليفه كتابه الصواعق المحرقة وهذا ما يجعلنا نعتبره كتاباً مستقلاً ، إلاّ أنه طُبِع ثلاث مرات مع طبعات كتاب الصواعق المحرقة ولم يُفصَل بينهما بعنوان خاص إنما كان يُلْحَق بنص الكتاب تحت عنوان « تتمة » رغم أنّ ابن حجر نفسه قال عنه : إن فيه زيادات كافية لأن تكون مؤلفا في مآثر آل البيت .

الغاية من تأليفه :

وضّح ابن حجر الغاية من وضع هذا الذيل بقوله : إنه رأى كتاباً لبعض الحفاظ من معاصري مشائخه وهو الحافظ السّخاوي في مناقب آل البيت فأحبّ أن يضيفها إلى كتابِه إلاّ أنه لم يتسنّ له إلحاقها بنصّ الكتاب لبُعْد الفترة الزمنية بين التأليفيْن ولانتشار كتاب الصواعق المحرقة في البلدان والأقاليم لذا أفرد هذه الزيادات في تأليف .

وقال في ذلك : « لما فرغتُ من هذا الكتاب –أعني الصواعق المحرقة– رأيتُ – بعد أربع عشرة سنة ... كتاباً في مناقب أهل البيت ، فيه زيادات على ما مرّ لبعض الحفاظ من معاصري مشايخنا وهو الحافظ السخاوي ، وكان يمكن إلحاق زياداته لقلّتها على حواشي النُّسَخ لكن لتفرُّقِها تعذّر ذلك فأردتُ أنْ ألخّص هذا الكتاب مع زيادات في ورقات إن أُفْرِدتْ فهي كافية في التنبيه على كثير من مآثرهم وإنْ ضُمَّت لهذا الكتاب فهي مؤكّدة تارة ومؤسسة أخرى »[1] .

---

(١) ابن حجر : مقدمة ذيل الصواعق ، ص ٢٢٦ .

محتوى الكتاب :

قال عنه ابن حجر في مقدمته « وفيه أبواب » وجاء محتوى الكتاب في أحد عشر باباً متتالية لم يرقّمها ابن حجر ، تليها خاتمة ثم باب أخير تليه خاتمة ثانية .

أما الأبواب فهي :

باب : وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم (آل البيت) .

باب : الحثّ على حبّهم والقيام بواجب حقّهم .

باب : مشروعية الصلاة عليهم تبَعاً للصلاة على مشرّفهم صلى الله عليه وسلم.

باب : في دعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة في هذا النسل المكرم .

باب : بشارتهم بالجنة .

باب : الأمان ببقائهم .

باب : خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم .

باب : إكرام الصحابة ومَن بعدهم لأهل البيت .

باب : مكافأته صلى الله عليه وسلم لمن أحسن إليهم .

باب : إشارته صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم من الشدة بعده .

باب : التحذير مِن بغضهم وسَبّهم .

خاتمة : في أمور مهمة . قَسّمها إلى ثلاثة أمور :

أولها : حرمة الإنتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلاّ بحقّ .

ثانيها : اللائق بأهل البيت المكرّم أن يَجْروا على طريقة مشرّفِهم صلى الله

عليه وسلم وسُنَّتِـه مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تثبت ان فضل الناس على الناس يكـون بالتقوى لا بالنسب وان فضل الأشراف لا يتم إلا بتقاهم واتباعهم للسنة الطاهرة .

ثالثها : اللائق بواجب حقهم وتوقيرهم أن يُنَزَّلوا منازلهم وأن يُعْرَف لهم شَرَفُهم .

الباب الأخير : في التّخْيير والخلافة .

خاتمة : رواية التقي السبكي عما رآه بالجامع الأموي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م من سب أحد الرافضة لأبي بكر ، وحُكْم مَن سبَّ أبا بكر وقتله ، وأسباب تكفيره أوردها في ستة نقاط .. وذكر نصوص المذاهب الأربعة التي تكفّر مَن لَعَنَه.

مصادر ابن حجر في كتابه :

على الرغم من أن المصادر الحديثية التي اعتمدها ابن حجر في كتابه ذيل الصواعق المحرقة تكاد لا تختلف عن تلك التي استعملها في كتابه الصواعق المحرقة .

إلاّ أنّ مصادره التاريخية في الذيل تختلف عن المصادر التاريخية للصواعق نظراً إلى اختلاف الموضوع فإنه في الذيل اهتم بأخبار آل البيت وفضائلهم لذلك نلاحظه يعتمد المصادر التاريخية المؤلفة في آل البيت في مناقبهم وتراجمهم مع رواية أخبارهم عن معاصريه من أهل العلم والصلاح ، لذلك وجدنا أهم مصادره التاريخية في هذا الكتاب هي :

٩ – كتاب مناقب أهل البيت للحافظ السخاوي .

٣ – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحبّ الطبري .

٢ - المختار في مناقب الأخيار لابن الأثير .

١ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

٨ - إتحاف الورى للنجم بن فهد .

٤ - العقد الثمين للفاسي .

٥ - بعض كتب التقي المقريزي .

٦ - البحر العميق لابن الضياء القرشي العُمري المكي .

٧ - لحظ الألحاظ للتقي بن فهد .

١٠- أخبار كثيرة عن معاصرين له من الأشراف والصالحين وطلبة العلم من الحجاز ومن اليمن .

منهج ابن حجر في كتابه هذا :

وضع ابن حجر كتابه هذا في اثني عشر باباً وخاتمتين . لكنه قسمها فأورد احد عشر باباً متعلقاً بآل البيت دون أن يرقمها تليها خاتمة ثم الباب الثاني عشر وموضوعه فضل أبي بكر وتخييره وتليه خاتمة ثانية مكملة للباب الثاني عشر .

أما الأبواب الأولى فقد تميّزتْ بقصرها . فأطولها لم يتجاوز أربع صفحات ومنها ما كان صفحة واحدة أو نصف صفحة أو أقل[1] .

واستشهد في كل باب بالأحاديث المخرجة للدلالة على مضمونه . وكانت مصادره في هذه الأبواب هي نفس المصادر الحديثية والفقهية التي اعتمدها في الكتاب الأصل الذي هو الصواعق المحرقة .

---

(١) ابن حجر : ذيل الصواعق المحرقة ص ٢٢٧ - ٢٤٠ .

أما الخاتمة الأولى التي وضعها بعد هذه الأبواب فقد تضمنتْ ثلاثة أمور وجاء فيها تنبيه . تختلف مصادره عن الأبواب السابقة حيث نقل فيه أقوال مؤرخين مشهورين قريبين من عصره وروايات لمعاصريه فَمن المؤرخين الفاسي والتقي المقريزي والتقي بن فهد والنجم بن فهد دون ذكر عناوين كتبهم ، وجميعهم من كبار مؤرخي القرن التاسع .

وذكر فيه أيضاً روايات عن معاصرين له لم يذكر أسماءهم بل يقول مثلاً « أخبرني بعض الأشراف الصالحين » و « مِن ذلك ما أخبرني به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحيهم »[١] و « حكى لي بعض طلبة العلم »[٢] .

أما جملة الروايات التي ذكرها فقد كانت في فضل آل البيت ووجوب احترامهم وإكرامهم مع روايات لأحداث معاصرة . فمنها مثلاً : حادثة تاريخية حدثت في موسم حج سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م بين شريف مكة محمد بن أبي نمي وأمير الحاج التابع للسلطان ، ونقل ابن حجر هذه الرواية عن أكابر أشراف اليمن وصالحيهم[٤] .

– ذكر ابن حجر بعد الخاتمة « فائدة » أورد فيها نقلاً « لنصوص من كتاب المختار في مناقب الأخيار للشيخ الإمام العالم العلامة أبي السعادات ابن الأثير »[٥] .

ونقلاً من كتاب الغُنْية لطالبي الحق – عز وجل – تأليف أبي صالح

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٤٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٤٧ – ٢٤٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

عبد القادر الجيلي[٦] .

– أما الباب الأخير فقد جعله ابن حجر في التخيير والخلافة أورد فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل أبي بكر الصديق وفضل الخلفاء بعده وأحقيتهم بالخلافة[١] .

– وفي الخاتمة الثانية التي وضعها ابن حجر لكتابه نقل رواية للتقي السبكي عن حادثة تاريخية حدثت في الجامع الأموي سنة خمس وخمسين وسبعمائة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م) فَحْواها أنه جاء شخص وجهر بالسَبّ واللّعن على أبي بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية ، فأمر القاضي بحبْسِه وضرْبه على أن يعدل عما يقول ، إلاّ أنه أصرّ على أقواله فحكم القاضي المالكي عليه بالقتل فقُتل ثم ظهر مَنْ يقول أنه قُتِل بغير حقّ ، فكتَبَ السبكي في هذه المسألة ووضّح أن قتل ذلك الرافضي كان بحقّ لأنه كافِر وأورد ستة أمور يُثبت فيها بأقوال العلماء كُفْر ذلك الرجل واستحلال قتله[٢] .

كما أورد ابن حجر في هذه الخاتمة اختلاف المذاهب الأربعة المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية في الحكم على تكفير الروافض وتعليلات ذلك الحكم ، واختلافه بحسب أقوالهم فإنهم اذا نسبوا للصحابة الكفر أو الضلال فيُكَفّروا ويُقتلوا أما إذا نَسَبوا لهم الظلم فيختلف الحكم فيهم بين الضرب والسجن والتشهير – كما يختلف الحكم حسب مكانة الصحابة بين كبار الصحابة وآل البيت وصغار الصحابة[٣] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ – ٢٥٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٣ – ٢٦٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥٤ – ٢٦٠ .

– لخص ابن حجر هذا الاختلاف بين علماء المذاهب في الحكم على الرافضة فقال : « فتلخَّص أنّ سبّ أبي بكر كُفْر عند الحنفية . وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجَلْد فليس بكفْر، نعم قد يخرج عنه ما مرّ عنه في الخوارج أنه كفر فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السبّ من غير تكفير لم يكفر وإن كَفّر كُفِّر ، فهذا الرافضي السابق ذكره كافر عند مالك وأبي حنيفة وأحد وجهيْ الشافعي ، وزنديق عند أحمد ... وكفره هذا رِدَّةٌ لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين ، والمرتد يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتِل ، فكان قَتْله عن مذهب جمهور العلماء أو جميعهم » [1] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٦٠ .

٤ - إتحاف إخوان الصفا ، بِنُـبَذٍ مـن أخبار تـاريخ الخلفاء :

ورد الكتاب بعناوين ثلاثة :

إتحاف إخوان الصفا بنُبَذ من أخبار تاريخ الخلفاء .

= تعريف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفاء .

= مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطي .

نسخ المخطوط :

علمنا بوجود خمس نسخ من الكتاب واطلعتُ على اثنتيْن منها . أما النسخ التي عرفْتُها ولم اطّلع عليها فهي :

١ - نسخة بمكتبة « بال » بالولايات المتحدة الأمريكية برقم ١٢٦٥ في ٩٧ ورقة .

٢ - نسخة بمكتبة (كتبخانة سي) رقم ١٠٩ بإسطنبول .

٣ - نسخة بمكتبة الفاروقي بالمدينة المنورة (دون رقم) مصورتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ١/٦٨٣٠ .

أما اللّتان اطلعتُ عليهما فهما :

أولاً : نسخة مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم - حضرموت ، رقم ١٦ ، نسخها عالم مكي هو الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير (توفي سنة ١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م)[1] تاريخ نسخها سنة ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م ، عدد ورقاتها ٥٧ ورقة .

---

(١) د/محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون ، ص ٣٤٧ .

وهي نسخة أُصيبتْ برطوبة في أولها وآخرها – خطها نسخي وعليها تملّكات الواضح منها تملّك باسم عبدالله عتاقي ، وآخر باسم محمد بن محمد ابن محمد السقاف .

ثانياً : نسخة دار الكتب المصرية برقم ٢٧٦ تاريخ ، عدد ورقاتها ١٣٨ ورقة ، خطها نسخيّ واضح إلاّ أنها كثيرة الأخطاء . عليها تملّك وختم باسم محمد وفا ، وختمان باسم محمد أبو الأنوار السادات بتاريخ ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م ، بالإضافة إلى أختام دار الكتب السلطانية التي هي التسمية القديمة لدار الكتب المصرية . أما الناسخ فهو محمد بن الحسن الحسيني السمرقندي الذي ذكر اسمه في ورقة [١٣٦ ب] في نهاية المخطوط وبداية ذيول صغيرة أُلْحِقتْ بالكتاب تشمل الورقتين الأخيرتين من المخطوط وتذكر أخبار بعض سلاطين العثمانيين إلى سنة ١٠٢٧هـ / ١٦١٨م .

وقد اعتمدتُ في دراستي للكتاب نسخة اليمن وهي رغم دقّة خطها وصعوبته إلاّ أنها أصحّ كتابة من نسخة القاهرة رغم أنّ فيها نقصاً بمقدار ورقة واحدة من آخرها وهي ورقة ٥٧ وفيها ترجمة لستة من خلفاء العباسيين ولإكمال هذا النقص استعملتُ نسخة القاهرة من ورقة ١٣٢ب إلى ورقة ١٣٥ أ .

وقد وردتْ في المخطوطتين أخطاء في أسماء بعض الخلفاء . ففي مخطوطة اليمن في اسم الخليفة المهتدي [ورقة ٣٨ب] حيث ذُكر باسم « محمد أبو اسحق ابن المعتصم » وهو ابن الواثق لا المعتصم .

وفي اسم الخليفة المقتدر [ورقة ٤١ أ] حيث ذُكر باسم المعتمد – وفي نسخة القاهرة . وفي اسم الخليفة الواثق [ورقة ١٣٣ أ] حيث ذُكر اسمه محمد وصوابه عمر ، وفي نفس الورقة في اسم الخليفة المستعصم حيث ذُكر باسم المعتصم .

وقد توقّف نص ابن حجر في نسخة اليمن على قوله : « مات المتوكل يوم الاربعاء سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائة (٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م) وعهد بالخلافة لابنه يعقوب ولقبه المستمسك بالله » .

وأضاف ناسخها قوله : « هذا آخر ما في الأصل ولبعضهم ذيل لسِنين أُخَر بعد إلى نحو العشرين ، ولعلنا نظفر به ونلحقه هنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم »(١) .

أما نسخة القاهرة فقد أوردت في آخر الكتاب هذه العبارة السابقة ثم أكمل الناسخ عليها قوله : « وقد يسّر الله تعالى لكَاتِبه الفقير محمد بن الحسن الحسيني السمرقندي – لطَفَ الله تعالى به – هذا الذيل خالياً عن ذكر بني العباس لأنهم صاروا في خبَر العدم ، وهو أنه بعد وفاة السلطان قايتباي المذكور باطنُه في عام اثنين وتسعمائة (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) تسلْطَنَ ولده محمد أبو السعادات بمصر ... »(٢) .

ثم أورد ورقتين في أخبار الدولة العثمانية .

وفيه زيادة ورقة أخرى فيها أخبارٌ إلى عام ١٠٢٧هـ/١٦١٧م وقال الناسخ : إن هذه الزيادة وجدتُها بخط شرف الدين ابن شيخ الاسلام . والواضح أن كل هذا الإلحاق ليس من تأليف مترجمنا ابن حجر .

أحال ابن حجر على كتابه هذا في كتابه « تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان » [ص ١٥] ، وقال عنه : « وفي أوائل كتابي مختصر تاريخ الخلفاء في هذا الحديث كلام طويل

---

(١) ابن حجر : إتحاف إخوان الصفا ورقة ٥٧ ب نسخة اليمن .

(٢) ابن حجر : إتحاف إخوان الصفا ورقة ١٣٦ ب نسخة القاهرة .

ينبغي مراجعته » . كما أحال عليه في كتابه « شرح الهمزية للبوصيري » [ص٢٧١][(١)] .

انفرد بنسبة هذا الكتاب لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر ورقة [٦ أ] .

سبب تأليف الكتاب وتاريخه :

قال ابن حجر عن ذلك في مقدمة كتابه بأنه ورد إلى مكة أحد العلماء المصريين وسأله ثلاثة أسئلة أولها عن وظائف الوقف فأجابه . والثاني مَن يستحق الوقف فأجابه من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي . فسأله السؤال الثالث في اختصار تاريخ السيوطي .

وعبّر ابن حجر عن ذلك بقوله : « فإنه ورد إلى مكة سنة ثلاث وستين وتسعمائة (٩٦٣هـ / ١٥٥٥م) بعض أعيان الفضلاء المصريين ، والنبلاء المحققين ، ممن جمع بين المعقول والمنقول ، وأخذ بحَظٍ وافر من التمييز بين المردود والمقبول ، نفع الله به المسلمين ، ورفعه في العلم والعمل إلى أعلا علّيين ، فسأل متبرعاً عما وقع له من تناول معلوم وظيفة من وقف السلطان حسَن بدون مباشرتها على ما شرطه الواقف ، فذكرتُ له كلام المتقدمين كابن الصلاح وابن عبد السلام والنووي من تشديدهم في شروط الواقفين وكلام المتأخرين كالسبكي ومَن بعده في مسامحتهم في ذلك وأنه لا تخالف بين الكلامين ... فأعجبَتْه هذه الفائدة الجليلة .

ثم سأل هل السلطان حسن كان من جملة الأتراك الذين هذا شأنهم؟

---

(١) طبعة بولاق سنة ١٢٩٢هـ .

فلم أجد عندي متيسّر إلاّ فوائد كنتُ انتقيتُها من تاريخ الخلفاء للحافظ العلاّمة الجلال السيوطي شكر الله مساعيه ، وأدام عليه مِن رضاه وتجليه ، فكشفْتُ فيه عن ذلك فأعجبته . ثم سألني في اختصار التاريخ المذكور وحذف ما فيه مِن نسبة الأحاديث وأقوال السّلف والخلف لمخرجها من الكتب المعتبرة وضمّ زيادات إليه معلّلا ذلك بأن المشتغلين بأنواع العلوم على وجهها لا يجدون فراغاً لاستيعاب ذلك الكتاب ، لأنه بالنسبة لغرضهم لا يخلو عن إسهاب ، مع أنه يقبح بالفاضل جهل ما فيه من تراجم الخلفاء والملوك وأخبارهم وبعض ما وقع في أزمنتهم مع احتياجه لذلك بل اضطراره إليه في كثير من الوقائع .

فأجبتُه معوّلاً على ما فيه غالباً مع بيان التخريجات ، ونسبة المقالات ، ملتمساً صالح دعواته على الدوام ... وسمّيْتُه إتحاف إخوان الصفا بنُبَذ من أخبار الخلفاء » [١].

موضوع الكتاب والغرض من تأليفه :

تبين لنا مما سبق أنّ كتاب ابن حجر هذا وعنوانه إتحاف إخوان الصفا هو اختصار لكتاب الحافظ جلال الدين السيوطي الذي عنوانه تاريخ الخلفاء[٢] وكلا الكتابين كان موضوعهما تواريخ الخلفاء بالدول الإسلامية من عهد خلافة الراشدين إلى عهد المؤلف الأصلي الإمام السيوطي .

وقد كان غرض المؤلفيْن واحداً حيث أنهما أرادا أنْ يؤرّخا للخلفاء الشرعيين من الراشدين والأمويين والعباسيين وأن يهملا كل مَن ادّعى الخلافة ولا حقّ له فيها كالعبيديين الفاطميين الذين قال عنهم السيوطي – وتبعه في

---

(١) ابن حجر : إتحاف إخوان الصفا ورقة ١ ب نسخة اليمن .

(٢) طبع الكتاب طبعات منها طبعة دار الفكر سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

ذلك ابن حجر – بأن دولتهم هي الدولة المجوسية اليهودية لا العلوية ، وأنها الدولة الباطنية لا الفاطمية مع طيّ ذكر الأُمويين بالأندلس وإهمال ذكر الموحدين بالمغرب وغيرهم ممن تَسَمَّوا بالخلفاء وليس لهم حق الخلافة من الدويلات الصغيرة .

وهكذا يظهر لنا الغرض الأساسي من التأليفين وهو أنْ يقع ابطال ادّعاء الباطنية بأنّ لهم خلفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان غرض ابن حجر من ذلك الوقوف في وجه الشيعة الذين ظهرتْ آثارهم وتكاثر عددهم في الحرمين الشريفين آنذاك .

محتوى الكتاب :

وفيما يلي نقدم استعراضاً لمحتوى كتاب ابن حجر إتحاف إخوان الصفا ، (من نسخة اليمن) فقد اشتمل على مايلي :

[١ ب] المقدمة .

طي ذكر الخلفاء الذين لم تتم لهم الخلافة من العلويين والعباسيين .

[١ ب] طي ذكر العبيديين لأن إمامتهم باطلة .

[٢ أ] بيان سِرّ كون النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف صريحاً .

[٢ ب] بيان أن الأئمة من قريش .

[٢ ب] بيان مدة الخلافة الكاملة .

[٣ أ] بيان الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية .

[٣ أ] بيان الأحاديث المبشّرة بخلافة بني العباس .

[٣ ب] بيان البردة النبوية التي تداولها الخلفاء .

[٣٥ ب] المعتصم – محمد بن الرشيد .

[٣٦ أ] الواثق بالله – هارون بن المعتصم .

[٣٦ ب] المتوكل على الله – جعفر بن المعتصم .

[٣٨ أ] المنتصر بالله – محمد بن المتوكل .

[٣٨ أ] المستعين بالله – أحمد بن المعتصم .

[٣٨ أ] المعتز بالله – محمد بن المتوكل .

[٣٨ ب] المهتدي بالله – محمد بن الواثق .

[٣٩ أ] المعتمد على الله – أحمد بن المتوكل .

[٤٠ أ] المعتضد بالله – أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل .

[٤٠ ب] المكتفي بالله – علي بن المعتضد .

[٤١ أ] المقتدر بالله – جعفر بن المعتضد .

[٤٢ أ] القاهر بالله – محمد بن المعتضد .

[٤٣ أ] الراضي بالله – محمد بن المقتدر .

[٤٣ أ] المتقي لله – إبراهيم بن المقتدر .

[٤٣ ب] المستكفي بالله – عبدالله بن المكتفي .

[٤٤ أ] المطيع لله – الفضل بن المقتدر .

[٤٥ أ] الطائع لله – عبد الكريم بن المطيع .

[٤٦ أ] القادر بالله – أحمد بن إسحاق بن المقتدر .

[٤٦ ب] القائم بأمر الله – عبدالله بن القادر .

ورقة ١٣٣ أ – نسخة القاهرة – الواثق بالله عمر بن إبراهيم .

ورقة ١٣٣ أ – نسخة القاهرة – المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم .

ورقة ١٣٣ أ – نسخة القاهرة – المستعين بالله العباس بن المتوكل .

ورقة ١٣٣ ب – نسخة القاهرة – المعتضد بالله داود بن المتوكل .

ورقة ١٣٤ ب – نسخة القاهرة – المستكفي بالله سليمان بن المتوكل .

ورقة ١٣٤ ب – نسخة القاهرة – القائم بأمر الله حمزة بن المتوكل(١) .

ورقة ٥٧ أ – المستنجد بالله يوسف بن المتوكل .

ورقة ٥٧ أ – المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل .

---

(١) سقطت تراجم الخلفاء الستة المذكورين أعلاه من نسخة اليمن فأحلنا عليها من نسخة القاهرة .

منهج ابن حجر في كتابه :

بما أن كتاب ابن حجر إتحاف إخوان الصفا بنُبَذ من أخبار الخلفاء هو اختصار لكتاب الحافظ جلال الدين السيوطي تاريخ الخلفاء ، فإن منهج ابن حجر لا يستبين لنا إلاّ بعد المقارنة بين الكتابين في أمريْن أساسييْن هما :

أ - المقارنة بين محتوى الكتابين .

ب - منهج ابن حجر في الاختصار .

أ - المقارنة بين محتوى الكتابين :

بعد المقارنة بين محتوى الكتابين تبيّن لي أن ابن حجر أورد في اختصاره نفس المحتوى الذي أورده السيوطي في الأصل - بصفة عامة- مع اعتماد الاختصار ليصل إلى الغاية التي ذكرها في مقدمته وهي أن يُيَسّرَهُ ويختصره ليتمكن المشتغلون بأنواع العلوم من استيعاب محتواه والإستفادة منه .

وبعد المقارنة الدقيقة بين محتوى الكتابين تبيَّنَتْ لي وجوه التشابه والإختلاف التالية :

- ففي المقدمة وزّع السيوطي موضوعاتها على فصول عديدة إلا أن ابن حجر عرض مختصراً لتلك الموضوعات والفوائد وعرضها دون أن يُعَنْونها بالفصول مع أنه عرضها بنفس التسلسل الذي ذكره السيوطي .

- أما الأبواب الخاصة بتراجم الخلفاء الراشدين فقد سارتْ على نفس تسلسل السيوطي إلاّ أنّ ابن حجر ذكر تراجم الراشدين معتمداً الاختصار .

فقد جاءت ترجمة أبي بكر في كتاب السيوطي في ٢٧ فصلاً في حين أن هذه الترجمة وردت في كتاب ابن حجر تحت عنوان واحد .

أما ترجمة عمر الفاروق فقد كان عدد فصولها عند السيوطي ١٣ فصلاً وهي عند ابن حجر تحت عنوان واحد .

وترجمة عثمان بن عفان كانت عند السيوطي في ٦ فصول وهي عند ابن حجر في فصليْن .

وترجمة علي بن أبي طالب أوردها السيوطي في ٧ فصول وهي عند ابن حجر في فصلين .

وهو في كل هذه التراجم يورد بعض الفوائد التي تتناول موضوعات فصول السيوطي .

– وفي الأبواب الخاصة بتاريخ خلفاء الأمويين سار ابن حجر على نفس الترتيب الذي سار عليه السيوطي مع اختصاره في ترجمة كل خليفة منهم .

– وفي خصوص الدولة العباسية اتبع ابن حجر تقسيم السيوطي فذكر أولاً « العباسيين في العراق » ثم « العباسيين في مصر » .

– وأضاف السيوطي بعد ذلك فصلاً في الدولة الأموية القائمة بالأندلس وفصلاً في الدولة الخبيثة العبيدية ، وفصلاً في دولة بني طباطبا العلوية الحسنية ، وفصلاً في الدولة الطبرستانية .

وتناول كلاً منها بإيجاز كبير – بينما لم يذكر ابن حجر هذه الدول ، ويعود تجاهله ذِكرَهم لعدم اعترافه بأي دولة خارجة عن الخلافة القائمة ، كما ذكر في مقدمة الكتاب .

ب - منهج ابن حجر في الاختصار :

أما منهج ابن حجر في اختصاره لكتاب السيوطي فقد سلك فيه مسالك الإختصار والحذف والإضافة والتقديم والتأخير وذلك ما يتّضح من الدراسة القادمة .

أ - اختصار الروايات :

طريقة اختصار الروايات هي الطريقة التي تغلب على كتاب ابن حجر هذا ، ففي أغلب أحيانه يورد الروايات التي يذكرها السيوطي بإختصار لا يُخلّ بالمعنى .فيعتمد أحياناً على النقل الحرفي من نص السيوطي وحذف ما لا يخلّ بالمعنى وفي أحيان أخرى يُغير اللفظ مع المحافظة على المعنى .

فمن أمثلة الاختصار الذي يعتمد الحذف - الرواية التي ذكرها السيوطي نقل فيها قولاً لعمرو بن العاص أجاب به الخليفة عمر بن الخطاب عندما طلب منه أن يصف البحر فقال له : « إني رأيتُ خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، إن ركد خرق القلوب ، وإن تحرّك أرا ع العقول ، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة ، وهم فيه كدودٍ على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا فرق »[١] .

فأوجز ابن حجر ذلك كله بقوله : « فوصفه بما يَنَفّر عنه »[٢] .

وفي ترجمة الوليد بن عبدالملك أورد السيوطي تفصيلاً للفتوحات التي حدثتْ في عهده[٣] لكن ابن حجر يحذفها ويكتفي بقول الذهبي : « وفي أيامه فُتِحتْ فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب » [٤].

---

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ١٦ ب .

(٣) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ٢٦ أ .

٢ - حذف الروايات :

قد تتعدد روايات الحادثة الواحدة في كتاب السيوطي كما قد يورد السيوطي روايات لا يرى ابن حجر لها أهمية في موضوعه فنراه يحذف الكثير من هذه الروايات المتعددة للحادثة الواحدة ويكتفي ببعضها[١] .

كما يحذف ما لا يراه مفيداً ولذلك أمثلة كثيرة ، منها :

أورد السيوطي في كتابه ١٤٢ حديثاً رويتْ عن أبي بكر فيحذفها ابن حجر ولا يذكر منها إلاّ بعض الأحاديث الغريبة[٢] .

وذكر السيوطي وفاة والده قائلاً أنه توفي بعد الخليفة العباسي المستكفي بأربعين يوماً ، وهو خبر حذفه ابن حجر [٣] .

٣ - حذف أسانيد الروايات :

بما أن غرض ابن حجر أن يختصر كتاب السيوطي فإنه عمد دائماً إلى حذف أسانيد الأحاديث والروايات وهذا مما لا طائل في حصره ونكتفي أن نشير إلى بعض الروايات المذكورة عند السيوطي والمحذوفة عند ابن حجر[٤].

---

(١) مثال ذلك السيوطي : نفس المصدر ، ص ١٠٢ - ١٠٨ ؛ ابن حجر : نفس المصدر ، ورقة ١١ أ ؛ وانظر كذلك السيوطي : نفس المصدر ، ص ٣٣-٣٤ ؛ ابن حجر : نفس المصدر ، ورقة ٥ ب .

(٢) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٨١-٨٨ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ٩ ب - ١٠ أ .

(٣) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٤٧٢ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ١٣٤ ب نسخة القاهرة .

(٤) منها السيوطي : المصدر السابق ، ص ٧ ؛ ابن حجر: المصدر السابق ، ورقة ٢ أ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٩-١٠-١١؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ٢ ب . وغيرها كثير .

٤ - حذف النصوص الشعرية :

يحذف ابن حجر الكثير من الأشعار التي يوردها السيوطي في كتابه ولا ينقل منها إلا القليل .

ومن أمثلة ذلك : أنه حذف أبياتاً من الشعر وردت في ترجمة أبي بكر من كتاب السيوطي[١] ، كما أسقط ابن حجر أشعاراً ذكرها السيوطي في ترجمة علي بن أبي طالب [٢] . ولم يورد ابن حجر المكي قصيدة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في مدح الخليفة العباسي المستعين بالله وهي تقع في ثلاثة وأربعين بيتاً ذكرها السيوطي كاملة واكتفى مؤلفنا بقوله : « ومدحه شيخ الإسلام ابن حجر بقصيدة طويلة مشهورة »[٣] .

كما حذف ابن حجر المكي قصيدة طويلة تقع في ١١٦ بيتاً ألْفها السيوطي جمع فيها أسماء الخلفاء ووفياتهم ختم بها كتابه[٤] .

٥ - حذف وفيات الأعلام :

اعتاد السيوطي في كتابه أن يذكر قائمة مختارة من أسماء الأعلام الذين ماتوا في عهد كل خليفة يترجم له ، ولكن ابن حجر في اختصاره حذف

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١ ، ٨٠-٨١ ؛ ابن حجر : تعريف إخوان الصفا ، ورقة ٥ ب ، ٩ ب .

(٢) السيوطي : نفس المصدر ، ص ١٧١ ، ١٧٤ ؛ ابن حجر : نفس المصدر ، ورقة ٢١ أ - ٢١ ب .

(٣) السيوطي : نفس المصدر ، ص ٤٦٥ - ٤٦٧ ؛ ابن حجر : نفس المصدر ، ورقة ١٣٣ أ (من نسخة القاهرة) .

(٤) السيوطي : نفس المصدر ، ص ٤٧٥ - ٤٨٠ .

كل هذه الوفيات ولم يذكرها[١] .

٦ - الإضافات :

على الرغم من أن عمل ابن حجر في هذا الكتاب هو التلخيص فإننا نجدُه في بعض الأحيان يقوم ببعض الإضافات التي تُثْرِي القاريء ، فمنها :

- إضافة أحاديث. فقد أضاف حديثاً يتعلق ببيان أن الأئمة من قريش ، لم يورده السيوطي في الأصل[٢] .

- عنْوَن السيوطي الفصل الخاص بترجمة يزيد بعنوان يزيد بن معاوية أما ابن حجر جعل هذا العنوان « مساويء يزيد »[٣].

- في نهاية ترجمة عثمان بن عفان يورد ابن حجر تنبيهاً يوضح فيه أن الصحابة ليس لهم يد في قتل عثمان ما عدا محمد بن أبي بكر[٤] ، وهو تنبيه لم يذكره السيوطي .

- عندما تعرض لقصة موقعة الجمل بيّن فيها آراءه الخاصة ثم قال : « وقد بينتُ ذلك وتوابعه في كتابي الذي ألّفتُه بما حاصله .. »[٥] .

- ذكر السيوطي في ترجمة يزيد بن عبد الملك أنه أتى بأربعين

---

(١) من أمثلة ذلك انظر : السيوطي : نفس المصدر ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

(٢) انظر ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ٢ ب ؛ السيوطي : المصدر السابق ص ١٠ .

(٣) السيوطي : المصدر السابق ، ص ١٩١ ؛ ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ٢٣ ب .

(٤) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ١٨ أ - ب .

(٥) ابن حجر : نفس المصدر ، ورقة ١٩ ب .

شيخاً فشهدوا له : « ما على الخلفاء حساب ولا عذاب » ولم يعلق السيوطي على ذلك .

أما ابن ابن حجر فزاد على هذا الخبر بقوله : « كذَبُوا وافتَروْا قاتلهم الله » .

٧ - التقديم والتأخير :

قد يعمد ابن حجر إلى تقديم بعض الأخبار أو تأخيرها عن موطنها الذي وضعه لها السيوطي .

ففي وسط ترجمة أبي العباس السفاح ذكر السيوطي وفاته ثم أكمل بقية الترجمة [١] ، أما ابن حجر فقد أخّر ذكر الوفاة إلى نهاية الترجمة لأنه رأى ذلك أنسب لها [٢].

وكذلك فعل في ترجمة أبي جعفر المنصور [٣].

ذكر السيوطي في ترجمة المتوكل لقبه ولماذا تلقب به وذلك بعد أن عرض ستّ صفحات من ترجمته[٤] ، أما ابن حجر فقد أورد هذه المعلومة في أول ترجمة المتوكل [٥].

---

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ٢٩ أ .

(٣) السيوطي : نفس المصدر ، ص ٢٤٤ ؛ ابن حجر : نفس المصدر ورقة ٣٠ب .

(٤) السيوطي : نفس المصدر ، ص ٣٢٥ .

(٥) ابن حجر : نفس المصدر ، ورقة ٢٦ ب .

المصـــــادر :

أورد السيوطي في نهاية كتابة مصادره التاريخية التي اعتمدها فكانت عديدة[١] إلاّ أن ابن حجر لم يذكرها وأهمل إيرادها تماماً . وإنه من الطبيعي أن لا يذكر ابن حجر مصادره ذلك لأنه لم يكن بصدد تأليف كتاب مستقل وإنما هو يختصر كتابا سابقاً له ، لذلك لا يجد فائدة في ذكر مصادره كما أوردها السيوطي إلاّ أنه مع ذلك قد يذكر بعضها عرضاً وعندما يريد أن يبين أهمية المسألة – ولم نجد ابن حجر أضاف مصدراً واحداً على مصادر السيوطي غير مرة فريدة ذكر فيها تأليفه « تطهير اللسان والجنان » الذي أحال عليه في حديثه عن موقعة الجمل [٢] .

---

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٤٧٥ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة ١٩ ب .

٥ - تطهير الجنان واللسان عن الخُطور والتفوّه بثلب معاوية ابن أبي سفيان :

عنوان الكتاب :

ذكر تسميته ابن حجر في مقدمة الكتاب فقال : « وسميتُه تطهير الجنان واللّسان . عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان . مع المدح الجلي وإثبات الحق العلي . لمولانا أمير المؤمنين علي » [١] .

وورد العنوان في مصادر ترجمة ابن حجر مقتصراً على الجزء الأول من هذا العنوان .

ويظهر أن ابن حجر ألف كتابين في نفس الموضوع وبنفس العنوان وهو ما ذكره عنه تلميذه السيفي قائلاً : « ومؤلفان في معاوية أحدهما أبسط من الآخر وكلاهما يسمى تطهير اللسان والجنان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه »[٢] .

إلاّ أنّنا لم نعثر إلاّ على كتابٍ واحد يحمل هذا العنوان وهو الذي بين أيدينا ولا نعرف إن كان هو الأطول أم الأخْصَر [٣].

أحال عليه ابن حجر في كتابه إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفاء ورقة [١٩ ب] ولكنه لم يذكره بعنوانه تطهير الجنان واللسان وإنما

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ، ص ٤ .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ورقة ٥ ب .

(٣) ولعل جمع المخطوطات والمقارنة بينها تدلنا على وجود الإصدار الآخر للكتاب .

ذكره في حديثه عن موقعة الجمل فقال : « وقد بينت ذلك وتوابعه في كتابي الذي ألفته في معاوية » . وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم ورقة [١٢ ب ، ٢٣ أ] .

كما نسب هذا الكتاب لابن حجر كلٌّ من :

الكتاني في فهرس الفهارس [ص ٣٩٣] ؛ والبغدادي في هدية العارفين [١ : ١٤٦] ؛ وفي إيضاح المكنون [١ : ٢٩٤] ؛ وسركيس في معجم المطبوعات [١ : ٨٢]؛ ودائرة المعارف الإسلامية المترجمة [١:١٣٤][(١)].

طُبع الكتاب مع كتاب الصواعق المحرقة طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

وطبعة حديثة بتحقيق أبي عبدالرحمن المصري الإثري . دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

سبب تأليف الكتاب والغاية منه :

إنّ السبب الدافع لابن حجر أنْ يؤلف كتابه هذا هو ما ذكره في مقدمته حيث قال : « دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند وأصلحهم وأشدّهم تمسّكاً بالسنة الغراء ، ومحبة أهلها..

---

(١) وقد ألف في الموضوع مؤلفون أخرون سبقوا ابن حجر في ذكر فضائل معاوية ومناقبه منهم : أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الاهوازي المتوفي سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٧٤ م الذي الف كتاب شرح عقد أهل الإيمان في معاوية بن أبي سفيان وذكر ما ورد في الأخبار من فضائله ومناقبه ، منه قطعة قديمة تمثل الجزء السابع عشر من الكتاب محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٣٨٦٥ من ورقة ١٦٤ إلى ١٩٧ . وعليها سماع المؤلف وسنة وفاته .

كما ألف في الموضوع أبو القاسم عبيدالله بن محمد بن أحمد السقطي كتاباً عنوانه « جزء فيه فضائل أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان » . الفه سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م ، منه نسخة بالظاهرية برقم ٤٤٩٣ تقع في ٨ ورقات كتبت في القرن السابع الهجري .

وسببُ طلَبِــه ذلك أنه نبَـغَ في بلاده قوم ينتقصون معاوية – رضي الله عنه – وينالون منه وينسبـون إليـه العظائم ، مما هو بريء منه ، ... فـأجبتُـه لذلك ، وضَـامّـاً إليــه بيان مـا يُـضطَرّ إليــه من أحوال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب في حروبه وقتاله لعائشـة وطلحة والزبير ومَن معهم مِن الصحابة وغيرهــم »[١] .

أما الغاية من تأليفه لهذا الكتاب فهي تبرز لنا واضحة بعد أن تعرَّفْنا على السـبب فـقـد أراد أن يردّ على أولئك الرافـضـة الذين ظهـروا بالهند وتطاولـوا على الصحـابي الخليـفـة مـعاوية بن أبي سـفيـان فنالوه بالسب واستحلوا لعْنَـه ، وهو الصحابي الذي شهدت الكثير من الأحاديث الصحيحة بفضله ، وقد اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتباً للوحي وذكره في أحاديث كثيرة موضحاً فضله ومناقبه ، وهو ما سيظهر لنا عندما نطلع على محتوى الكتاب .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يذكر ابن حجر في مقدمة الكتاب ولا في خاتمته تاريخاً لتأليفه كما كان يفعل في كثير من كتبه ، ورغم ذلك فإنـه يمكننا أن نجْزم بأنه أَلَّفَـه قبل سنة ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م وذلك لأن هذه السنة هي التي توفي فيها الملك الهندي همايون[٢] الذي كان طلَبُـه سبباً في تأليف الكتاب .

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ، ص ٤ .

(٢) انظر ترجمـة السلطان همـايون في : العيـدروسي : النور السـافـر ، ص٢٥٥؛ ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٣٣ .

محتوى الكتاب :

بما أن الكتاب وُضع للردّ على الشيعة وأهل البدع ممن يسبّون الصحابي معاوية بن أبي سفيان ويستبيحون ذلك فإن أهم طُرُقِ ردعهم عن ذلك يكون ببيان فضله ، فقد قال ابن حجر في مقدمته :

« وبعد فهذه ورقات أَلَّفْتُها في فضل سيدنا أبي عبدالرحمن أمير المؤمنين معاوية بن صخر أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي – رضي الله عنه وأرضاه – ، وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وفي مناقبه وحروبه وفي الجواب عن بعض الشُّبَه التي استباح سبّه بسببها كثير من أهل البدع والأهواء جهلاً واستهتاراً بما جاء عن نبيّهم صلى الله عليه وسلم من المبالغة الأكيدة في التحذير عن سبّ أو نقص أحد من أصحابه ، لا سيما أصهاره وكُتّابه ومن بَشَّرَهُ بأنه سيملك أُمَّته »[1] .

أما عن ترتيب الكتاب فقد قال :

« ورتبتُه على مقدمة وفصول وخاتمة »[2] .

اشتملت المقدمة : على وجوب محبّة جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم معاوية ، ص (٤ – ٦) .

الفصل الأول : في إسلام معاوية رضي الله عنه ، ص (٧ – ٩) .

الفصل الثاني:في فضائله ومناقبه وخصوصياته وعلومه واجتهاده ،ص(٩–٢٨).

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤ .

الفصل الثالث : في الجواب عن أمور طعَن عليه بعضُهم بها، ص(٢٨-٤٣).

الخاتمة : في ذكر أمور وفوائد مجموعة وهي :

-وجوب عدم الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلافات إلا لضرورة ، ص٤٣ - ٤٤ .

- قضية مقتل عثمان ، ص (٤٤ - ٤٨) .

- خلاصة ما وقع بالجمل ، ص (٤٨ - ٥٣) .

- خلاصة ما وقع في صفين ، ص (٥٣ - ٥٥) .

- ذكر ما يتعلق بالصلح بين الحسين ومعاوية ، ص ٥٥ .

- مقاتلة علي - كرم الله وجهه - للخوارج ، ص (٥٥ - ٦٠) .

- ذكر أمور وفتن تبعتْ ما سبق واحتيج لمعرفتها ، ص (٦٠ - ٦٧) :

- منها استخلاف معاوية لولده يزيد .

- وبعض أخبار خلفاء بني أمية الأُوَل ومحاربتهم لابن الزبير في مكة .

- وبعض الأحاديث الموضوعة في لعن بني أمية وبني الحكم .

مصادره :

اعتمد ابن حجر في كتابه على أغلب مصادره الحديثية السابقة التي اعتمدها في كتابيه الصواعق المحرقة وذيله ، كما اعتمد بعضاً من الكتب التاريخية مثل :

مغازي الواقدي ؛ وسيرة الملا[١] ؛ وسيرة ابن اسحاق ؛ وكتاب

---

(١) لعله يُشير إلى سيرة مغلطاي الشهيرة . انظر ابن العماد : شذرات الذهب ٦ : ١٩٧ .

الرياض النضرة في تراجم العشرة للمحب الطبري ، وطبقات ابن سعد ؛ وتاريخ مكة للفاكهي .

منهج ابن حجر في كتابه :

إن كتاباً مثل كتاب تطهير الجنان واللّسان ، عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان يتطلب من مؤلفه أنْ يعتمد أسلوباً منهجياً يتلاءم مع موضوع الكتاب . إذ هو يدعو الناس إلى الإمساك عن ثلب الخليفة الصحابي معاوية بن أبي سفيان فلا بُدَّ من رجوع مؤلفه إلى فضائل هذا الصحابي معتمداً :

أولاً : على ما ورد فيه من الأحاديث التي تقوم حجة على فضله ومكانته في الإسلام .

وثانياً : على ما ذُكِر في كتب السيرة والتاريخ من مواقفه في العهد النبوي وأعماله الصالحة في استقرار الدولة الإسلامية بعد عصر الفتنة .

وثالثاً : على مناقشة الشيعة في ما يتقولُونه من تُرّهات ضدّ هذا الصحابي وجوابهم بالأدلة العقدية والعقلية .

أ - اعتماده على الأحاديث النبوية :

استشهد ابن حجر بأحاديث كثيرة ثَبتَتْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل الصحابة عامة ووجوب محبتهم ، واستشهد أيضاً بالأحاديث الواردة في فضل معاوية الذي جمع شرف الإسلام وشرف الصحبة وشرف النَّسَب وشرف مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ، ص ٥ ، ٩ - ١٥ ، ٣٨ .

واستشهد بالأحاديث التي أخبرتْ عن اختلاف الصحابة مع علي - رضي الله عنه - وعن موقعتي الجمل وصفين[١] .

وبعد الاستشهاد بالأحاديث كثيراً ما نجده يذكر درجة الحديث من الصحة أو الضعف [٢] .

ويحكم على الرواة ورجال الحديث من جهة الثقة أو الضعف أو الإختلاط [٣].

أما الأحاديث التي يوردها الشيعة والروافض فإنه يقابلها بالنقْد اعتماداً على نقد أئمة المسلمين من أهل السنة الذين دَحَضوا « شُبَه المبتدعة التي أخذوها تارة عن كذبهم على علي وأصحابه ، وتارة عن بقية الصحابة ثم ردّوها عن آخرها حتى لم يبْق لهم شبهة يستندون إليها ولا حجة يعتمدون عليها ، وبيّن أئمتُنا المحدّثون أنّ كثيراً مما نُقل عنهم إما كذب وإما في سنده عِلّة أو علل ، كما أشرتُ إلى كثير من ذلك في هذا الكتاب بقولي : رجاله ثقات أو رجال الصحيح أو فيهم ضعيف أو مجهول أو إرسال أو وقف أو نحو ذلك مما رأيتَه وسترى بقيّته »[٤] .

كما أورد ابن حجر في الفصل الثالث ثمانية نقاط هاجم بها الرافضةُ معاويةَ وهي أحاديث اعتمدوها في ثلبهم له فوضّح ابن حجر ضعف هذه الأحاديث وأنها موضوعة ، أو ما كان منها صحيحاً فيوضّح أنّ الإستدلال به لا

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) مثلاً نفس المصدر ، ص ٥ ، ٦ ، ٩ ، ٣١ وغيرها كثير .

(٣) مثلاً نفس المصدر ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٣٤ وغيرها كثير .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣١ .

يكون بهذا المعنى . ثم أورد الأحاديث الصحيحة التي تخالف أقوالهم وأجاب في نقاط حديثية وتاريخية على ادّعاءاتهم[١] .

ب - اعتماده على ما ورد في كتب السيرة والتاريخ :

اعتمد ابن حجر الروايات التاريخية من كتب السيرة والتاريخ للرد على الرافضة والشيعة ولبيان ما وقعوا فيه من الكذب وما أشاعوه من أخبار زائفة حول شخصية الصحابي معاوية بن أبي سفيان .

فنراه مثلاً :

- ناقش بمنهج مؤرخ في الفصل الأول قضية إسلام معاوية وهل كان إسلامه قبل فتح مكة بنحو سنة وكَتمَهُ أم أنه أسلم يوم الفتح واستدلالاته على ذلك ، واعتماده أقوال المؤرخين أمثال الواقدي [٢].

- وذكر ابن حجر أسماء من روى عنهم معاوية بن أبي سفيان الحديث النبوي وأسماء من رووا عنه من الصحابة وكبار التابعين فقال :

« إنه روى عن أبي بكر وعمر وأخته أم المؤمنين أم حبيبة وروى عنه من أجلاء الصحابة وفقهائهم ، عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وجرير البجلي ومعاوية بن حديج والسائب بن يزيد والنعمان بن بشير وأبو سعيد الخدري وأبو أمامة بن سهل ، ومن كبار التابعين وفقهائهم عبدالله ابن الحارث بن نوفل وقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيّب وأبي إدريس الخولاني ، وممن بعدهم عيسى بن طلحة ، وعبدالله بن محيريز وعلقمة بن أبي

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٨ - ٤٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧ - ٨ .

وقاص وعمير بن هاني وهمام بن منبه وأبو العريان النخعي ومطرف بن عبدالله ابن الشخير وآخرون .

فتأمل هؤلاء الأئمة أئمة الإسلام الذين رووا عنه تعلم أنه كان مجتهداً وأيّ مجتهد ، وفقيهاً أي فقيه »(١) .

- وذكر ابن حجر أخبار تولي معاوية إمارة دمشق الشام من قبل الخليفتين عمر وعثمان . وحتى نتبين منهجه في الكتابة التاريخية نستعرض قوله في ذلك الموضوع :

« وسبب ولايته لدمشق أنّ أبا بكر - رضي الله عنه - لما استُخلِف بعث الجيوش إلى الشام وولاّها يزيد بن أبي سفيان أخا معاوية فسار معه معاوية ، فلما مات يزيد استخلف أخاه معاوية على عمله فأقرّه عمر - رضي الله عنه - على ذلك مدّة خلافته وكذلك عثمان فمكث أميراً نحو عشرين سنة وخليفة عشرين ، ثم لم يبايع علياً - كرم الله وجهه - للتأويل الآتي بيانه ، واستقلّ في زمن خلافة علي بالشام ثم ضمّ إليها مصر ، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمَيْن يوم صفّين ، ثم استقل بها لما صالح الحسن ونزل له الحسن عنها باختياره ورضاه بل مع كثرة أتباعه وأعوانه ، ومع غلبة الظن بأنه لو حارب معاوية لغلبَهُ ، فلم يكن لنزوله سبب إلا خشيته - رضي الله عنه - على دماء المسلمين ... وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه ، وسُمّي ذلك

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٦ .

العام عام الجماعة ثم لم ينازعه أحد مع أنه الخليفة الحق من يومئذ »(١) .

– ووضح ابن حجر في روايات تاريخية موجَزَة معركتيْ الجمل وصفّين أنّ خروج معاوية على علي ومحاربته له لم يكن انفراداً منه بذلك الأمر « بل وافقه عليه جماعات من أجلّاء الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – كما يُعلم من السِّيَر والتواريخ ، وسبقه إلى مقاتلة علي من هو أجلّ مِن معاوية ، كعائشة والزبير وطلحة ومَن كان معهم من الصحابة فقاتلوا عليا يوم الجمل . حتى قُتِل طلحة ، وولي الزبير ثم قتل »(٢) .

– ووضح ابن حجر أنّ قتال علي ومعاوية في صفين إنما هو اجتهاد من كليهما لا يأثمان عليه « فمخطئهم كمصيبهم في أصل الثواب ، وتحري الصواب » (٣).

– وأورد ابن حجر الإختلاف في وفاة معاوية ، فقال : « واتفقوا على أنه توفي بدمشق ، والمشهور أن وفاته كانت لأربع خلون من رجب سنة ستين من الهجرة النبوية وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين وقيل ست وثمانين سنة »(٤) .

– ثم وضع ابن حجر خاتمة لكتابه تناول فيها مواقع تاريخية مشهورة مثل مقتل عثمان ووقعتي الجمل وصفين ، والصلح بين الحسين ومعاوية ومقاتلة علي للخوارج والفتن التي تلت هذه الأحداث ومنها استخلاف معاوية لولده يزيد

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٥ – ٣٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٢ – ٣٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

ومحاربة خلفاء بني أمية لابن الزبير بمكة وقتله .

ولكن قدم ابن حجر لهذه الخاتمة بمقدمة وضح فيها منهجه في الكتابة في تاريخ الصحابة وأنه يجمع المعلومات المتفرقة من كتب الأئمة السابقين ، كما يوضح بأنه رغم ترجيحه مبدأ عدم الكتابة والخوض في سير الصحابة وأحوالهم إلا أنه في بعض الحالات يكون من الواجب على العالم أن يكتب تاريخهم ليبيْن مكانتهم وفضلهم ويردّ على مَن يُسيء إليهم عن قصد أو عن غير قصد وذلك ليوضّح للعوام صورة الصحابة الصحيحة وليردّ على بعض التآليف التي وُضعت في تاريخ الصحابة وأوردتْ جميع الأحاديث والروايات حول أخبارهم . وقد تكون تلك الأحاديث والأخبار ضعيفة أو موضوعة أو صحيحة إلا أن المؤلف يوردها جميعها دون أن يوضّح زيف موضوعها ودون دراسة سند ذاكريها مما يسيء إلى الصحابة ويُنقِص درجاتهم ، وهم أعلى وأجلّ من ذلك .

ومن هؤلاء الذين كتبوا في تاريخ الصحابة دون تمحيص ابن قتيبة فقال عنه ابن حجر : « ومع تآليف صدرت من بعض المحدثين كابن قتيبة مع جلالته القاضية بأنه كان ينبغي له أن لا يذكر تلك الظواهر »(١) .

– نجد ابن حجر يكتب تاريخ الخلفاء ليذكر أخبارهم التاريخية من مصادر حديثية موثوقة فيورد القصة بدقة وصحة مثلما فعل عند ذكره لقضية مقتل عثمان – رضي الله عنه – فقال : « قضية عثمان وهي عجيبة مبسوطة في كتب السِّيَر والتواريخ وفيها أشياء كثيرة لم تصحّ فلا تغتر بها ، وحاصل ما جاء في ذلك باختصار أن عثمان .. » .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٣ – ٤٤ .

ثم يورد الرواية التاريخية لقصة الكتاب الذي زُوِّرَ عنه على أنه أرسله إلى عامله في مصر بقتل الوفد الذي كان بالمدينة ، وكان ذلك الكتاب سبباً في أن يعود الوفد للمدينة ويستحلّوا قتل عثمان . فذكر ابن حجر الأحداث مفصلة ثم ذكر تاريخ مقتل عثمان وعمره ومكان دفنـــه . وقال في ختام كلامه : « هذا ما يتعلق بقتل عثمان – رضي الله عنه وأرضاه – وبما تقرّر فيه تعلم أنّه الخليفة الحق وأنه مات على الحق وأنّ قاتليه بعضهم فَسَقَة ملحدون وبعضهم بغاة لهم تأويل باطل وأنه مات مظلوماً شهيداً »[1] .

– وذكر ابن حجر موقعة الجمل تحت عنوان : « خلاصة ما وقع بالجمل » فوضح أن علياً كان على الحق وأن عائشة ومن معها من الصحابة معذورون وكذلك معاوية ، ووضّح أنّ هذه الروايات يجب أن تؤخذ من كتب الثقات حتى لا يكون فيها مجال لكذب أو ادعاء فقال : « واعلم أنه قد رُوي هنا أيضاً أمور لا أصل لها فلا تقنع لشيء مما تراه في كتب السير والتواريخ إلا إن رأيته في كلام حافظ وقد بيّن سنده ونقله ثقة عنه »[2].

ثم أورد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تنبّه الصحابة لما سيقع بينهم وخاصة ما سيقع بين عائشة وعلي والزبير وطلحة وغيرهم ، وما سيكون من قتالهم .

ثم أورد الروايات التاريخية الموثقة على منهج المحدثين عن أحداث موقعة الجمل وأن عائشة ومن معها إنما خرجو للمطالبة بدم عثمان وأنّ علياً كان على الحق إلاّ أن عائشة والصحابة متأوّلون ، فهم محقون أيضاً[3] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٤ – ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٨ – ٥٣ .

– وأورد ابن حجر قصة التحكيم في يوم صفين بين أبي موسى الأشعري من جهة علي وعمرو بن العاص من جهة معاوية ، واحتيال عمرو على أبي موسى حتى خلع علياً ثم برز عمرو وولى معاوية . ولهذه الخدعة لم يعترف علي وأصحابه بذلك الخَلْع[١] .

– كما ذكر ابن حجر تنازل الحسن بن علي لمعاوية على الخلافة حقناً لدماء المسلمين[٢] .

– ثم وضح ابن حجر خروج الخوارج على علي بعد قبوله صلح معاوية إثر وقعة صفّين وأنهم كانوا « بضعة عشر ألفا وسيأتي في رواية أنهم أكثر وأُخرى أنَّهم أقل »[٣] . فاستشار علي أصحابه في أن يسير لمعاوية أو يخرج لقتال هذه الطائفة المنشقّة فأشاروا عليه بالخروج لقتال الخوارج . فخرج إليهم علي وقاتلهم بالنهروان وانتصر عليهم ثم عاد إلى الكوفة . وكان مقتله وتولية الحسن الذي أرسل بالبيعة لمعاوية فبايعه الناس »[٤].

– وأورد ابن حجر استخلاف معاوية لولده يزيد وإرسال يزيد جيش مسلم بن عقبة لقتال ابن الزبير الذي أعلن الخلافة بمكة فقدم مسلم المدينة واستباحها ثم مات في طريقه إلى مكة واستخلف على الجيش حصيناً الكندي الذي قاتل ابن الزبير في مكة إلى أن وصلَتْه الأخبار بموت يزيد[٥].

---

(١) نفس المصدر ، ص ٥٣ – ٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٦ – ٦٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٠ – ٦١ .

- وذكر ابن حجر تولية مروان نفسه الخلافة وإرسال عبدالله بن الزبير بجيش لقتاله إلاّ أن مروان حمل عليهم وقتل أميرهم - ثم ما كان من وفاة مروان وتولّي ولده عبد الملك الذي أرسل الحجاج بجيش لمكة لقتال ابن الزبير ، ووصف ابن حجر الموقعة بينهما وانتصار الحجاج ومقتل ابن الزبير(١) .

ج - مناقشة ابن حجر للشيعة :

اعتمدتْ ردود ابن حجر على آراء الشيعة أساليب متعددة فمن أكثرها عدداً استشهاده بالأحاديث الصحيحة لتردّ أكاذيبهم ، وعرضُه للأحاديث الموضوعة والضعيفة التي يروّجونها ثم إسقاطها بالأدلة الحديثية القوية . وهو ما وضحناه في الفقرات السابقة .

كما اعتمد الروايات التاريخية التي يعرضها ليصحّح ما في أقوالهم مِن ترهات ويردّ بها على أكاذيبهم مما تبين للقارىء في الفقرات السابقة أيضاً . ولكن ابن حجر يؤكد على أمرين في نهاية أغلب ردوده على الشيعة وأهل البدع :

أولهما : الأوصاف التي يصف بها أصحاب هذه الأقوال الكاذبة .

ثانيهما : تحذير المسلمين من أهل السنة من الوقوع في أخطاء الشيعة ودعوتهم للإعراض عنهم وعدم سماع أقوالهم والإنصراف عن مجادلتهم .

أما الأوصاف التي كان يصف بها أهل البدع من الشيعة فإنها كثيرة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٦١ - ٦٢ .

نكتفي بذكر أمثلة منها :

- بعد أن يعرض الرد عليهم يقول : « فعُلِم افتراء الشيعة وعظيم بهتانهم وكذبهم في زعمهم »[١] .

- ويصف رده عليهم بأنه « يقطع أعناق الطاعنين على معاوية ويقصم ظهور المعاندين والغالين فيما نسبوه إليه » [٢].

- أو يقول بعد الرد : « اندفع ما طعن كل طاعن عليه وبطل سائر النقائص المنسوبة إليه » [٣].

- أو قوله « زعم بعض الملحدة الكذبة الجهلة الأغبياء والأشقياء إخوان الضلالة والعناد والبهتان والفساد » [٤]...

- أو قوله عنهم : « وإنهم كالأنعام بل هم أضل ، إذ لا يروج أن هذا حديث إلا على أحمق عُدِم حسه وحقّق الله خذلانه وأظهر على رؤوس الخلائق كذبه وتعسه ... فقبّحه الله وخذله ، وأخْمَله وأخبله ، إنه الجواد الكريم »[٥] .

- وقوله « وأما تكفير طائفة من الرافضة لكل من قاتلهُ (علي بن أبي طالب) فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا، فلا يتأهلون لخطاب ، ولا يوجَّه إليهم جواب ، لأنهم معاندون ، وعن الحق ناكثون ، بل أشبهوا كفار قريش في العناد والبهتان ، حتى لم تنفعْ فيهم معجزة ولا قرآن ، وإنما النافع

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

لهم القتل والجلاء عن الأوطان ، كيف وهم لا يرجعون لدليل ، وشفاء العليل منهم كالمستحيل » [١].

– ويصف المتعنت منهم بقوله : « فهو ضال جاهل أو معاند فلا يُلتفَت إليه ولا يعوّل عليه »[٢] .

– وأما أقواله في تحذير المسلمين من الوقوع في حبائل الشيعة فهي كثيرة في هذا الكتاب ، أهمها :

– قال في ذلك : « فتفطنْ لذلك إن أردتَ السلامة في دينك من الفتن ، والإبتداع والعناد والمحن ، والله الهادي إلى سواء السبيل »[٣] .

– وقال : « وجب على كلّ من فيه أهلية أنْ يُقرّ هذا الحق في نصابه ، وأن يردّه إلى إهابِه ، وأن لا يُصغي إلى ترهات المضلّين ونزغات المبطلين[٤] .

– وقوله بعد إثبات الفضل لمعاوية ونسبِه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعلك تنفكّ أو تكفّ غيرك عن الخوض في عرض أحد ممن اصطفاهم اللّه لمصاهرة رسوله وأدخلهم في حيطة قرْبِه وتكميله فإنّ الخوض في أحد مِن هؤلاء هو السمّ الناقع والسيف القاطع ومن تحسّى مثل هذا السمّ كانت نفسه رخيصة عليه ، وشهوته جارة لكل سوء إليه ، ومن هو كذلك لا يبالي اللّه به في أيّ وادٍ هلَك ، ولا في أيّ ضلال ارتبك ، أعاذنا الله من غضبه ونقمه ، بمنّه وكرمه ، آمين » [٥].

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٨ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٣ .
(٥) نفس المصدر ، ص ١٤ .

– وقوله : « فتأمل ذلك ليزداد اعتقادك أو لتسلم من الغباوة والعناد والبهتان »[١] .

– بعد أن استشهد ابن حجر بأقوال الإمام علي في معاوية وفضله قال : « وبعد أن أحاط خبرك هذا كله من علي لم يبْقَ لك عذرٌ بوجه في الإعتراض على أحد من الصحابة فيما وقع منه مع البقية فتنبَّه لذلك ونبه الناس عليه فإنه لا أنفع في المعترضين من كلام عليّ هذا »[٢] .

– وقال في حديث موضوع استشهد به الرافضة : « ووجوب الإعراض عنه وأنه لا يحلّ روايته إلا لتبيين أمْرِه وإظهار كذب ناقِلِه »[٣].

– وقال : « فعليك باتباع ما قَرَّرناه ، واعتقاد ما حرّرناه ، فإن فيه إدحاضاً للمبتدعين ، وإخماداً للمعاندين ، وتعليماً للجاهلين وإرشاداً للمتعلمين »[٤].

– وقال عنهم : « بل الواجب على كل مسلم أن يعتقد أنّ علياً هو الإمام الحق وأن مقاتليه بغاة عليه وأنّ كلاً من الفئتين معذور مثاب مأجور»[٥].

– وقال عن الأحاديث الموضوعة :« ورووا في ذلك أحاديث كلها كذب وبهتان اخترعوها مِن عند أنفسهم لترويج اعتقادهم الفاسد، فلا يحلّ روايتها ولا الإصغاء إليها »[٦] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٦-١٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٨ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

والأمر الثاني الذي اعتمده ابن حجر في مناقشته للشيعة تنبيهُه الناس إلى أنّ الشيعة والرافضة يُحْسِنون الجدال ، لذا فهو يدعوهم إلى الإعراض عنهم وعدم مجادلتهم فقال : « تنبيه ، جاء في الحديث الصحيح إن قوة الجدل بالباطل والقدرة عليه من علامات الضُّلال ، وأصل ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [1] وحينئذ فاحذر أيّها الموفّق أنْ تسترسل مع مبتدع في جدل أو خصام ، فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية والآيات القرآنية لم يُصْغِ إليك واستمر على بهتانه وعناده لأن قلبه أُشْرِب حبَّ الزيْغ عن سنن أهل السُّنّة ، وخلفاء التوفيق والمنة ، اقتداء بكفار قريش الذين لم تنفع فيهم حجة ولا قرآن ، بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والشنآن . فكذا هؤلاء المبتدعة الكلام معهم عيٌ فاعرض عنهم رأساً وابذل جهدك فيما ينفعك الله به في الدنيا والآخرة »[2] .

---

(١) القرآن : الزخرف : ٥٨ .

(٢) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ، ص ٦ .

٦ - مبلغ الأرب في فخر العرب :

هو مخطوط لم يطبع .

اطلعْتُ منه على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مجاميع تاريخ برقم ٥/١٤٢ - تقع في ١٤ ورقة (من الورقة ١٢١ - ١٤٥) لم يُذكَر ناسخها ولا تاريخ نسخها - إلاّ أنها جميلة الخط مع كثرة أخطائها .

نَسَبه له السيفي في نفائس الدرر ورقة [٣ أ] ؛ والبغدادي في هدية العارفين [١ : ١٤٦] ؛ إيضاح المكنون [٢ : ٤٢٥] ؛ والزركلي : الأعلام [١ : ٢٣٤] ؛ وجرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية [٣ : ٣٣٥]؛ وكحالة : معجم المؤلفين [٢ : ١٥٢] .

محتوى الكتاب :

ذكر المؤلف في مقدمته أنه رتَّبه « على مقدمة وفصول وخاتمة » دون أن يذكر عدد الفصول .

وباطّلاعنا عليه وجدنا أنّ فصوله ٥٣ فصلاً ، وهي كمايلي :

ورقة [١٣١ أ] - المقدمة .

[١٣١] - فصل : في أبي العرب .

[١٣١ب] -فصل:في حُب العرب من محبّة النبي صلى الله عليه وسلم.

- فصل : ينبغي محبّة العرب لثلاث .
- فصل : يُقال العرب نور في الإسلام .
- فصل : ذل العرب ذل الإسلام .
- فصل : بغض العرب مفارقة الدين .

[١٤١ أ] – فصل:تُجِيب يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في نسبه.

– فصل : تميم يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في نسبه.

[١٤١ ب] – فصل : ثقيف يجتمعون معه صلى الله عليه وسلم في نسبه .

– فصل : جُذّام ينتسبون إلى حضرموت الأكبر .

[١٤٢ أ] – فصل : جُهيْنة ينتسبون لقضاعة .

– فصل : حضرموت خير من بني الحارث .

– فصل : حِمْير قبيلة باليمن .

– فصل : خولان العالية من قضاعة .

– فصل : دوس بطن كبير من الأزد .

– فصل : السكاسك والسكون بطنان كبيران من كندة .

[١٤٢ ب] – فصل:سُليم يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في نسبه.

– فصل : بنو ضبيعة بن ربيعة يجتمعون معه في نسَبِه .

– فصل : طي يجتمعون معه في نسبه .

– فصل : بنو عامر بن صعصعة يجتمعون معه في نسبه .

[١٤٢ ب] – فصل : بنو عاملة يجتمعون معه صلى الله عليه وسلم في نسبه.

– فصل :عبدالقيس يجتمعون معه صلى الله عليه وسلم في نسبه.

[١٤٣ أ] – فصل : بنو عبيد بطن من تميم يجتمعون معه في نسبه .

– فصل : بنو عذرة بن سعد بن قضاعة .

[١٤٣ أ] – فصل : بنو العنبر من تميم ويقال فيهم بلعنبر يجتمعون معه صلى الله عليه وسلم في نسبه .

– فصل : عنزة حي من ربيعة يجتمعون معه في نسبِه .

– فصل : غفار يجتمعون معه في نسبه .

– فصل : قيس ويمن يجتمعون معه في نسبه .

– فصل : بنو كعب يُطلقون على قبائل متعددة .

– فصل : لهم قبيلة باليمن .

– فصل : مذُحج قبيلة باليمن تجتمع معه في النسب .

[١٤٤ أ] – فصل : بنو مرة بن عُبيد بطن من تميم .

– فصل : مزينة يجتمعون معه في نسبه .

– فصل : بنو مضر بن نزار في صلب النسب الشريف .

– فصل : بنو باغتة بطن مِن قريش .

– فصل : النُخَـع قبيلة كبيرة من مذحج .

– فصل : همدان يجتمعون معه في نسبه .

[١٤٤ ب] – فصل : هوازن من قيس عيلان يجتمعون معه صلى الله عليـه وسلم في نسبه .

– خاتمـــــة .

منهج ابن حجر في كتابه :

لم يضع ابن حجر منهجاً لكتابه هذا لأنه لم يكن إلاّ مختصراً لكتاب آخر في الموضوع وهو كتاب محجّة القُرَب إلى محبّة العرب[١] تأليف الزين عبدالرحيم بن حسين العراقي (المتوفي سنة ٨٠٦هـ /١٤٠٤م)[٢] وقد ذكر ابن حجر في مقدمة كتابه أنه أراد أن يضع رسالة مختصرة في فضل العرب وقال : « ولما عزمتُ على هذا المقصود النافع إن شاء الله تعالى رأيتُ لشيخ الإسلام والحفاظ أبي الحسين عبدالرحيم العراقي تأليفاً في ذلك حافلاً لكنه طوّله بالأسانيد الكثيرة والطرق المستفيضة الشهيرة فقصدْتُ اختصاره في دُون عُشُرة بحيث لا أفوّت شيئاً من مقاصده وفوائده »[٣] .

فهو اختصره إلى دون عُشُرة بحذف أسانيده . وقد جمع فيه العدد الكبير من الأحاديث الصحيحة والآثار التي تَذْكُر فضل العرب بمختلف قبائلهم مع ربط أنسابهم واجتماعهم مع النسب النبوي الشريف .

وعرض القبائل مرتبة على حروف المعجم .

---

(١) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٢ : ٤٤٢ – طبع الكتاب بالهند سنة ١٣٠٣هـ ، انظر سركيس : معجم المطبوعات العربية ص ١٣١٨ .
وقد ذكره الشلي في المشرع الروي ١ : ٢٣٢ بعنوان « القرب في محبة العرب » .

(٢) هو من مشاهير المحدثين والحفاظ – انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٥ : ٢٠٤ .

(٣) ابن حجر : مبلغ الأرب ورقة ١ ب – ٢ أ – نلاحظ بأن الزين العراقي اختصر كتابه المذكور في كتيب عنوانه « انفع القرب في بيان فضل العرب » ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ٢ : ٤٤٢ وهدية العارفين ١ : ٥٦٢ – ويبدو أن ابن حجر لم يعلم بوجود هذا الاختصار الذي وضعه العراقي فألف كتابه (مبلغ الأرب) .

الغرض من تأليف الكتاب :

ذكر ابن حجر في مقدمة كتابه الأسباب التي دعتْه إلى تأليف كتابه قائلاً : « وبعد ، فإن كثيرين من الفرِق الأعجمية ، والطوائف العنادية ، جُبلوا على بُغض العرب . وقد كَثُر مِن جمع جمّ لا خَلَاق لهم الوقيعة فيهم والاستهتار بحقوقهم ، فقصدتُ أن أتحفهم برسالة مختصرة جداً لتكون – إن شاء الله تعالى – كافَّةً لمن اطلع عليها أن يخوض فيهم بأدْنَى كلمة وإلا حَقَّتْ عليه الكلمة ، فإن الجاهل قد يُعذَر . بخلاف غيره ، فإنه ربما عاجَلَه ما يُخاف ويُحذر »(١) .

إن ما في كلام ابن حجر هذا دليل على تفاقُم أَمْر العصبية ضد العرب ، وكثرة مَن يعاديهم مِن الأمم المعايشة لهم في ذلك العصر . ولا شك أنّ ابن حجر لاحظ هذه الظاهرة في مجتمعه فأراد أن يَضع رسالته هذه ليُنبّه الناس إلى خطأ مواقفهم وخَطَره على الوحدة الإسلامية ويدعوهم إلى ترك عوامل التشتت والعداوة بين المسلمين .

وبما أن الخطأ يتمثل في احتقار العرب والتعصّب ضدّهم فقد لجأ ابن حجر إلى اختصار كتاب الحافظ العراقي الذي جمع فيه الأحاديث العديدة المنبّهة إلى فضل العرب ومَفَاخرهم . ولا يخفى علينا أنّ ابن حجر عاصر مرحلة انتشار السلطة العثمانية على أغلب الدول العربية في المشرق العربي .

فقد خضعتْ مصر والحجاز لسلطة العثمانيين سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م عندما كان شاباً يافعاً وورد على مكة المكرمة سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م وقد قويتْ شوكة العثمانيين بها وظهرت في سياسة العثمانيين كثير من مظاهر الشدّة في

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ١ ب .

سياستهم نحو العرب ، مما جعل بعض موظّفي الدولة العلية وبعض أتباعها يسيؤون التصرّف مع المواطنين من العرب مما أثار بعض الخلافات والمشاكل الإجتماعية .

ففي مكة أثارت هذه الظاهرة من سياسة العثمانيين العديد من الإضطرابات الإجتماعية والخلافات الخطيرة بين الأشراف حُكّام مكة العرب من جهة والعثمانيين من أمراء جدة وقواد الجيش وغيرهم من الأتراك . فقد أظهرت هذه الخلافات منذ بداية قيام السلطة العثمانية على الحجاز مظاهر من ظلم العرب وإساءة معاملتهم .

ففي سنة ٩٢٥ هـ /١٥١٩م منع السلطان سليم أبناء العرب من دخول الروم ، ومن دخلها مُنِع من الخروج منها[١] .

وفضّل الموظفون العثمانيون أبناء الروم والأعاجم على أبناء العرب في تفرقة الصدقات [٢].

كما أساء جنود الأتراك معاملة أهل مكة واستولوا على بيوتهم[٣] .

وكثيراً ما كانت تقوم الفتن بين أهل مكة وساستها وبين كبار موظفي العثمانيين وجيوشهم ، فيموت في معاركهم الناس من الجانبين [٤] .

ولا شك أن هذه السياسة العثمانية في الحجاز أثرت أثراً سيئاً في المجتمع فظهرتْ عوامل التفرقة والتشتّت بين أفراده وهو ما دفع بابن حجر أنْ يبادر إلى وضع اختصاره هذا .

---

(١) جار الله بن فهد : نيل المنى ورقة ٣٧ ب .

(٢) نفس المصدر ورقة ٤٠ ب .

(٣) الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ص ٣٤ .

(٤) من أمثلة ذلك حادثة رواها ابن إياس في بدائع الزهور ٥ : ٣٢٢ ، وحوادث كثيرة ذكرتْ في تواريخ مكة .

٧ - المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة :

لم يزل هذا الكتاب مخطوطاً ولم يُطبع ، اطلعت منه على نسختين :

أولاهما : بدار الكتب المصرية برقم ١٨٩٢ تاريخ طلعت في ٢٧ ورقة نسخ سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م .

والثانية : في مكتبة مكة المكرمة برقم ٦٥ فتاوى تقع في ١٧ ورقة نسخت سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م . وهي النسخة التي اعتمدتها في دراسة الكتاب .

نسبه له ثلاثة من معاصريه ، وهم :

قطب الدين النهروالي (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) الذي حضر معه الحوادث المسببة لتأليف هذا الكتاب . فقد ذكره النهروالي في تذكرته لوحة [١٦-١٨] .

وأعاد ذكره مرة أخرى في تأليفه الذي عنوانه الاعلام بأعلام بيت الله الحرام [ص ٥٩ - ٦١] . وذكره المؤرخ عبد القادر الجزيري (ت ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) في كتابه الدرر الفرائد [ص ٢٢] .

كما ذكره ونسبه له السيفي في نفائس الدرر ورقة [٥ أ] ؛ أما من غير معاصريه فقد ذكره ونسبه له محمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م) في كتابه السنا الباهر ورقة [٢٣٨ أ - ب] .

كما ذكر كتاب المناهل العذبة في فتاوى بعض المفتين المكيين من رجال القرن الحادي عشر متعلقة بأحكام بناء بيت الله الشريف منها فتوى حفيد ابن حجر وهو عبد العزيز بن محمد الزمزمي (ت١٠٧٢هـ/١٦٦١م)(١)

---

(١) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ، ص ٢٥٩ .

وفتوى خالد بن أحمد الجعفري المكي (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤م)[١] وفتوى عبدالله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي الحنبلي من رجال القرن الحادي عشر – وهذه الفتاوى ضمن كتاب بعنوان « صورت فتواي بناي بيت الله العظيم » نسخته محفوظة بالمكتبة الوطنية النمساوية بفينا برقم ٢٤٦٧٦ .

كما نَسَبَ هذا الكتاب لابن حجر مؤرخ مكة علي السنجاري (ت١١٢٥هـ/١٧١٣م) في كتابه منائح الكرم [٢ : ٤٥٩] ، ومحمد بن علي الطبري (ت ١١٧٣ هـ/١٧٥٩م) في كتابه إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن [ص ٦٩ – ٧١] ، والبغدادي في إيضاح المكنون [٢ : ٥٦٥] ، وهدية العارفين [١ : ١٤٦] .

على الرغم من أن هذا الكتاب وضعه ابن حجر ليكون فتوى تبيّن الحكم الفقهي لإعادة بناء سقف الكعبة وجدرانها ، وليكون قولاً يحسم الخلاف بين الفقهاء في عصره في هذه المسألة إلاّ أنه اشتمل على العديد من الأخبار التاريخية المتعلقة ببناء الكعبة ، لذلك وجدنا صداه والنقول عنه في العديد من الكتب التاريخية التي وضعت في تاريخ مكة .

أسباب تأليف الكتاب وتاريخه :

ذكر ابن حجر أسباب تأليف الكتاب في مقدمته قائلاً : « وبعد : فإنه ورد في أوائل سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩هـ / ١٥٥١م) أوامر مولانا سلطان الإسلام والمسلمين ومُبيد الكفرة والمبتدعة والملحدين ، ظل الله في أرضه ، القائم بأوْفَى غايات العدل في سُنَنه وفرضه ، الملك العادل الأفخم ، والخاقان الكامل المعظم ، السلطان ابن السلطان الحادي عشر من ملوك بني

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر ٢ : ١٢٩ .

عثمان الملك المظفر شاه سليمان ، أدام الله على أهل الإسلام عدله ومسرّته ، وعلى أهل الشرك والبدعة سطوته ونقمته ، وأباد بسيوف قهْرِه وعدله غياهب المحن ، ومواقع الفتن ، وأدام ملكه الأعظم الأعدل الأفخم في ذريته الطاهرة ، وبلّغه أعظم مَأمُوله في الدنيا والآخرة آمين . بتعمير ما تشعَّث في الكعبة المعظمة لعرض قاضي مكة بسؤال سدنتها على نائب مولانا السلطان بمصر المحروسة الوزير علي باشا فإن سقفها صار ينزل منه الماء الكثير من المطر وأنّ ذلك ربما آذى وأضرّ ، فعرض علي باشا ذلك على أبواب مولانا السلطان الزكية وسُدَّتُه العلية فتحرّى - عزّ نصره ، وزاد عزه وبرّه - جرياً على ما انفرد به هو وجميع آبائه الأكرمين من بين سائر الملوك والسلاطين أن لا يبرموا أمراً إلاّ بعد مشاورة العلماء لا سيما إمامهم ومفتيهم المقدم على جميع القضاة والمفتين واستفتى مولانا إنسان عين الزمان ، وخليفة النعمان ، ومحقق الأعصار المتأخرة ، ومدقق المباحث العويصة المقرَّرة ، إمام الإفتاء بالباب العالي ، المحفوظ بصلاح نية مولانا من صروف الأيام والليالي ، عما أنهاه إليه سدنة الكعبة فأفتاه بما هو الحق الواضح من إصلاحها على ما يليق بحُرْمَتها فكُتبتْ المراسم الخنكارية لعلي باشا أن يعين لذلك من مماليك مولانا السلطان مَن يراه فعَيّن علي باشا لذلك الأمير أحمد بيك رئيس كُتّاب خزانة مصر المحروسة كان ذلك بعد أن عَيّنَ له مِن الأموال ما يليق بذلك فقدم بها مع الآلات إلى مكة ثم أراد الشروع في ذلك نازعه فاتحِها ، فأحبّ الناظر أن لا يستبد بأمرٍ حتى يجمع جمعا من علماء مكة لينظر هل يطابقون ما أفْتى به مفتي السلطان أو يخالفونَهُ فأرسل هو وقاضي القضاة بمكة الرومي الحنفي إلى أولئك بعد صلاة الجمعة سادس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين (٩٥٩هـ/١٥٥١م) وعُقِد مجلسٌ حافل وكان من جملة ما فيه أن قال فاتح الكعبة: هي لا تحتاج إلى ما يريدون فعْله فيها. فأحضر مهندس السلطان ومعه

آخر وشهدا أنّ فيها خشبتين مكسورتين من سقفها وخشبة ثالثة لم تنكسر لكنها نزلت عن محلّها تسعة قراريط فحينئذ استُفْتِيَ الحاضرون عن ذلك وكنت معهم فأفتيتُ بأن ما صلاحُه ضروري يُصَلح وبأنه ينبغي أن يُضَمّ إلى هذين الشاهدين بعض أهل الخبرة حتى يطيب خاطر فاتِح الكعبة، فوافق الناظِر والقاضي والحاضرون على ذلك وكذا فاتح الكعبة وزاد إنه ينبغي كشف ما على الخشب المدَّعَى انكساره فإن تحقق أُصْلِح والا رُدّ كل شيء إلى محلّه فوافقوه أيضاً ثم كُتِب في المجلس ورقة بذلك جميعه وقرىء على الحاضرين وكان منهم جماعة من المالكية والحنفية ثم تفرّقوا على ذلك .

ثم أراد الناظر الشروع في ذلك فتوقّف بعض سَدَنَتها في ذلك وعُقِد مجلس آخَرُ أكثر جمعا من الأول فدار الكلام بينهم في تلك المسألة فكثُر اختلافهم ، ولم أكن حاضراً فيه ، فقيل : إن منهم مَن قال كما قلناه لا يُصْلَح إلاّ ضروريَّ الإصلاح ، ومنهم مَن قال : هذا كلام غير صحيح بل لا يُتَعرَّض لها بشيء أصلاً حتى يقع منها شيء فَيُردَّ إلى محلّه ، ومنهم من قال لا يصلح وإنْ وقع سقفها لأنَّها كانت في الجاهلية غير مُسَقّفة ، ومنهم مَن قال : كيف يُقَال بإصلاحها وبقاؤها على ممر الاعصار خرقاً للعادة من الآيات الباهرة .

ثم تفرقوا من ذلك المجلس ولم يتخلصوا منه على شيء يُعلم اتفاقهم عليه . فعند ذلك أظهر الناظر إفتاء المفتي السابق ذكره ولم يكن أظهره قبل ذلك وكتبَهُ في سؤال ، ثم كتب بعده ما وقع في المجلس ثم رفعه إلى أولئك الحاضرين مستفتياً لهم هل يوافقون ما قاله المفتي مِن اصلاح الضروري والحاجي فيعمل بما أفتى به أو يخالفونه فيبيّنون سنَد المخالفة من النقل ليعرض عليه كلامهم وينظر الصواب مع أيّ الفريقين . فالأكثر كتب بنحو كتابة المفتي ، وبعضهم امتنع من الكتابة ، وأرسلوا إليّ لأكتب فقلتُ لهم : لم أحْضر

هذا المجلس وقد حضرتُ المجلس الأول وضبطتم ما قلتُه فيه مما ظهر موافقته لما أفتى به المفتي .

وحينئذ كثر كلام العامة ونقل البيان أنّ الموافقين للمفتي إنما وافقوه خشية الفتنة وأن الذي عليه أكثرهم إنما هو عدم إصلاحها مطلقاً حتى يسقط ما يراد إصلاحه . فلذلك عزمتُ بعد الإستخارة على بيان ما للعلماء في هذه المسألة مما يدل على الجواز أو المنع مع حمْل كلٍّ من تلك العبارات على ما يتعيّن حمله عليه ، ويتبادر كل ذهن سليم إليه .

فشرعتُ في ذلك أول شهر ربيع الثاني سنة تسع [وخمسين وتسعمائة] (٩٥٩هـ/١٥٥١م) وقد شرعو في الإصلاح على ما وقع في الإفتاء السابق ، مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ومفوّضاً سائر أموري إليه لا ربّ غيره ، ولا مأمول إلاّ برّه وخيره ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسمّيتُ هذا التأليف بالمناهل العذبة في إصلاح ما وَهى من الكعبة »[١] .

وقد أورد معاصره قطب الدين النهروالي في تذكرته أخباراً إضافية مكملة تبيّن بعض التفاصيل عن هذه الحادثة ومواقف الناس والعلماء وأرباب السلطة منها[٢] .

محتوى الكتاب :

وقال ابن حجر عن محتوى مؤلَّفِه هذا : « ورتّبتُه على مقدمة وأربع

---

(١) ابن حجر : المناهل العذبة ورقة ١ ب - ٢ أ - ب نسخة مكة المكرمة .

(٢) النهروالي : التذكرة لوحة ١٦ - ١٨ - والإعلام ص ٥٩ - ٦١ .

مقاصد وخاتمة . أما المقدمة ففي تحرير ما أفتيتُ به . وأما المقاصد فأوّلها في بيان كلام أئمتنا في ذلك ، وثانيها في كلام الحنفية ، وثالثها في كلام المالكية ورابعها في كلام الحنابلة . وأما الخاتمة ففي تتمات وفوائد تتعلّق بذلك »(١) .

وتفصيل ما في المقدمة والمقاصد والخاتمة كما يلي :

ورقة [٢ ب - ٣ ب] المقدمة : تضمّنت إفتاء الفاسي بإصلاح الكعبة وإنّ وجه التعظيم يكون في إصلاحها وذلك لأنّ تركها متهدّمة يُزيل هيبَتَها من قلوب الناس .

كما تعرَّض ابن حجر لفتوى الإمام محبّ الدين الطبري في الموضوع ونقل عنه ما رآه بخطه في ذلك معتمداً عليها في فتواه .

ورقة [٣ ب - ٩ أ] المقصد الأول : وفيه خمسة مباحث :

الأول : جواز الإهداء والنذر إلى الكعبة . وما يُهدى ويُنْذَر إليها يُصرف عليها منه لإصلاحها وهذا يدلّ على جواز الإصلاح فيها .

الثاني : آراء وأقوال العلماء في هدم الشاذروان وإعادته إلى ذراع ومنهم الأزرقي والطبري .

الثالث : الإستدلال بجواز الإصلاح في الكعبة بسكوت العلماء في العصور السابقة على ذلك . من ذلك موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز والإمام سعيد بن المسيب من إصلاحات الوليد بن عبدالملك .

---

(١) ابن حجر : المناهل العذبة ، ورقة ٢ ب .

الرابع : جواز إصلاح الكعبة إعتماداً على خبر هَدْمها وإعادة بنائها على يد ابن الزبير .

الخامس : عرض آراء وأقوال العلماء وأئمة المذاهب في جواز أو تحريم هدم الكعبة واعادة بنائها .

ورقة [٩ أ] – المقصد الثاني : أقوال علماء الحنفية في الموضوع ومنهم معاصره مفتي الحنفية الذي حكم بالجواز .

ورقة [٩ أ – ٩ ب] – المقصد الثالث : آراء المالكية ومنهم الفقيه ابن بَطَّال في شرحه على البخاري وقوله بجواز إنفاق المال على إصلاح الكعبة مع ذكر مواقف التقي الفاسي المكي المالكي من إصلاحات الكعبة وحضوره لذلك وإقراره له .

ورقة [٩ ب] – المقصد الرابع : بيان مذهب الحنابلة في ذلك وجواز تغيير وإصلاح الكعبة عندهم .

ورقة [٩ ب – ١٧ أ] – الخاتمة : اشتملتْ الخاتمة على ثلاثة أمور وخمس تنبيهات جاءت كمايلي :

الأمر الأول : عرض فيه سكوت العلماء على إصلاحات الكعبة المشرفة التي وقعتْ في العصور المختلفة وهي :

- بناء ابن الزبير والحجاج .
- بناء الوليد بن عبدالملك .
- بناء المتوكل العباسي سنة ٢٤١هـ/١١٥٥م .
- عمارة سقفها ودرجتها سنة ٥٤٢هـ /١١٤٧م .

- إصلاح رخامها سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م في عهد المستنصر العباسي.

- تجديد رُخامها سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م زمن المظفر الرسولي صاحب اليمن .

- إصلاحها سنة ٨١٤هـ/١٤١١م بحضور الإمام الفاسي .

- إصلاحها سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م في عهد السلطان برسباي بحضور الفاسي أيضاً .

- مع عرض إصلاحات أخْرى نقلها عن ابن حجر العسقلاني .

الأمر الثاني : قدم فيه عرضا تاريخياً بَيَّـنَ فيه أنّ المال الذي يكون للكعبة يتعيّن صرفُه على عمارتها ، مستشهداً بأخبار تاريخية توضّح الموضوع في أزمان :

- إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

- عمارة قريش .

- في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة إلى سنة ١٨٨هـ/٨٠٣م .

الأمر الثالث : عرض للمرّات التي بُنِيتْ فيها الكعبة :

- بناء الملائكة .

- بناء آدم .

- بناء إبراهيم .

- بناء العمالقة .

- بناء جرهم .

- بناء قصيّ بن كلاب .
- بناء عبد المطلب .
- بناء قريش .
- بناء ابن الزبير .
- بناء الحجاج .

أما التنبيهات الخمسة فهي :

التنبيه الأول : في ذكر مقام إبراهيم عليه السلام .

التنبيه الثاني : في بيان المراد بالبيت المعمور .

التنبيه الثالث : بقاء البيت من آيات الله البينات .

التنبيه الرابع : هدم البيت من علامات الساعة .

وذكر حادثة القرامطة سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢م وقتْلهم الحُجاج بالبيت الحرام وسرقة الحجر الأسود الذي بقي لديهم ٢٢ سنة ووصف القرامطة بالكفر والإلحاد .

التنبيه الخامس : في أنّ المسجد الحرام أوّل مسجد وضع في الأرض.

مصادر ابن حجر في كتابه :

أما المصادر التي اعتمدها ابن حجر في تأليف كتابه فإنها تنوعت بحسب إختلاف موضوعاتها .

فمن الكتب التاريخية نقل عن تاريخ الأزرقي (ت ٢٤٤هـ/٨٥٨م).

وسيرة عبدالرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) التي عنوانها

الروض الأُنُف[١] .

وكتابين للمحبّ الطبري (ت ٦٩٤ هـ /١٢٩٤م) وهما القرى لقاصد أم القرى[٢] واستقصاء البيان في مسألة الشاذروان[٣] .

وكتاب تنزيل السكينة على قناديل المدينة[٤] لتقي الدين علي بن عبدالله الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥م)[٥] وكتاب شفاء الغرام للتقي الفاسي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) . ومؤلفات السيد علي بن عبدالله السمهودي (ت٩١١هـ /١٥٠٥م) في تاريخ المدينة المنورة[٦] .

أما مصادره في الفقه فقد تنوعتْ أيضاً بحسب المذاهب حيث اعتمد على كُتب الشافعية المشهورة مثل مؤلّفات المزني (ت ٢٦٤ هـ / ٨٧٧م)[٧] ، والنووي (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)[٨] والرافعي (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)[٩]

---

(١) مطبوع - انظر الزركلي : الأعلام ٣ : ١٤٤ .

(٢) مطبوع - انظر ابن العماد : شذرات الذهب ٥ : ٤٢٥ .

(٣) منه نسخة بمكتبة برلين رقم ٥٥٣٦ ، د . محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون ص ٥٥ .

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص ٤٩٤ .

(٥) الزركلي : الأعلام ٤ : ٣٠٢ ؛ البغدادي : إيضاح المكنون ١:٧٢١ .

(٦) كحالة : معجم المؤلفين ٧:١٢٩ - ١٣٠ .

(٧) هو إسماعيل بن يحيى . انظر ترجمته : كحالة : معجم المؤلفين ٢:٢٩٩-٣٠٠ .

(٨) هو محيي الدين يحيى بن شرف . انظر كحالة : معجم المؤلفين ١٣:٢٠٢-٢٠٣.

(٩) هو عبدالكريم - انظر كحالة : معجم المؤلفين ٦ : ٣ .

والزركشي (ت ٧٩٤هـ / ١٣٥١م)[١] من كتابه الخادم .

وكُتب المالكية : كالقاضي الباقلاني ت (٤٠٣هـ/١٠١٢م)[٢] وابن بطال (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)[٣] وكُتب الحنابلة : كابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) ولعله من كتاب الإلمام في فضائل بيت الله الحرام[٤] . ومحمد بن مفلح (ت٧٦٣هـ/١٣٥٢م) في كتابه الفروع [٥].

بالإضافة إلى كتب الحديث مثل كتاب ابن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م) ولعله كتاب الإفصاح عن معاني الصّحاح [٦]، وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) ولعله من كتاب فتح الباري[٧] ، والحليمي (الحسين ابن الحسن الشافعي ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) ولعله من كتاب آيات الساعة وأحوال القيامة [٨].

كما اعتمد تفسير الزمخشري (محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م) الذي عنوانه الكشّاف[٩] . وبعض كتب اللغة كالقاموس المحيط للفيروزابادي (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)[١٠] .

وينقل ابن حجر عن مصادره هذه النصوص التي قد تكون طويلة وقد تكون مختصرة .

وإذا كان يذكر أحياناً اسم المؤلف وعنوان كتابه الذي اعتمده فإنه أحياناً أخرى يورد اسم المؤلف دون ذكر عنوان كتابه . كما يكتفي أحياناً بذكر عنوان الكتاب لشهرته دون ذكر مؤلّفه .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب الذي يوضح اختيار ابن حجر للكتابة التاريخية لغرض إصلاح مشاكل اجتماعية وارتباط هذه الكتابة التاريخية بالعلوم الإسلامية والعقدية فقد وقع عليه اختياري فحققتُه وألحقت هذا التحقيق بخاتمة الرسالة عسى أن يعم به النفع إن شاء الله .

---

(١) هو محمد بن بهادر – انظر كحالة : معجم المؤلفين ٩ : ١٢١ .

(٢) هو محمد بن الطيب الباقلاني البغدادي – انظر كحالة : معجم المؤلفين ١٠:١٠٩ .

(٣) هو علي بن خلف البكري القرطبي – انظر كحالة : معجم المؤلفين ٧ : ٨٧.

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد : انظر البغدادي : هدية العارفين : هدية العارفين ١ : ٥٢٨ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ٥ : ١١٨ .

(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص ١٢٥٦ ؛ كحالة : معم المؤلفين ١٢:٤٤-٤٥.

(٦) هو يحيى بن محمد . انظر كحالة : معجم المؤلفين ١٣: ٢٢٨-٢٢٩ .

(٧) كحالة : معم المؤلفين ٢ : ٢٠ – ٢٢ .

(٨) كحالة : المرجع السابق ٤ : ٣ .

(٩) انظر : المرجع السابق ١٢:١٨٦ .

(١٠) كحالة : المرجع السابق ١٢:١١٨.

منهج ابن حجر في كتابة التاريخ الإسلامي :

شارك ابن حجر بسبع مؤلفات تناولت التاريخ الإسلامي العام وهي :

١ - كتاب في بيان حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب(مفقود).

٢ - كتاب الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزّنْدقة .

٣ - ذيل الصواعق المحرقة .

٤ - كتاب إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذٍ من أخبار تاريخ الخلفاء .

٥ - كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية ابن أبي سفيان .

٦ - كتاب مبلغ الأرب في فخر العرب .

٧ - كتاب المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة .

وقد كانت غايته من تأليف هذه المؤلفات السبعة تعود إلى ثلاثة أهداف :

الهدف الأول :

الرد على الشيعة الذين يَغُضّون من حقية أبي بكر الصديق في الخلافة ومكانة الخلفاء الراشدين ، ويسبّون غالبهم . فيبين خطأهم في ذلك وفي ما يشيعونه حول معاوية بن أبي سفيان . ويرد على انكارهم خلافة الأمويين والعباسيين كما يوضح أن من تسموا خلفاء من الفاطميين وغيرهم هم من ادعياء الخلافة وليس لهم الحق فيها . مع أنه يعلن من خلال أغلب هذه الكتب

فضائل آل البيت .

الهدف الثاني :

بيان فضائل العرب وشرف أنسابهم لالتقائهم بالنسب النبوي الشريف ، وقد قصد ابن حجر من كتابته في هذا الموضوع أن يبين للمسلمين المنتسبين للاجناس الأخرى كالأتراك والفرس أن معاداتهم للعرب واحتقارهم لهم لا يجوز شرعاً نظراً لما يسببه من تشتيت الوحدة الاسلامية ومناقضة لما أكده الله تعالى في قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) وهو موضوع يناسب ذلك العصر الذي ظهرت فيه قوة الجنس الفارسي في المنطقة الإيرانية ، وسيطرة الجنس التركي الذي تولى أمر أغلب البلاد الإسلامية .

الهدف الثالث :

تسجيل حوادث تاريخ الكعبة من مرّات بنائها وإصلاحها وترميماتها من أقدم عصور التاريخ ليبيّن لمن عارض ترميمها واصلاحها خطأهم وفساد تدبيرهم .

ولكل واحد من هذه الكتب السبعة دوافعه المباشرة الخاصة به وغاياته الدقيقة ومنهجه .

فإن الدافع لتأليفه كتاب الصواعق المحرقة وذيله هو ظهور فتن الروافض « لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن [في عصره]

---

(١) القرآن : الحجرات ، الآية ١٠ .

بمكـــة المشرفـــة » (١).

أمـا الغـاية فـهي : هـداية بعـض من زلّتْ به قدمـه في اتبـا ع الروافض ، والرد على الرافضـة في كـذبهم على الصحـابة ودحض دعـاويهم فـي ذلك ، مع بيان تحـريم سب الصحـابة ووجوب محـبتهم وتبرئـتهم . وبيان حقيـة الخلفاء الأربعة وفضائلهم مع فضائل آل البيت .

أما المنهـــــج :

فقـد كان متنـاسـباً مع ادعـاءات المغـرضين وبما أن الشـيعـة الروافض اعتمدوا التشكيك في صدق كبار الصحابة وحسن سلوكهم وفضائلهم فإن الرد عليـهم يكون بالإعـتمـاد على كـتب السـيرة والحديث الصـحيحـة وكـتب الآثار والتـاريخ . فـهـو يخـرج الأحـاديث المعتمـدة في الموضوع المستشـهـد بها ويبين صحتها في اعتماد نقد النص ونقد السند .

وذلك عن طريـق الاسـتـدلال بالآيات القـرآنيـة والأحـاديث ، والاسـتـدلال بالكتب التاريخية .

كما اعتمد طريقة المحاورة مع الرافضة بأن يورد أقوالهم ثم يعترض عليها بالأدلة النقلية الشرعية والعقلية المنطقية التي لا يردها نزيه عاقل . وفي أغلب الأحـيـان عندمـا ينهي الرد عليـهم في قضـيـة من القـضـايا ويبين كـذبهم يَصِـفُهم بالأوصـاف التي يسـتحـقونها مثل وصـفهم بالكذب والافـتـراء والجـهل والشـر والحمق مع الحـاق ذلك بـالدعـاء عليـهم وأنهم أخطر على الإسـلام من اليهود والنصارى .

---

(١) ابـن حجـر : مقدمة الصـواعق المحرقة ، ص ٣ .

والدافع لابن حجر في تأليف كتابه إتحاف اخوان الصفا بنبذ من اخبار تاريخ الخلفاء الذي اختصر فيه كتاباً للسيوطي وهو كتاب تاريخ الخلفاء الذي تناول خلفاء الدول الاسلامية من عهد الراشدين إلى عهد السيوطي هو اهتمام كل من المؤلف (السيوطي) وواضع الاختصار (ابن حجر) بوضع تاريخ للخلفاء الشرعيين من الراشدين والأمويين والعباسيين وأن يهملا فيه ذكر من ادعى الخلافة دون حق شرعي كالعبيديين الفاطميين وركز على ذلك ابن حجر ليرد على الشيعة بابطال دعوتهم بأن لهم خلفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات أن امامتهم باطلة .

كما أهملا ذكر الأمويين في الأندلس والموحدين في المغرب لوجود دولة الخلافة .

أما منهجه في الاختصار :

فقد أورد ابن حجر نفس محتوى الكتاب الأساسي مع اعتماده الاختصار فنراه يختصر في عنونة الفصول فيجمع عدة عناوين تحت عنوان واحد .

– ويسير على نفس ترتيب الفصول وتقسيماتها مع اختصار معلوماتها .

– وطريقة الاختصار قد تكون بإيراد الرواية بنصها وحذف ما لا يخل بالمعنى منها أو بتغيير اللفظ مع المحافظة على المعنى – أو قد يعتمد الحذف إذا تعددت الروايات للحادثة الواحدة فيكتفي ببعضها أو أهمها .

– كما أن من أساسيات الاختصار حذف أسانيد الاحاديث والروايات . وهذا ما اعتمده ابن حجر في اختصاره .

– كما حذف النصوص الشعرية ووفيات الأعلام في عهد كل خليفة .

– وقد يضيف في بعض الأحيان ابن حجر على الأصل وذلك ببعض الأحاديث التي يرى أهميتها أو ببعض العنونة من وجهة نظره للفقرات ، أو بعض التنبيهات والتعليقات التي يراها تخدم فكرته .

– وقد يعمد أحياناً أخرى إلى التقديم والتأخير في فقرات المعلومة الواحدة إذا رأى أن ذلك أفضل لعرضها .

أما الدافع لابن حجر في تأليف كتابه تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان فقد وضعه لغرض إصلاح الأوضاع الخاطئة في المجتمعات الإسلامية عامة فنجده هنا في كتابه التاريخي هذا يؤلفه استجابة لطلب السلطان همايون أكبر سلاطين الهند منه في أن يكتب في فضل معاوية بن أبي سفيان لما تفشى في بلاده من ظهور جماعات ينتقصون معاوية وينسبون إليه العظائم ويسبونه فما كان من ابن حجر إلا أن سارع في الرد عليهم وإظهار الحق لهذا الصحابي الفاضل كاتب الوحي صهر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بشره بأنه سيملك أمته . فجاء هذا التأليف المتكامل التاريخي عن إسلام معاوية وفضله ومناقبه وعلومه والأحداث التاريخية في عصره وأهمها معركتي الجمل وصفين ، معتمداً فيها على المؤلفات التاريخية الكبيرة وكتب السيرة ، مستشهداً بالأحاديث النبوية التي تثبت الفضل للصحابة عامة ولمعاوية خاصة ، مناقشاً فيه الشيعة والخوارج وأقوالهم الكاذبة في الحط من معاوية واعتمادهم الأحاديث الموضوعة ، وتتسم مناقشته لهم ببيان كذبهم وافترائهم ووصفهم بالأوصاف التي يستحقونها من الكذب والإلحاد والضلال والكفر والجهل والغباء وغيرها ، وتحذير المسلمين من أهل السنة من الوقوع في أخطائهم ووجوب الاعراض عنهم والانصراف عن مجادلتهم .

ويركز ابن حجر على أنه رغم ترجيحه مبدأ عدم الخوض في سير الصحابة وأحوالهم إلا أنه في بعض الأحوال يكون من الواجب على العالم أن يكتب في تاريخهم وفضلهم ليرد على من يسيء إليهم وأنه على العالم أن ينتقي من أحوالهم وأخبارهم دقة الروايات وصحتها فلا يورد في تاريخهم جميع الروايات التي قد تسيء لهم لعدم صدق سندها . ومن هنا نرى بوضوح أن ابن حجر وهو العالم الفقيه المحدث عندما يؤلف في التاريخ فإنه يعتمد دقة الرواية وصدق سندها .

كما نجده يناقش الروايات الباطلة التي يروّجها المبطلون من الأخبار التي تتهم بعضا من الصحابة الكبار وتزيفها فينقدها نقداً تاريخياً ويبيّن ما في رواياتهم من خطأ يثير الفتنة واتهام الصحابة ، من بين هذه الحوادث :

- استخلاف معاوية .
- مقتل عثمان .
- معركة الجمل ومعركة صفين .
- مقاتلة علي للخوارج .
- استخلاف معاوية لولده يزيد . . . وغيرها .

ففيها يجمع المعلومات المتفرقة من كتب الأئمة من علماء السير والتاريخ ناقداً ما يقع فيها من أخبار غير موثقة وما يرد فيها من روايات تتنافى مع النصوص الموثقة الصحيحة .

والدافع لابن حجر في تأليف كتابه مبلغ الأرب في فخر العرب الذي هو أيضاً اختصار لكتاب محجة القرب إلى محبة العرب للزين العراقي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٤م) .

فقد وضع ابن حجر اختصاراً لكتاب في فضل العرب ليوضح لنا مدى اهتمامه بالكتابة عن فضل العرب في تلك الفترة التي تفشّت فيها العصبية ضد العرب وهي ما سماها ابن حجر بالفِرَق الاعجمية والطوائف العنادية ، وكعادة ابن حجر في عدم تحديد ذكر أسماء أو أشخاص لينتقدهم وإنما نراه يعالج هذه المشكلة بهذا الاختصار لمؤلف في فضل العرب ويبين للناس بأن غالب قبائل العرب تنتسب للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يلتقون معه في سلسلة نسبه الشريف .

وقد يكون وضعه لما كان من قوة الدولة العثمانية في ذلك العصر وسيطرتها على مصر والحجاز وما وقع من خلاف بين الاشراف في مكة وأصحاب السلطة من العثمانيين .

أما عن غرض ابن حجر في كتابه المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة فنلاحظ فيه أن ابن حجر يلجأ إلى الكتابة التاريخية لحل بعض المشاكل (ذات الطابع الفقهي) كتلك القضية التي حدثت بين أبناء عصره عندما اختلف الناس في مكة حول جواز إعادة بناء ما تشعث من الكعبة أو عدمه (وفي هذا دليل على عقلية مجتمعة في عصره) فقد اختلف الناس ومنهم الفقهاء في المسألة خاصة بعدما تهدمت جوانب من الكعبة وتشقق سقفها حتى نزلت منه مياه الأمطار وخشي على البيت .

وقف ابن حجر مع من كان يرى وجوب إصلاح ما وهى من الكعبة وأفتى بذلك ، ثم قدم الأدلة الشرعية والتاريخية على ذلك .

وهنا استعمل ابن حجر – أيضا – المادة التاريخية بياناً للناس حتى يقنعهم بوجوب ترميم البيت مستدلاً بمواقف المسلمين من السلف الصالح في العصور الأولى وعدم معارضتهم لذلك بل ومشاركة بعضهم في الإصلاح .

فقد عرض تاريخ الكعبة وذكر البناءات العديدة التي وقعت لها منذ الأزل . منها : بناء الملائكة ، بناء آدم ، بناء إبراهيم ، بناء العمالقة ، بناء جرهم ، بناء قصي بن كلاب ، بناء عبد المطلب ، بناء قريش ، بناء ابن الزبير والحجاج ، عمارة الوليد بن عبد الملك ، عمارة المتوكل العباسي سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م ، عمارة سقفها سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ، إصلاح رخامها في عهد المستنصر العباسي سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م ، تجديد رخامها سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١م في عهد المظفر الرسولي صاحب اليمن ، إصلاحها سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م بحضور الإمام الفاسي ، إصلاحها سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢م في عهد السلطان برسباي .

كما قدم ابن حجر عرضاً تاريخياً لحادثة القرامطة سنة ٣١٠هـ /٩٢٢م وتعرضهم للحجاج ولسرقة الحجر الأسود .

كما استشهد أيضاً بالحوادث التاريخية على جواز النذر والإهداء للكعبة وأن ذلك يُصرف في إصلاحها .

وذكر عرضاً تاريخياً لمقام إبراهيم عليه السلام .

عرض ابن حجر كل هذه العناصر من أخبار تاريخ الكعبة بأسلوب مؤرخ معتمداً الإيجاز في عرض أنباء الحوادث مستفيداً من مختلف أنواع المصادر من كتب الحديث والسيرة وكتب تواريخ مكة التي ركز عليها كثيراً كمؤلفات الأزرقي والمحب الطبري والتقي الفاسي وغيرهم ، دون أن يُهمل بعض كتب اللغة والفقه المنسوبة إلى مختلف المذاهب .

وختاماً يمكن لنا أن نلاحظ أن ابن حجر في هذه المجموعة من المؤلفات المتناولة للتاريخ العام سلك منهجين مختلفين :

فقد ألف خمسة منها تأليفاً شرع فيه منهجه فيها واختار مراحله

وأبوابه ورتبه بنفسه ترتيباً يخدم غرضه ويوفي بغاياته سالكاً مسلكه الخاص به في الكتابة التاريخية ، وهذه الكتب هي :

١ - كتاب في بيان حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب .

٢ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل البدع والضلال والزندقة .

٣ - ذيل الصواعق المحرقة .

٤ - تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان .

٥ - المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة .

أما الكتابين الباقيين من السبعة وهما :

١ - إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذٍ من أخبار تاريخ الخلفاء .

٢ - مبلغ الأرب في فخر العرب .

فقد كان فيهما مختصراً لكتابين سابقين له اعتمد فيهما الاختصار الذي لا يخل بمحتوى الكتاب ، ويسهل على مختلف درجات القراء الاستفادة منه ، فقد سلك مسلك حذف أسانيد الروايات والاستغناء عن الروايات المتكررة في الغرض والمعنى وتلخيص الأخبار المطولة .

الفصل الخامس
تآليفه في التراجم

١ - معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة .

٢ - رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان .

٣ - الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان .

٤ - معجم شيوخ ابن حجر = الإجازة .

تراجم أئمة المذاهب الأربعة

اعتنى ابن حجر بتراجم أئمة المذاهب الفقهية السنية الأربعة : الإمام مالك ، والإمام أبي حنيفة ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل . ولكن اعتناءه بترجمة الإمام أبي حنيفة كان أكثر وأهم من غيره من الأئمة رغم أن ابن حجر شافعي المذهب كما أنه يُعتبر من بين أشهر شيوخ الشوافع في الحجاز .

فقد ألف ابن حجر رسالة صغيرة في مناقب الأئمة الأربعة وعنوانها:

١ - معدن اليواقيت الملتمعة ، في مناقب الأئمة الأربعة .

نَسَب هذا الكتاب لابن حجر البغدادي في هدية العارفين [١ : ١٤٦]، وفي إيضاح المكنون [٢ : ٥١٠ ، ٢ : ٥٤٣] .

كما ذكره الزركلي في الأعلام [١:٢٣٤] وقال إنّ منه نسخة مخطوطة بدمشق تقع في ١٤ ورقة ، وذكره كذلك كحالة في معجم المؤلفين [٢ : ١٥٢]. ولم نحصل على نسخة منه ، ويبدو أنه مختصر نظراً لعدد ورقاته القليلة .

كما كتب ابن حجر تراجم الأئمة الأربعة وضمّنها معجمه المعنون بالإجازة عند عرضه لكتب الحديث التي أخذها عن شيوخه فوضع ترجمة الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل (١) .

وعاد مرة أخرى إلى كتابة ترجمات للأئمة الأربعة في كتابه فتح الإله ، في شرح المشكاة (٢) .

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ٥٧ ب - ٧١ ب (نسخة المانيا) .

(٢) ابن حجر : فتح الإله في شرح المشكاة (نسخة القاهرة) .

وهي تراجم وردت في الكتابين موجزة لا تفوت كل واحدة منها بعض الورقات من المخطوطين إلاّ أنها تعتبر موفية بالغرض لأنها وردت في كتب تتناول موضوعات واسعة ليست خاصة بفضائل هؤلاء الأئمة وتناول فيها ابن حجر عناصر كثيرة من الترجمات تمتدّ في أكثر من ورقتين من المخطوط لكل إمام من هؤلاء الأئمة ، في حين أنه التزم في كتابيه أن يضع ترجمات قصيرة لغيرهم من الشيوخ لا تتجاوز الوجه الواحد من الورقة الواحدة .

كتابات ابن حجر في ترجمة أبي حنيفة

اعتنى ابن حجر بترجمة أبي حنيفة النعمان عناية كبيرة حيث وضع له خمس ترجمات مختلفة الأساليب ، فقد ترجمه ثلاث ترجمات قصيرة وضعها في ثنايا كُتُبه الحديثية وغيرها ، وترجمتين جعلهما في كتابين خاصين بها .

١ - فقد ترجم لأبي حنيفة في كتابه الحديثي « فتح الإله في شرح المشكاة » عندما ترجم لجماعة من كبار الأئمة في الحديث والفقه .

٢ - وترجمه ترجمة قصيرة في شرحه لكتاب « عين العلم » .

٣ - وترجمة قصيرة أيضاً في كتابه « الإجازة » .

٤ - وترجمة طويلة جعلها في رسالة عنوانها « رسالة في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان » .

٥ - وترجمة أطول منها جعلها في كتابه الذي عنوانه « الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » .

الترجمة الأولى :

أوردها ابن حجر عرضاً في صفحات قليلة ضمن كتابه « فتح الإله في شرح المشكاة » ولم يخصصها بكتاب مفرد .

أحال عليها وذكرها ابن حجر في مقدمة « رسالته في مناقب أبي حنيفة » فقال متحدثاً عن أحد علماء الأحْناف : « واطّلع على مقدمة شرحي على مشكاة الأنوار على أوراق لخّصتُ فيها ما قاله الأئمة الأخيار في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة – رضي الله عنه وأرضاه »[(١)] .

وقد اطّلعتُ على هذه الترجمة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة في كتابه « فتح الإله ، في شرح المشكاة »[(٢)] فوجدتها في أول الكتاب [(٣)] . وهي ترجمة موجزة للإمام أبي حنيفة شملتْ نَسَبَه ومولده وأخذه على بعض الصحابة والتابعين وذكر بعض تلامذته ومحنته في تولّيه القضاء لبني أمية وبني العباس وصفاته وبعض روايات وأقوال العلماء فيه ووفاته .

---

(١) ابن حجر : رسالة في مناقب أبي حنيفة ورقة ٢ أ نسخة المدينة المنورة .

(٢) كتاب فتح الإله في شرح المشكاة ما زال مخطوطاً اطلعت على نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم ٣٥٤ حديث وهو يقع في ٥٩٤ ورقة .

(٣) وردت ترجمة أبي حنيفة فيه من الورقة ١٢ ب إلى ١٣ ب من كتاب فتح الإله المذكور سابقاً .

الترجمة الثانيـــة :

كما ترجم ابن حجر لأبي حنيفة ترجمة موجزة جاءت في شرحه لكتاب عين العلم [١] والتي وضعها في مقدمة كتابه « الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان » [٢].

أما كتاب عين العلم فهو مختصر صغير وضعه أحد علماء الهند اختصر فيه كتاب الإحياء للغزالي وكان في كلام الغزالي ما يُثبتُ احترامه لأبي حنيفة وينفي ما اتُّهِم به من التأليف في الحطّ عليه فوضع ابن حجر شرحاً لكتاب عين العلم واغتنم فرصة ذلك فأورد ترجمة مختصرة للإمام أبي حنيفة ونقلها في مقدمة كتابه الخيرات الحسان حيث قال : « إن بعض علماء الهند اختصر الإحياء اختصارا بليغاً سماه « عين العلم » لم يسبق إلى مثله اختصاره مع تعدد مختصريه فإنه أشار إلى مقاصده في أوراق قليلة تكاد أن تكون من جوامع الكلم ، فلذا وضعتُ على كتابه شرحاً له لأنه لفرط ما فيه من الإيجاز يكاد أن يُعَدّ من الألْغاز »[٣] .

ثم أورد ابن حجر هذا الإختصار وشرحه عليه في قرابة أربع صفحات ، قدّم فيها عن حياة أبي حنيفة وفضله وعلمه وبعض مواقفه وعدد من كبار تلاميذه ومحنته وانتشار مذهبه وشيء من مناقبه وفي ختامها قال : «انتهى كلام مختصر الإحياء مع شرحي له وبه يُعْلَم براءة الإمام الغزالي حجة الإسلام مما نُسِب إليه من التعصّب ، حاشاه الله منه » [٤] .

---

(١) انظر عنه : حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص ١١٨٢ ، وانظر أعلاه ص ٢٧٦ من الرسالة .

(٢) ابن حجر : الخيرات الحسان ص ٤ – ٨ – طبعة سنة ١٣٢٦ هـ ، مصر .

(٣) ابن حجر : الخيرات الحسان ص ٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٨ .

الترجمة الثالثة :

هي ترجمة قصيرة أيضاً للإمام أبي حنيفة النعمان ضمنها ابن حجر معجمه المعروف بالإجازة [من ورقة ٥٧ ب إلى ٦٠ ب][١] . اشتملت على اسمه ومولده وشيوخه وسبب تأليفه كتابه المستقل في مناقب أبي حنيفة من اتهام الغزالي الشافعي بوضع كتاب في الحط من أبي حنيفة وهو منه بريء .

ثم ذكر زهده وورعه ومحنته ووفاته .

الترجمة الرابعة :

جاءت في كتاب له بعنوان :

٢ - رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان :

أحال عليها ابن حجر نفسه في مقدمته لكتابه الثاني في الموضوع وعنوانه « الخيرات الحسان » ، حيث قال عن هذه الرسالة إنه ألَّفَها استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ، وبعد أن تفرقت نُسَخُها في البلاد فُقدت منه نسخته الأصل الشخصية ، فأعاد التأليف في نفس الموضوع وكتبه من جديد وسماه « الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان »[٢] .

يضاف إلى ذلك ما ذكره تلميذه السيفي في نفائس الدرر [ورقة ٥ ب] ضمن عرضه لمؤلفات ابن حجر قائلاً : « مؤلفان في مناقب الإمام أبي حنيفة » .

---

(١) نسخة ألمانيا .

(٢) ابن حجر : الخيرات الحسان ، ص ٣ .

أما بقية مصادر ترجمة ابن حجر فلم تذكر له سوى كتاب واحد في الموضوع إمّا بعنوان مناقب أبي حنيفة أو بعنوان الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان .

وهذه المصادر هي :

العيدروسي في النور السافر [ص ٢٩١] ، وابن العماد في شذرات الذهب [٨ : ٣٧١] ، مرداد في المختصر من نشر النور والزهر [ص ١٢٣]، الكتاني في فهرس الفهارس [ص٣٣٩]، البغدادي في هدية العارفين [١٤٦:١]، سركيس في معجم المطبوعات [١ : ٨٣] ، الزركلي في الأعلام [١: ٢٣٤]، اللكنوي في الفوائد البهية [ص ٢٤١] ، جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية [٣ : ٣٥٣] .

نسخ المخطوط :

على الرغم من أن هذه الرسالة ضاعت نسختها الأصلية من يد المؤلف ، فإن ابن حجر عندما ذكر ذلك في مقدمة كتابه « الخيرات الحسان » قال أيضا أنها انتشرت بين الناس قبل ضياعها منه ، وهو ما يفسر سبب عثورنا على ثلاث مخطوطات منها ، وهي :

١ - نسخةٌ اطلعتُ عليها بدار الكتب المصرية ضمن المجموع رقم ٢/٢١٢ تشتمل على ٢٦ ورقة ، لم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها - المسطرة ١٧ - خطها نسخ جميل يعود إلى القرن ١٣ هـ تقريباً . إلاّ أن الناسخ محدود الثقافة لأنه وقع في أخطاء كثيرة جداً في النَّسْخ .

٢ - ومن المخطوط نسخة أخرى - اطلعتُ عليها أيضاً - محفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٩٠٠/٢١٥ تقع في ٢١ ورقة - المسطرة ٢٣ - وهي نسخة حسنة قليلة الأخطاء يعود تاريخها إلى القرن

الثالث عشر هجري تقريباً .

٣ - ومنه نسخة أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (١٠١٠٥) وصفها خالد الريان في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية [٢ : ٢٣٥ -٢٣٦] وذكرها تحت عنوان « الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » وأورد فيها جزءاً من مقدمة المخطوط وجزءاً من آخره .

وبعد مقارنته بمخطوطتيْ رسالة ابن حجر في مناقب أبي حنيفة السابقتين وجدتُ أن المقدمة التي ذكرها تتفق مع مقدمة الرسالة من النسختين المصرية والمدنية السابقتين ، أما الخاتمة التي أوردها فانها تختلف مع خاتمة الرسالة وتتفق مع خاتمة الكتاب الثاني لابن حجر في مناقب أبي حنيفة وهو كتاب الخيرات الحسان .

وبما أنني لم أطلع على مخطوطة الظاهرية فلا أستطيع أن أجزم بأنها نسخة من الرسالة التي ألفها ابن حجر في مناقب أبي حنيفة أم هي الكتاب الثاني له في الموضوع وهو الخيرات الحسان وذلك لأنّ خالد الريان أورد فيه مقدمة الكتاب الأول وخاتمة الكتاب الثاني . ولعل هذا خطأ وقع في المخطوط .

تاريخ التأليف :

ألّف ابن حجر هذه الرسالة في مناقب أبي حنيفة سنة خمس وخمسين وتسعمائة (٩٥٥ هـ / ١٥٤٨م) في مكة المكرمة[١] .

---

(١) ابن حجر : رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان ورقة ١ ب (نسخة المدينة المنورة) .

سبب التأليف وغايتـــه :

ألّـفه ابن حجر استجابة لطلب أحد العلماء من القسطنطينية زار مكة والتقى به واطّلع على مـا كـتَبَـه ابن حـجـر عن الإمـام أبي حنيـفـة في كـتـابه مـشكاة الأنوار ، فطلب الضـيـف منه أن يؤلّـف في مناقب أبي حنيـفـة تأليـفـاً مستقلاً فاستجاب له ، فكانت رسالته هذه .

ويروي لنا ابن حـجـر ذلك بقـوله : « إنه قـد ورد علينا تمام خـمـسـة وخـمـسين وتسـعـمـائة (٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) ببلد الله وحرمـه ، ومـحـلّ تنزلات جوده وكرمه ، ... الشيخ الصـالح الإمام العارف الهمام إلياس بن علي القاطن بمدينة القسطنطينية التي هي الآن أجلّ بلاد الإسلام ، وملجـأ ذوي الحـاجات من الأنـام ... ثم لما ظفـر مني بما آمله من إيضـــاح شيء من تلك المعـارف ، وتحقيق مدلهمّ من تلك اللطائف ، واطلع على مقدمة شرحي على مشكاة الأنوار على أوراق لخّصتُ فيها ما قاله الأئمة الأخيار في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيـفـة – رضي الله عنه وأرضـاه – وجـعل جنات الشـهـود والمعـارف منقلبة ومـأواه ، سـألني فيمـا كنتُ أُضْمره قديماً منذ سنين ، ... ، من إفراد غرر ترجمة ذلك الإمام الأعظم بتـأليف يسـتحسنه أولوا الألبـاب ويعوّلون عليه حتى يعـرفوا لذلك الإمام حـقّـه من غيـر شك ولا ارتيـاب ، فعلمتُ إذ سـألني هذا الرجل الصـالح بمـا طابق مـا أضـمـرتُـه من ذلك السـر اللائح أن للوارد حـق ينبغي أن يبـادر إليـــه وأن يُـعَـــوَّل في هذا التـأليف المهمّ عليـه ، فعزمتُ على الشروع فيه ، مـحكما جميع قوادمه وخوافيه ، ... ولقد لخّـصْـتُ تلك الغُـرر من مناقبه مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ، ومفوّضاً سائر أموري إليه »[1] .

---

(١) ابن حجر : رسـالة في منـاقب أبـي حنـيفة ورقـة ٢ أ – ب .

انتشار الكتاب :

ذكر ابن حجر انتشار رسالته في مناقب أبي حنيفة ثم ضياعها منه وذلك في مقدمة كتابه الخيرات الحسان الذي ألفه في نفس الموضوع فروى أنّ أحد علماء القسطنطينية ساجَلَه في موضوعات علمية وطلب منه قائلاً : « أودٌّ منكم مختصراً جامعاً ... يشتمل على تلخيص ما طال به الأئمة في مناقب الإمام الأعظم ... أبي حنيفة النعمان ... فبادرتُ إلى إمتثال أمره المحتم ، وبذلْتُ الجهد في تلخيص تلك المناقب بأنه مقصد أهم فجاء بحمد الله مختصراً لطيفاً وأنموذجاً شريفاً . فكتَبَ منه نسخة وذهب به إلى بلده ... ثم كتبه الناس بعده ، واقتفَوْا أثَره ومجده ، وتفرّقوا به في البلدان ، ولم يبق عندي إلاّ نسخة الأصل والله المستعان ، فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفتٍ إلى عظيم وِزْر فقْدها ، فتأثرتُ لذلك » (١).

وهكذا يتبيّن لنا بأن نسخة الكتاب فُقدتْ من المؤلف وأنها انتشرت من ثلاثة طرق :

أولاً : النسخة التي كتبها عالم القسطنطينية وسافر بها إلى بلاده .

ثانياً : النُّسَخ التي تناقلها الناس عنه بمكة وتفرقوا في البلدان ، وهي نُسَخٌ لا يُعرَف عددها .

ثالثاً : النسخة التي استعارها أحد الحنفية من المؤلف ولم يُعِدها لصاحبها بل سافر بها .

أما المؤلّف فلم تبق بين يديه نسخة وهو ما دعاه إلى تأليف كتابه

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان ، ص ٣ .

الثاني في مناقب أبي حنيفة والذي عنوانه « الخيرات الحسان » وسنفرد له دراسة خاصة به إن شاء الله .

محتوى الكتاب :

قال ابن حجر عن محتوى كتابه في مقدمته : « ورتَّبْتُه على فصول » ولقد قسم فيه مناقب أبي حنيفة النعمان في ثلاثين فصلاً سنورد فيما يلي عناوينها :

ورقة [١ ب] – المقدمة : ذكر فيها سبب تأليف الكتاب .

[٢ ب] – الفصل الأول : فيما ورد فيه [أبو حنيفة] عموماً وخصوصاً . وذكر فيه أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل أهل فارس واجتهادهم في طلب العلم ومنهم أبو حنيفة النعمان .

[٥ أ] – الفصل الثاني : في ذكر نسَبه .

[٥ ب] – الفصل الثالث : في ذكر مولده .

[٥ ب] – الفصل الرابع : في دعاء علي بن أبي طالب بالبركة لثابت والد أبي حنيفة فيه وفي ذريته .

[٥ ب] – الفصل الخامس : فيمن أدركهم أبو حنيفة من الصحابة وروى عنهم أحاديث مباشرة وهم ثمانية منهم أنس بن مالك ، وفيهم صحابية وهي عائشة بنت عجرد .

[٦ ب] – الفصل السادس : فيمن أخذ عنهم العلم وهم مائة شيخ منهم سبعة من الصحابة وثلاثة وتسعون من التابعين كعطاء بن رباح ومجاهد، ولم يذكر ابن حجر أسماءهم جميعاً .

[٧ ب] – الفصل السابع : فيمن أخذ العلم عن أبي حنيفة ، اكتفى

ابن حجر بذكر عدد تلاميذ أبي حنيفة من الشيوخ المعروفين وهم خمسمائة وستون ولم يورد أسماءهم .

الفصل الثامن : (سقط هذا الفصل من النسختين) .

[٧ ب] - الفصل التاسع : في عدد المسائل المنقولة عنه . فقد نقل ابن حجر أنّ عدد المسائل التي نُقلتْ عن أبي حنيفة وأجاب عنها ستمائة ألف مسألة وقيل ألف ألف ، ويعلّق على ذلك بأنه أمر لا يُستبْعَد عند العلماء بالفقه ومسائله .

[٨ أ] - الفصل العاشر : فيمن استنكف من أئمة السَّلَف أن يُقال أخطأ أبو حنيفة .

[٨ أ] - الفصل الحادي عشر : في قيامه بواجبات حقوق مشائخه.

[٨ ب] - الفصل الثاني عشر : في إنصافه لتلامذته وثنائه عليهم وإرشاده إياهم .

[٩ أ] - الفصل الثالث عشر : في ذكاء أبي حنيفة الذي بهَر العقول وأدهشها ... وفي سرعة فهمه وكمال فطنته ومبادرته بالجواب الحق على البديهة ، مع ذكر أمثلة كثيرة من ذلك .

[١٢ ب] - الفصل الرابع عشر : في فَراسته الصائبة ... وصدق حدسه ، مع عرض أمثلة من ذلك .

[١٣ أ] - الفصل الخامس عشر: في سخائه وكرمه ، مع ذكر أمثلة.

[١٣ ب] - الفصل السادس عشر : في تواضعه لا سيما لأهل العلم، مع ذكر أمثلة .

[١٤ أ] – الفصل السابع عشر : في حسن مداراته اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أمثلة .

[١٤ ب] – الفصل الثامن عشر : في عظيم اجتهاده في العبادات ومحاسبته لنفسه ، مع ذكر أمثلة .

[١٥ ب] – الفصل التاسع عشر : في تحَرُّزه عن الغيبة .

[١٥ ب] – الفصل العشرون : في عظيم عقله وكمال تصوُّره .

[١٥ ب] – الفصل الحادي والعشرون : في قوة يقينه وثبات جأشِه.

[١٥ ب] – الفصل الثاني والعشرون : في شهرته في حياته بالعلم والتقدم حتى في مكة المكرمة .

[١٥ ب] – الفصل الثالث والعشرون : في حسن احتراسه في الفتوى على البديهة(١) .

[١٦ أ] – الفصل الرابع والعشرون : في تَقَلُّلِه من الدنيا مع قدرته التامة وغناه الوافر إيثاراً لنعيم الآخرة .

[١٦ أ] – الفصل الخامس والعشرون : في تَحرِّيه .

[١٦ أ] – الفصل السادس والعشرون : في بلوغه في الإجتهاد وفقه النفس الغاية القصوى ، وفيه أمثلة كثيرة .

[١٧ أ] – الفصل السابع والعشرون : في بلوغه في الورع والزهد والتحري والإحتياط التام لدينه مبلغاً تقصر الخطى عن بلوغ مداه .

---

(١) سقط هذا الفصل من النسخة المدنية وورد في النسخة المصرية في ورقة ١٩ أ .

[١٧ ب] - الفصل الثامن والعشرون : في محنته الكبرى بسؤالهم له في تولية نظر بيت المال والقضاء فامتنع منهم أشد الإمتناع صابراً محتسباً على ما آذوه به من الضرب والسجن وغيرهما من وجوه الظلم .

[١٩ أ] - الفصل التاسع والعشرون : في ثناء الأئمة عليه واعترافهم بما ساقَهُ الله من الفضائل والكمالات إليه .

[٢٠ ب] - الفصل الثلاثون : في أمور جامعة لأوصاف جليلة من أوصافه .

[٢٠ ب] - خاتمة : في وفاته .

وبعد هذا العرض لمحتوى الكتاب نستطيع أن نقول أن هذه الرسالة اشتملت على ثلاثة عناصر أساسية هي :

١ - ذكر وقائع ترجمة أبي حنيفة وتاريخ حياته ووفاته وهي في الفصول :

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، الخاتمة .

٢ - ذكر علمه أَخْذاً وعطاءً وتعامُله مع العلماء وخصائصه في مجالات العلم وهي الفصول :

٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ .

٣ - ذكر أخلاقه وخصائص صفاته الدينية والإجتماعية ، وهي الفصول :

١١، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦، ١٧، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧، ٣٠.

مصادر ابن حجر في كتابه :

اعتمد ابن حجر في رسالته هذه على مصادر عديدة من كتب حديثية كبرى من تلك التي استعملها في مرويات أبي حنيفة الحديثية كالبغوي والطبراني والحاكم وغيرهم .

أما الروايات التاريخية التي تعلقت بترجمة أبي حنيفة فقد استفادها أساساً من الكتب التي صُنفت في ترجمته مثل كتاب القاضي أبي عبدالله الحسن بن علي الضميري ، وكتاب شمس الأئمة الكردري بالإضافة إلى تاريخي الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي مع ملاحظة أنه كثيراً ما يورد أخبار أبي حنيفة دون تعيين مصادره في ذلك . والناظر في هذه الأخبار يتبيّن له أنها في الغالب نقلت من كتابَيْ فضائل أبي حنيفة المذكورين أعلاه . ولعله ترك عزو هذه الأخبار إلى مصادرها لأنه فضّل برسالته هذه أن يقدّم ترجمة موجزة لأبي حنيفة النعمان .

الترجمة الخامسة :

٣ - الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان

= قلائد العقيان في مناقب أبي حنيفة النعمان :

أحال ابن حجر على مؤلفه هذا في كتابه الإجازة أو المعجم [ورقة ٥٨أ] من نسخة ألمانيا حيث قال : « وقد حَرَّرتُ ما في ذلك في تأليفي المستقلّ في مناقبه ، والحامل لي عليه أنّ شخصاً معتزلياً اسمه محمود الغزالي أفْرَط في الحطّ على أبي حنيفة وتنقيصه وسبِّه ... » .

كما أحال عليه في كتابه المناهل العذبة في إصلاح ما وهِي من الكعبة ورقة [١٤ أ] - نسخة القاهرة - وذكره هنا بالعنوان الثاني فقال : « كما بينتُه في كتابي الذي أفْردتُ ترجمته فيه وسمّيْته قلائد العقيان في ترجمة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » وهو العنوان الذي ورد على المخطوط المحفوظ بمكتبة الفاروقي بالمدينة المنورة وسيأتي الحديث عنه ووصفه .

ونسَبَ هذا الكتاب لابن حجر بالعنوان الأول « الخيرات الحسان » كل مِن : حاجي خليفة في كشف الظنون [ص ٧٢٧] والبغدادي في هدية العارفين [١ : ٤٤٠] .

طبعات الكتاب :

طبع هذا الكتاب عدة طبعات منها :

الطبعة الأولى : طبع بمصر سنة ١٣٠٥ هي في ٨٠ صفحة ، ذكرها سركيس في معجم المطبوعات [ص ٨٣] - ولم أطّلع عليها .

الطبعة الثانية : طبع سنة ١٣١١ هـ بالقاهرة بالمطبعة الميمنية قرب الجامع الأزهر ، عدد صفحاتها ٨٠ صفحة .

الطبعة الثالثة : طبع سنة ١٣٢٦هـ بمصر – مطبعة دار الكتب العربية الكبرى على نفقة مصطفى الحلبي وأخويه ، عدد صفحاتها ٧٢ صفحة .

الطبعة الرابعة : سنة ١٤٠٣ هـ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، عدد صفحاتها ١١٢ صفحة . وقد كُتب على الغلاف : قدم له وحققه الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان ، لكن ما لاحظته أنّ نص الكتاب مطابق تماماً للطبعتين السابقتين ليس بينهما أي اختلاف صغير أو كبير إلاّ مقدمة تقع في ثلاث صفحات كتبها الشيخ خليل الميس وهي تمثّل ترجمة موجزة لابن حجر الهيتمي مع ذكر أربعة من مصادر الترجمة .

وصفحتين في آخر الكتاب فهارس اكتفى فيها بذكر رقم الصفحة وعدد الفصل دون ذكر عناوين الفصول . ولم أجد ما يدل على تحقيق النص حيث لم يَذكُر المحقق المخطوطات التي اعتمدها ولم يورد أي هامش من الهوامش في كامل نص الكتاب ، مع ما أشرت إليه سابقاً من أنه لا يختلف في شيء عن الطبعتين السابقتين .

ومن الكتاب نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ محمد مظهر الفاروقي بالمدينة المنورة برقم ٨٤ . وقد اطلعتُ على نسخة مصورة منها بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ١/٦٨٣٦ وهي نسخة حسنة واضحة الخط جميلة عليها هوامش – وهذه النسخة هي الوحيدة التي وردت بعنوان مختلف عن العنوان الوارد في المطبوعات فكان عنوانها :

« قلائد العقيان ، في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » .

أسباب تأليف الكتاب :

ذكر ابن حجر في خطبة كتابه هذا أنه بعد أن ضاعت منه نسخة رسالته في مناقب أبي حنيفة عزم على إعادة الكتابة في نفس الموضوع في

كتاب آخر فأعاد النظر فيما كُتِبَ في مناقب الإمام النعمان من مؤلفات إلى أن ظفر بكتاب عقد الجمان لمحمد الشامي[١] . فلخّص مقاصده ونقّح مصادره في هذا الكتاب الذي سماه الخيرات الحسان .

خصص ابن حجر في كتابه الثاني هذه المقدمات الثلاثة والفصل الأول لعرض الغاية والسبب الذي جعله يؤلف في أبي حنيفة . وهذا السبب لم يكن في كتابه الأول الذي ألّفه استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ووافق رغبة منه في الكتابة في ترجمة هذا العالم الفاضل إنما بعد فقده لكتابه الأول ألّف كتابه الثاني ، فكان سبب هذا التأليف الجديد هو ما شاع عن الإمام الغزالي أن له تأليفاً في الحطّ من أبي حنيفة وما كان من رد فعل الكردري من تأليف كتاب في الحط من الإمام الشافعي ، كلّ ذلك جعل ابن حجر يُعيد التأليف في أبي حنيفة فوضّح في المقدمات والفصل الأول فضل هؤلاء الأئمة جميعهم وعدم جواز التعرّض لهم بالتنقيص أو السب ونفي ما نُسِب للإمام الغزالي في ذلك فجاءت تلك المقدمات والفصل الأول كما سيأتي عرضها :

– وضح في مقدمته الأولى سبباً آخر دعاه لتأليف هذا الكتاب وهو ما نُسِب للإمام الغزالي من تأليف كتاب فيه تعصُّب ومهاجمة وسبٌّ للإمام أبي حنيفة وما أَحْدَثَ هذا الكتاب من ردود فعل عند بعض العلماء مثل الكردري ، وأوضح ذلك ابن حجر بقوله : « اعلم أنّ بعض المتعصبين ممن لم يُمْنَح توفيقاً جاءني بكتاب منسوب للإمام الغزالي فيه من التعصب الفظيع ، والحطّ الشنيع ، على إمام المسلمين ، وأوحد الأئمة المجتهدين ، أبي حنيفة

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الشامي الدمشقي الصالحي ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م وعنوان كتابه عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان . انظر: حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١١١٥ ، ١٨٣٨ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ١٠: ٦٣ .

رحمه الله ما تصمّ عنه الآذان ... وقد أدَّى ذلك شمس الأئمة الكردري إلى أن بسط الكلام في ردّ ذلك الكتاب وقابَلَ مؤلّفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنَّع على الشافعي رحِمه الله أعظم من ذلك التشنيع ، وبسط الكلام بما لا يُحْمَد من الصنيع »[١] .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن ابن حجر لم ينزلق في نفس المزلق الذي وقع فيه غيره من الفقهاء والمؤرخين ، فلم يقابل التعصب بالتعصّب المماثل بل ذهب إلى تكريم أبي حنيفة وتفضيله بما يأتي :

أولاً : وضع هذا الكتاب في تكريمه وذكر مناقبه .

ثانياً : احتج بمواقف الإمام الشافعي في احترام الإمام أبي حنيفة وتكريمه ، وأنه عند دخوله بغداد زار قبره وصلى فيه على مذهب أبي حنيفة حتى لا يُظْهِر خلافَه بحضرته ، وفي ذلك دليل تقديره واحترامه .

ثالثاً : ان ابن حجر نفى نسبة الكتاب للإمام الغزالي ونسبه إلى شخص آخر معتزلي اسمه الغزالي وليس هو الغزالي المشهور بحجة الإسلام بدليل ما ورد في كتاب الإحياء للغزالي من مدح الإمام أبي حنيفة وتقديره ، فقال في ذلك : « كل ذلك منه [أي من الكردري] على أن ذلك الغزالي هو الإمام محمد حجة الإسلام وليس هو لما يأتي في إحيائه من مدح أبي حنيفة وترجمته بما يليق بعلى كمالِه . وأيضاً فلأن النسخة التي رأيتها مكتوب عليها أنّ هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الإسلام . ومن ثمّة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلي اسمه محمود

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان ص ٣ - ٤ طبعة مصطفى البابي سنة ١٣٢٦ هـ مصر .

الغزالي وليس هو حجة الإسلام »[١] .

وجاءت المقدمة الثانية تخدم غرضه من تأليف الكتاب وهو عدم جواز الحط من الأئمة ووجوب الإعتقاد أنهم جميعاً على هُدًى من الله ورضوان وأن اختلافهم نعمة ورحمة للمسلمين وليس نقمة عليهم أو عاملاً من عوامل التفرقة ، وهو بتوضيح ذلك يبين سوء التعصب وفساده ويدعو الناس إلى نبذه[٢] .

وقد أشار ابن حجر إشارة مباشرة إلى محاربته التعصّب لمذهب والتعدي على المذهب الآخر بالسبّ أو المقت ولو كان ذلك للردّ على من سبّ المذهب الثاني من مبدأ مقابلة الفاسد بالفاسد فإنّ ذلك لا يجوز ولا يُرْضي إمام ذلك المذهب ، ومَنْ فعل ذلك ليس له إلاّ الخزي والعذاب يوم القيامة[٣] .

ووضع ابن حجر الفصل الأول « في بيان الأسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب » وقال : إنّ أولها إنزال الناس منازلهم .

ثانيها : ما يقع من نسبة أقوال في الإمام أبي حنيفة إلى بعض العلماء وهُم بريؤون منها مثل ما وقع في تاريخ الخطيب وكتاب المنتظم لأبي الفرج بن الجوْزي من ذكر أشياء تنافي كمال أبي حنيفة . على أنّ الخطيب ذكر من فضائل أبي حنيفة ما يبهر العقل .

وكذلك ما وقع للإمام الغزالي الذي نُسبتْ إليه أقوال شنيعة اختُلِقتْ عليه بدليل مدحه لأبي حنيفة في كتابه إحياء علوم الدين - وأن الكتاب وضعه سَمِيّة المعتزلي الذي وضع ذلك التأليف ، والإمام الغزالي حجة الإسلام بريء

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ص ٤ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ص ٨ - ١١ .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ص ١٢-١٣ .

مما فيه . وأنه قد يكون هناك بعض الخارجين دسوا ذلك الكلام ونسبوه إلى الإمام الغزالي ، لذلك وجب على كل عالم أن يوضّح ذلك الزيف الذي وقع في كتاب الغزالي وأنْ يُبطله ويسَفّهه .

الثالث : خطأ المتعصبين في أن الكلام في أبي حنيفة وغيره هو من باب الحديث عن أحوال الرجال وهذا غير صحيح لأنّهم اعتمدوا على كلام بعض معاصريه وقد يكونون حساداً له ، وفي ذلك تشنيع عليه .

الرابع : تبيين أن أبا حنيفة من أئمة الإسلام ولا يجوز الكلام عليه بسوء .

الخامس : أن أئمةً حُفاظاً ترجموا لهذا الإمام الجليل قديماً وحديثاً وأراد ابن حجر أن ينتظم في سلكهم فيلخّص ما كتبوا ويزيد على ما بسطوا.

محتوى الكتاب[1] :

[ص ٢] – خطبة الكتاب .

[ص ٣] – المقدمة الأولى : في بيان فضل أبي حنيفة والردّ على من حطّ عليه وتعصّب ضده .

[ص ٨] – المقدمة الثانية : في عدم جواز الحطّ من الأئمة والعلماء فكلهم على هدى من الله . ووضع ابن حجر هذه المقدمة في أمرين :

أولهما : أن اختلاف المذاهب انما هو في الفروع وهذا اختلاف جائز ، وأورد لإثبات ذلك روايات لإختلاف الصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتأييده لهم دون أن ينكر على أحد منهم اجتهاده (إلى ص١١).

---

(١) اعتمادا على طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٢٦هـ – مصر – .

والأمـر الثـاني : إنّ اخـتـلاف المذاهب هو رحـمـة واسـعـة دليل على سماحة الدين ويسره لذا لا يجوز أن يؤدّى تفضيل مذهب إلى تنقيص مذهب آخر (من ص ١١ إلى ص ١٣) .

[ص ١٣] - المقدمة الثالثة : فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالإمام أبي حنيفة . فذكر الأحـاديث النبوية الدالة على فضل أبناء فارس في اجتـهادهم لطلب العلم ، ثم أورد الأحاديث الموضوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ظهور أبي حنيفة وقال عنها : « وهذه كلها مـوضـوعات لا تَرُوج على من له أدنى إلمام بنقــد الحـديث ، وقـد أوردها ابن الجــوزي في الموضوعات وأقـرَّه الذهبي وشيـخنا الحافظ الجلال السيوطي في مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر في لسان الميزان » .

[ص ١٥] - الفصل الأول : في بيان الأسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب وهي خمسة .

[ص ١٩] - الفـصل الثـانـي : في ذكر نسبه وتـحـديد مكان مـولده واختلاف العلماء في ذلك .

[ص ٢٠] - الفـصل الثـالث : في مـولده واخـتـلاف العلمـاء في تاريخ ولادة أبي حنيفة واجتماعهم على أنه ولد سنة ثمانين هجرية .

[ص ٢٠] - الفصل الرابع : في اسـمه .

[ص ٢٠] - الفصل الخامس : في صورته .

[ص ٢١] - الفصل السـادس : فيمن أدركه من الصـحـابة رضـي الله عنـهم . وناقش ابن حـجـر صـحـة ذلك . مـع كل منهم بتـاريخ وفاته وكيـفـية لقائـه بأبي حنيفة وهل صحّ ذلك . (وفيه تنبيه ص ٢٣) .

[ص ٢٣] - الفصل السابع : في ذكر شيوخه - اختصر فيه ابن حجر شيوخ أبي حنيفة فلم يذكر أسماءهم وإنما ذكر عددهم حسب الروايات وأحال على المؤلفات التي كُتبتْ في ترجمة أبي حنيفة .

[ص ٢٣] - الفصل الثامن : في ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه. ولم يذكر ابن حجر أسماء تلاميذ أبي حنيفة واكتفى بذكر عددهم وأحال على المؤلفات في ذلك فقال : « وقد ذكر منهم بعض متأخري المحدثين في ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونَسَبهم بما يطول ذكره » .

[ص ٢٤] - الفصل التاسع : في مبدإ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم . (وفيه تنبيه ص ٢٥) .

[ص ٢٥] - الفصل العاشر : في ابتداء جلوسه للإفتاء والتدريس.

[ص ٢٦] - الفصل الحادي عشر : فيما بُني عليه مذهبه . أثبت فيه ابن حجر أن أبا حنيفة مجتهد في الأمور التي لا نصّ فيها من القرآن ولا السنة ولا إجماع الصحابة والتابعين ، فيما عدا ذلك يكون قياسه واجتهاده ورأيه » .

[ص ٢٨] - الفصل الثاني عشر : في الصفات التي تميز بها على مَن بعده .

[ص ٢٨] - الفصل الثالث عشر : في ثناء الأئمة عليه . أورد ابن حجر فيه أقوال العلماء المعاصرين لأبي حنيفة في مدحه والثناء عليه ، ثم قال في آخرها : « والآثار في النقل عن الأئمة غير ما ذكر كثيرة ، وفي بعض ما ذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذي يعرف الحق لأهله » .

[ص ٣٣] - الفصل الرابع عشر : في شدة اجتهاده في العبادة . (وفيه تنبيه ص ٣٤) .

[ص ٣٥] – الفصل الخامس عشر : خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى .

[ص ٣٦] – الفصل السادس عشر : في حفظ لسانه عمًّا لا يعنيه وعن السوء ما أمكنه .

[ص ٣٧] – الفصل السابع عشر : في كَرَمه .

[ص ٣٩] – الفصل الثامن عشر : في زهده وورعه .

[ص ٤٠] – الفصل التاسع عشر : في أمانته . أورد فيه أقوال علماء معاصرين لأبي حنيفة في أوصافه وعباداته وصفاته ومدحه .

[ص ٤١] – الفصل العشرون : في وفور عقله .

[ص ٤١] – الفصل الحادي والعشرون : في فراسته .

[ص ٤٢] – الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون : في عظيم ذكائه وأجوبته المسكتة عن الأسئلة المبهتة . (وفيهما سبع تنبيهات من ص ٤٤ إلى ص ٥٢) . جمع ابن حجر في هذين الفصلين أجوبة أبي حنيفة على مسائل الناس وذكائه وسرعة بديهته الدالة على عظيم علمه فيها ، فجاءت فيها روايات كثيرة أوردها . وفي ختامها قال : « وهذا الباب طويل ، وفيما ذكرناه كفاية على أنّ في بعض ما لم نذكره خللاً أو نزاعاً في ثبوته أوجب حذفه » .

[ص ٥٣] – الفصل الرابع والعشرون : في حلمه ونحوه .

[ص ٥٥] – الفصل الخامس والعشرون : في أكله من كسْبه وردّه للجوائز .

[ص ٥٦] – الفصل السادس والعشرون : في ملبسه .

[ص ٦٩] – الفصل التاسع والثلاثون : في رد ما نقله الخطيب في تاريخه عن القادحين فيه . وأورد ابن حجر فيه تحليلاً لما جاء في كتاب التاريخ للخطيب البغدادي ومن قال إنه ذكر أشياء تُنقِص من أبي حنيفة . فحلل ابن حجر ذلك بأنّ منهج المؤرخين ذكر جميع الأقوال عمن يُتَرجمون لهم فقال عن الخطيب : « اعلم أنه لم يقصد بذلك الاّ جمع ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين ولم يقصد بذلك انتقاصه ولا الحطّ من مرتبته بدليل أنه قدم كلام المادحين وأكثر منه » .

[ص ٦٩] – الفصل الأربعون : في ردّ ما قيل إنه خالف فيه صرائح الأحاديث الصحيحة من غير حجة . وقال عنه : « هذا باب واسع جداً يستدعي سرْد جميع أبواب الفقه فلنُشِرْ إلى قواعد إجمالية تنفع من استحضرها عند الأدلة التفصيلية » .

[ص ٧١] – الخاتمة : جعل ابن حجر الخاتمة في التأكيد على وجوب احترام العلماء ، وعدم الخوض في الحديث عنهم بما يؤذيهم . والتأكيد على فضل الإمام العظيم أبي حنيفة وعلو قدره ووجوب محبته واحترامه . إلى ص ٧٢ . وهي نهاية الكتاب .

منهج ابن حجر في هذا الكتاب :

ذكر ابن حجر أنه ألّف كتابه هذا تلخيصاً لكتاب آخر فقال : « ظفرتُ بكتاب جامع فيها (أي في مناقب أبي حنيفة) لصاحبنا الشيخ العلامة الصالح الفهامة الثقة المطلع ، والحافظ المتبع ، الشيخ محمد الشامي الدمشقي ثم المصري »[١] المتوفى سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م [٢].

وعنوان الكتاب هو« عقود الجمان، في مناقب أبي حنيفة النعمان »[٣].

ويستبين لنا منهج ابن حجر في تلخيصه لهذا الكتاب مما ذكره ابن حجر نفسه في مقدمة كتابه الخيرات الحسان حيث قال : « فلخّصتُ مقاصده ، ونقّحْتُ مصادره وموارده ، في هذا الكتاب البديع ... » [٤] .

كما يزيدنا المؤلف توضيحاً لمنهجه في الفصل الأول من كتابه حيث يقول : « إن أئمةً حفاظاً ترجموا هذا الإمام وأطالوا في ترجمته قديماً وحديثاً فقصدتُ أن أنتظم في سلكهم ... وأن ألخّص جميع ما ذكروه بأوجز عبارة وأبلغ إشارة معرضاً عن ذكر الأسانيد ، مُعَوّلاً على ما بسَطوه منها في كتبهم مما يُزيل الشك والترديد ، لإعراض الناس عن المطولات ، وإكبابهم على المختصرات »[٥] .

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان ص ٣ .

(٢) ترجمه ابن العماد في شذرات الذهب ٧ : ٢٧ ؛ وكحالة في معجم المؤلفين ١٠ : ٦٣ .

(٣) نسبته له مصادر ترجمته المذكورة أعلاه . لم أتمكن من الحصول على نسخة منه . (من كتاب عقود الجمان لمحمد الشامي الدمشقي) .

(٤) ابن حجر : الخيرات الحسان ص ٣ .

(٥) ابن حجر : المصدر السابق ص ١٩ .

ونلاحـظ بـأن ابن حجر هنا قال إنه لخّص جميع ما ذكره الأئمة في مؤلفاتهم التي خصوها بترجمة أبي حنيفة ، والواقع أنه لم يعتمد من كتبهم إلاّ أربعة كتبٍ ذكرها في كتابه وهي :

١ – عقود الجمان لمحمد الشامي .

٢ – مناقب أبي حنيفة النعمان لشمس الأئمة الكردري[١] .

٣ – مناقب أبي حنيفة للطحاوي[٢] .

٤ – البستان في مناقب النعمان لعبد القادر القرشي[٣] .

بالإضافة إلى ترجمة أبي حنيفة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . في حين أن المؤلفات التي خُـصصت لترجمة أبي حنيفة ومناقبه كثيرة جداً بحيث تُعَدّ بالعشرات[٤] .

---

(١) حافظ الدين محمد الكردري البزاري ت ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣م له كتاب مناقب الإمام أبي حنيفة – انظر ترجمته عند حاجي خليفة في كشف الظنون ص١٨٣٧ ؛ سركيس : معجم المطبوعات ص ٥٥٥ – ٥٥٦ .

(٢) أحمد بن محمد الطحاوي ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م – انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٨٣٦ – كحالة : معجم المؤلفين ٢ : ١٠٧ .

(٣) عبد القادر بن أبي الوفا القرشي المصري ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م – انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٢٤٤ ، ١٨٣٧ .

(٤) نذكر من هذه المؤلفات :

– أحمد بن الصلت الحماني ت ٣٠٨ هـ/٩٢٠م له كتاب في مناقب أبي حنيفة . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٨٣٧ .

– عبدالله بن محمد الحارثي الكلاباذي ت ٣٤٠ هـ/٩٥١م وكتابه كشف الآثار الشريفة في مناقب أبي حنيفة – انظر حاجي خليفة : المصدر السابق ص١٤٨٥ . ＝

....

- أحمد بن محمد الشعبي النيسابوري ت ٣٥٧هـ/٩٦٧م له كتاب في فضائل الإمام أبي حنيفة . انظر حاجي خليفة : المصدر السابق ص ١٨٣٩ ؛ البغدادي : إيضاح المكنون ١ : ٦٥ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢ : ٦٩ .
- حسين بن علي الصيمري ت ٤٣٦ هـ/١٠٤٤م - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٨٣٧ .
- جار الله الزمخشري ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣م كتابه شقائق النعمان في مناقب النعمان - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٨٣٧ .
- أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي ت ٥٥٦ هـ/١١٦٠م - وكتابه المواهب الشريفة في مناقب أبي حنيفة وتُرجِم إلى الفارسية ، ترجمَهُ محمد بن شهاب المعروف بأهلي الفارسي ت ٨٣٩ هـ/١٤٣٥م وسماه تحفة السلطان ، في مناقب النعمان .

  راجع حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٨٩٥ ، ٣٦٧ .
- موفق الدين بن أحمد المكي الخوارزمي ت ٥٦٨ هـ/١١٧٢م كتابه مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة - طبع ثلاث مرات بالهند .

  انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٨٣٧ ؛ سركيس : معجم المطبوعات ص ١٨١٨ ؛ د/محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص٣٨ - ٤٠ .
- محمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م له كتاب في ترجمة أبي حنيفة . انظر بشار عواد : الذهبي ومنهجه ص ٢٠٤ .
- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م وكتابه تبييض الصحيفة ، بمناقب أبي حنيفة - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٣٤٢ ، ١٨٣٨.
- أبو القاسم بن عبدالعليم اليمني الحنفي القرشي . له مؤلفان في أبي حنيفة وهما : قلائد عقود الدرر والعقيان ، في مناقب أبي حنيفة النعمان ، وكتاب الروضة العالية المنيفة ، في مناقب أبي حنيفة . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٣٥٣ ، ٩٢٧ .

أما بقية مصادر ابن حجر في كتابه فقد تنوعتْ وكان منها :

– اعتماده على كتب التراجم والطبقات ومنها ابن عبد البر وكتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، وابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان – والسبكي في طبقات فقهاء الشافعية والمحيوي القرشي في كتابه طبقات الحنفية وغيرها .

– كما اعتمد كتب الحديث وخاصة الإعتناء بكتب الموضوعات ومنها مؤلفات ابن الجوزي والذهبي والسيوطي في ذلك .

– كما اعتمد ابن حجر بعض الكتب الأخرى من مصادر فقهية وغيرها .

وعلى الأرجح فإنّ ابن حجر اتّبع محمد الشامي في مصادره .

– ومن المؤكد أن منهج ابن حجر في كتابه هذا « الخيرات الحسان» يختلف عن منهجه في رسالته الأولى في أبي حنيفة لأنه عند تأليفه هذا الكتاب لم يكن بين يديْه تآليفه السابق ولذلك تبيّن لنا بعد المقارنة السريعة بين الكتابين اللذيْن ألَّفهما ابن حجر في ترجمة أبي حنيفة انه توسع في الاخبار التي أوردها في الكتاب الثاني فأضاف أشياء لم يذكرها في الرسالة الأولى . منها مثلاً :

– في الفصل الرابع عند ذكره لاسم أبي حنيفة أورد بتوسع عدة روايات في ذلك لم يذكرها في مؤلَّفه الأول(١) .

– في الفصل التاسع والعشرين ذكر ابن حجر سند أبي حنيفة في القراءة وقال : إن المفسرين نسبوا له قراءات شاذة وأن محمد بن جعفر

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان ص ٢٠ .

الخزاعي وضع كتاباً في قراءات أبي حنيفة ، ثم وضح ابن حجر أن جماعة منهم الدارقطني أثبتوا أن ذلك الكتاب موضوع وأبو حنيفة بريء من ذلك . وهذه المعلومة لم يوردها ابن حجر في كتابه الأول .

وبما أن هذا الكتاب تلخيص لكتاب محمد الشامي فمن الطبيعي أن نجده يجْنَح إلى الاختصار وخاصة في ذكر شيوخ أبي حنيفة و تلاميذه ففي الفصل السابع ذكر ابن حجر عددَ شيوخ الإمام أبي حنيفة ولم يذكر أسماءهم وأحال على المؤلفات التي كتبت في ترجمته وذكرتهم وذلك لأنه في كتابه هذا يلخّص كتاباً آخر في نفس الموضوع .

وكذلك فعل في الفصل الثامن عند ذكر تلاميذ أبي حنيفة في الحديث والفقه .

٤ - معجم شيوخ ابن حجر = الإجـــازة :

ذكـر هذا الكتـاب تلمـيذه السـيـفي في نفـائس الدرر [ورقـة ٥ ب]؛ والعـيدروسي في النور السـافـر [ص ١٢٤ ، ٢١٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩١] ؛ والشلّي في المشرع الروي [٢ : ٣٨٠] ؛ والكتاني في فـهرس الفهارس [ص ٣٣٨ . ٣٣٩] ، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية [٣ : ٣٥٣] .

نُسَخ المخطوط :

تعرفتُ على ثلاث نسخ منه وفيما يلي وصفها :

١ - نسخة مكتبة برلين : رقمها ١٧٤ ، ذكرهـا الـوارد في فهرسته [ج١ ص ٦٤] .

الناسخ : إبراهيم بن عبد العزيز بن إسماعيل الاصفيدروي المنسوب إلى عثمـان ذي النورين . نسـخـهـا برسم الملا محـمـد بن الملا داود الكرودي . تاريخ نسـخها ٢٤ ربيع الأول سنة ١١٧٠ هـ . الخط نسخ . عدد ورقاتها ١٢٥ ورقة . مسطرته ١٥ .

وهي النسخـة التي اعتمدتها في دراسـتي ويلاحظ فيها أن بها هوامش فيها عنونة للموضوعات إلاّ انها أحياناً تكون غير صـحيحة لأنها لا تتطابق مع المضمون بدليل عدم وجودها في النسختين الأخريين .

٢ - نسـخـة دار الكتب المصـرية : رقـمـهـا ١٣٤ مـصطلح حديـث تيمـور . الناسخ : محـمد بن رسول بن محـمد بن محمد بن رسـول الذكي بن يعقوب بن خضـر . تاريخ النسخ سنة ١٢٢٥هـ . الخط نسخ . عدد ورقـاتها ٩٥ ورقة . المسطرة ٢٢ .

٣ - نسـخة مكتبة الأحقاف بتريم حضـرموت : مجموعة آل يحيى رقـم ١ مـجـاميع . الناسخ : لم يذكـر . تاريخ النسخ لم يذكر . الخط نسخ

عادي . عدد الورقات ١١٥ ورقة . المسطرة ما بين ١٩ و ٢١ سطراً .

وهذه النسخ الثلاثة اطلعتُ عليها وامتلكتُ مصورات منها واعتمدتُ في هذه الدراسة نسخة برلين .

ومن الكتاب نُسَخ أخرى :

نسختان بمكتبة الأوقاف ببغداد رقم ٢٨٠٦(٢) مجموع ، ورقم ٤٧٢٤(١) مجموع . ونسخة بالمكتبة القادرية ببغداد برقم ١٤٩٥ ، ونسخة مكتبة الحرم المكي برقم ٤٤ أسانيد دهلوي . وقد ذكر الكتاني في فهرس الفهارس [ص ٣٣٨] أنه اطلع على نسخة من الكتاب في المكتبة الخديوية بمصر وعلى نسخة أخرى كتبها حفيد المؤلف واسمه رضي الدين محمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن حجر ، فرغ منها سنة ١٠٣٠هـ .

عناوين الكتاب :

ذكر الكتاب بعناوين مختلفة وهي :

١ - معجم شيوخ ابن حجر الهيتمي . ذكره السيفي والعيدروسي والكتاني وجرجي زيدان .

٢ - ثبت ابن حجر الهيتمي وأسانيده في عنوان نسخة مكتبة الأحقاف باليمن .

٣ - الإجازة - في آخر نسخة برلين - وفي آخر نسخة مصر .

٤ - مسانيد ابن حجر الهيتمي - في عنوان نسخة الحرم المكي .

تاريخ تأليف الكتاب :

ألّف ابن حجر معجمه في آخر حياته حيث أتمّه في ١٢ رمضان من

سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م وهو ما ذُكر في آخر نسختي ألمانيا ومصر اللّتين ذكرناهما أعلاه . وسقط هذا التاريخ من نسخة اليمن .

الغرض من تأليف الكتاب :

وضع ابن حجر كتابه هذا ليكون معجماً له اختصه بثلاثة فقط من شيوخه وذكر أسانيده عليهم في مختلف العلوم وهو ما وضّحه بنفسه خلال المعجم حيث قال : بعد أن ذكر علم الحديث وأهميته وفضله : « لأنّي أخذته رواية ، وأتقنته دراية ، عن الأئمة المسندين ، والأكابر والمسِنّين ، ممن يضيق المقام عن استيعابهم ويجب الاقتصار على مسانيد أشهر مشاهيرهم ، شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي ثم شيخنا الزيني عبد الحق السنباطي ثم شيخنا شيخ مشائخنا بالإجازة الخاصة وشيخنا بالإجازة العامة لأنه أجاز لمن أدرك حياته ، وإني وُلدتُ قبل وفاته بنحو ثلاث سنين فكنتُ ممن شملتْه إجازته ، واستكمل عنايته ، حافظ عصره ، باتفاق أهل مصره ، الجلال السيوطي » [١].

ثم يقول : « وذلك إني تفقهتُ بجماعة كثيرين لا يحتمل الزمان ذكرهم على طريق الاستيعاب لاشتغال البال وحينئذ فلنَقْتصر على أجلائهم ومُسنديهم وهم مشائخنا الثلاثة السابقون »[٢] .

كذلك يقول في موضع آخر : « وبعد أن أنْهينا ذكر هذه الإجمالات فلنذكر أخصر مسانيد مشائخنا الثلاثة المذكورين في بعض الكتب المشهورة لعظيم احتياج الناس إليها » [٣].

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ٢٢ أ نسخة ألمانيا .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٥١ ب .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٥٧ أ .

محتوى الكتاب :

يحتوي الكتاب على العناصر التالية :

ورقة [١ ب] – أول الكتاب قوله : « إن أزهى زهر لمؤانس عناية الله الكبرى ، ووقايته الواقية للتخلّف عن السباق في السُّرى ، يُفَاوِحُ عبير طيبها نسائم الرياض ، ويُنَاسِم كمائم الغياض ... » .

[٣ ب] – أهمية علم الحديث مع بيان علو درجة علماء المسلمين القوّامين على الشريعة وخصوصاً مَن أنار الله بصيرتهم وذكر شرفهم برواية الحديث النبوي مستدلاً بالأحاديث النبوية الكثيرة .

[٨ أ] – من خصائص أهل الحديث اتصال مسانيد السنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأليفهم وأسانيدهم ومعاجمهم ومشيخاتهم ومسلسلاتهم فكانوا حُفّاظاً للشريعة المطهرة .

[١٢ أ] – شرع في مدحٍ مطوّل للشيخ أحمد قاضي مكة المكرمة ثم مدح السلطان سليمان القانوني العثماني مع الدعاء له وذكر أمجاده بعرض أعماله وأخباره . (وقد سقطت أمداح وأخبار السلطان سليمان من نسخة اليمن من هذا الكتاب) .

[١٩ أ] – قاضي مكة يطلب من المؤلف أن يكتب له بعض مسانيده في الكتب الستة والمجامع المشهورة وغيرها من الفوائد فأجابه ابن حجر إلى ذلك بوضع هذا الكتاب .

[٢١ أ] – ذكر العلوم التي أخذها عن شيوخه وهي العلوم الآلية والقوانين العقلية والعلوم الشرعية لا سيما علم الفقه وأصله ...

[٢٢ أ] – يذكر أنه وضع كتابه هذا لذكر مسانيد أشهر مشاهير

شيوخه وهم ثلاثة : أولهم زكريا الأنصاري ، وثانيهم عبد الحق السنباطي ، وثالثهم الجلال السيوطي مكتفياً بذلك لضيق المقام مع كثرة الشيوخ .

[٢٣ أ] – سنده إلى الحديث المسلسل بالأولية وهو (الراحمون يرحمهم الرحمن) [١] عن شيوخه الثلاثة مع ذكر سلسلة سند كل واحد منهم.

[٢٧ ب] – ذكر سند الحديث المسلسل بالمصافحة عن شيخيْه الأوليْن زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي .

[٣٤ أ] –أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في لبس العمامة.

[٣٤ ب] – نقده لشيخه زكريا الأنصاري في مسألة حديثية .

[٣٦ ب] – رواية الحديث المسلسل بأخذ السبحة باليد عن شيخه الثاني .

[١٤٠ أ] – طريقة أخذ العهد بين الشيخ والتلميذ ونصّها .

[٥٠ ب] – أهمية الأسانيد ومعرفتها لحفظ الشريعة الإسلامية : «لولا الأسانيد لقال مَن شاء ما شاء » فيجب ضبطها وتحريرها .

[٥١ ب] – اسانيد شيوخ شيخه الأول زكريا في الفقه .

[٥٢ ب] – سند شيخه الثاني عبد الحق السنباطي في الفقه .

[٥٣ ب] – سند شيخه الثالث الجلال السيوطي في الفقه .

[٥٤ ب] – فائدة مهمة : ذكر البلدان التي اشتهر فيها أئمة المذهب الشافعي وهي : بغداد ونيسابور وخراسان ومدنها الهامة كمرو وبلخ وهراة ثم بلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز (مكة والمدينة) وفي اليمن .

---

(١) أبو داود : السنن : ٤ : ٢٨٥ رقم ٤٩٤١ .

[٥٦ أ] – خروج جنكيز خان وخراب بغداد على يد هولاكو .

[٥٧ أ] – أسانيد شيوخه الثلاثة في مسانيد الأئمة الأربعة .

[٥٧ أ] – سند شيخه الأول في مسند أبي حنيفة .

[٥٧ ب] – سند شيخه الثاني في مسند أبي حنيفة .

[٥٧ ب] – ترجمة الإمام أبي حنيفة .

[٦٠ ب] – سند شيخه الأول في موطأ الإمام مالك .

[٦١ أ] – سند شيخه الثاني في موطأ الإمام مالك .

[٦١ أ] – سند شيخه الثالث في موطأ الإمام مالك .

[٦١ ب] – ترجمة الإمام مالك .

[٦٣ أ] – أسانيد شيوخه الثلاثة في مسند الإمام الشافعي .

[٦٣ ب] – ترجمة الإمام الشافعي .

[٦٦ ب] – أسانيد شيوخه الثلاثة في مسند الإمام أحمد .

[٦٧ ب] – ترجمة الإمام أحمد بن حنبل .

[٧١ ب] – ذكر صحيح الإمام البخاري ، يقول في ذلك انه أخذه عن مشائخ كثيرين لا يتسع المجال لاستيعابهم لذا اقتصر على شيوخه الثلاثة الذين خصهم بهذا المعجم .

[٧٢ أ] – ترجمة الإمام البخاري .

[٧٧ أ] – أهمية كتاب صحيح البخاري .

[٧٧ ب] – كتاب صحيح مسلم وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

[٧٧ ب] – ترجمة الإمام مسلم .

[٧٩ أ] – كتاب سنن أبي داود السجستاني وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

[٧٩ أ] – ترجمة أبي داود .

[٨٠ ب] – الجامع الكبير للترمذي وأسانيد شيوخه الثلاثة إليه .

[٨٠ ب] – ترجمة أبي عيسى الترمذي .

[٨٢ ب] – عرض مسائل من علم مصطلح الحديث تتناول الاسناد والمتن ، مع تحليل ومناقشة ثم إبداء رأي .

[٨٤ ب] – السنن الكبرى للنسائي وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

[٨٥ أ] – ترجمة الإمام النسائي .

[٨٦ أ] – سنن ابن ماجه وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

[٨٦ ب] – ترجمة ابن ماجه .

[٨٧ أ] – مؤلفات البيهقي وترجمته .

[٩٠ أ] – مؤلفات البغوي وترجمته .

من ورقة [٩٣ أ] إلى الخاتمة ورقة [١٢٤ ب] استعرض فيها ابن حجر مجموعة من الكتب في مختلف الفنون مع ذكر أسانيد شيوخه فيها وترجمات قصيرة لمؤلفيها .

وخلال ذلك تعرض إلى مسألة حدثتْ بمكة وهي ظهور القهوة وولوع الناس بها فاختلف العلماء والمفتين في حكمها وذلك من ورقة [١٠٥ أ] إلى ورقة [١٠٩ أ] .

أما المؤلفات التي ذكرها وترجم لمؤلفيها فهي :

صحيح ابن حبان في ورقة [٩٣ أ] ، سنن الدارقطني [٩٣ ب] ، المستدرك للحاكم [٩٤ ب] ، المعجم الكبير للطبراني [٩٥ أ] ، المعجم الأوسط له [٩٥ ب] ، المعجم الصغير له [٩٥ ب] ، الشفاء للقاضي عياض [٩٦ أ] ، مشكاة الأنوار للخطيب التبريزي [٩٦ أ] ، مؤلفات القاضي للبيضاوي [٩٧ ب] ، تلخيص المفتاح ومؤلفات الجلال القزويني [٩٩ أ] ، تفسير الفخر الرازي وسائر كتبه [٩٩ ب] ، مؤلفات القطب الرازي [٩٩ ب]، مؤلفات ابن الحاجب [١٠٢ أ] ، مؤلفات العضد الإيجي [١٠٣ أ] ، مؤلفات سعد الدين التفتازاني [١٠٩ أ] ، مؤلفات الشريف الجرجاني [١١٠ ب] ، كتاب التنبيه للشيرازي [١١١ ب] ، تصانيف إمام الحرمين الجويني [١١١ب] ، مصنفات الغزالي [١١١ب] ، تصانيف الرافعي [١١١ ب] ، كتاب الحاوي الصغير لعبدالغفار القزويني [١١٢ أ] ، تصانيف العز بن عبد السلام [١١٢ أ] ، تصانيف النووي [١١٢ أ] ، عوارف المعارف للسهروردي [١١٢ أ] ، تصانيف التقي السبكي [١١٢ ب] تاليف التاج السبكي[١١٢ب] ، تصانيف الجلال الأسنوي [١١٢ ب] ، تصانيف البدر الزركشي [١١٢ ب] ، تصانيف السراج بن الملقن [١١٢ ب] ، ألفية الحديث للزين العراقي [١١٣أ]، تصانيف ابن العماد [١١٣ أ] ، تصانيف الكمال الدميري [١١٣أ]، تصانيف الولي العراقي [١١٣ أ] ، تصانيف شمس الدين بن الجزري [١١٣ب] ، القاموس للفيروزابادي [١١٣ ب] ، الهداية للميرغناني [١١٤ أ]، مختصر القدوري [١١٤ أ] ، مجمع البحرين لابن الساعاتي [١١٤ أ] ، مؤلفات التقي الشمني [١١٤ أ] ، مؤلفات الكمال ابن الهمام [١١٤ ب] ، مؤلفات الكافيجي [١١٦ أ] ، مصنفات الخافي [١١٧ أ] ، مصنفات ابن قطلوبغا [١١٨ أ] ، مصنفات الكمال بن أبي

شريف [١١٩ أ] ، مؤلفات جماعة من الأئمة ، منهم : فقهاء ونحاة ومحدثون (دون ذكر أسمائهم) [١١٩ب] ، مؤلفات الشمس الفناري [١٢١ أ] ، مؤلفات القوشجي [١٢٢ب].

ورقة [١٢٤ب] - الخاتمة : وفيها إجازة لمن أهداه الكتاب ولعامة المسلمين وضّحها ابن حجر بقوله : « هذا وفيما ذكرته كفاية ، والحاصل أني أجزتُ لمولانا شيخ الإسلام المنوَّه باسمه أول الكتاب [أحمد عناية الله] ولولده درويش محمد الهاشمي ... ولسائر جماعته وأقاربه وأحبائه وذويه وتلامذته ولأهل بلده بل وإقليمه بل ولمن أدرك حياتي من المسلمين على مذهب من يَرى ذلك مِن أئمة الحديث ... أن يروي مولانا ومن ذُكر معه جميع ما ذكرتُه في هذه الأوراق وكذا غيره مما يجوز لي وعني روايته ... من مقروء ومسموع ومجاز إجازة خاصة أو عامة مناولة ومكاتبة ووجادة ومراسلة ومن معقول ومنقول من فروع وأصول ومن تأليف وتخريج وتصنيف ... بما أخذتُه ودريتُه أو وجدتُه أو رويتُه ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ... وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[١] .

ونلاحظ أن أغلب الكتب التي وردتْ في معجم ابن حجر تتناول الفنون التالية :

- كتب تفسير القرآن الكريم .
- كتب الحديث ومصطلحه .
- كتب أصول الفقه .
- كتب الفقه الشافعي .
- كتب الفقه الحنفي .

---

(١) ابن حجر : الاجازة ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ أ .

- كتب العقيـــدة .
- كتب اللغـــة .
- كتب النحـــو .
- كتب البلاغـــة .
- كتب المنطــق .

معجم ابن حجر بين مختلف المعاجم :

كتب المعاجم :

هي الكتب التي يؤلفها العلماء ليترجموا فيها لشيوخهم ويعرّفوا فيها بالكتب التي أخذوها عنهم .

وسُميتْ معاجم لأنها في مبدإ ظهورها كان المؤلف يذكر فيها الشيوخ على ترتيب حروف المعجم .

وقد يسمى المعجم مشيخة أو فهرسة أو ثبتاً عند المشارقة وأحياناً يسميها المغاربة والأندلسيون بالبرامج .

وقد تنوعت مناهج المؤلفين في كتب المعاجم وتعددت أساليبهم في ترتيبها وتأليفها فكان منها :

أ - معاجم تعرض تراجم الشيوخ وترتيبها على حروف المعجم ويذكر المؤلف في الترجمة ما أخذه عن الشيخ من مؤلفات وعلوم .

ب - معاجم تعرض تراجم الشيوخ مرتبة ثم تعرض فيها الكتب التي أخذها عن الشيخ مرتبة .

ج - معاجم يعرض فيها المؤلف الكتب التى أخذها عن الشيوخ الذين

يذكرهم تبعاً للكتب .

د - معاجم يضيف فيها المؤلف فوائد كثيرة تخرج بالكتاب عن حدّ المعجم والفهرسة فيُصبح كأنه كتاب في الأمالي .

هـ - وقد يرتّب الكتاب أسماء الشيوخ بحسب أهمية الشيخ وأسبقيته في العلم والمكانة .

ز - وقد يُرتّب الكتاب بحسب فنون العلم فيبدؤها بعلوم القرآن الكريم ثم الحديث الشريف ثم الفقه ثم علوم اللسان وغير ذلك من العلوم الأخرى .

ح - قد يضع المؤلف معجماً خاصاً بفئة معيّنة من العلماء حسب اختصاصهم . من أمثلة ذلك : كتاب المعجم المختص بالمحدّثين للإمام الذهبي .

وهكذا تنوعت أساليب مؤلفي المعاجم فكان الكثير منهم يسلك طريقة « مستجدة » لم يسلكها غيره ، ولكنهم في أغلب الأحيان يذكرون جميع شيوخهم ويترجمونهم وإن بلغوا عدداً كبيراً . من أمثلة ذلك : كتاب المعجم الكبير للإمام الذهبي الذي ترجم فيه لقرابة الألف من شيوخه .

كما أن الغالب على مؤلفي المعاجم أن يضعوا لأنفسهم معاجمهم فيذكرون شيوخهم والكتب التى أخذوها عنهم . إلا أننا نلاحظ أحياناً أن بعض الطلاب يضعون معاجم لشيوخهم فيجمعون فيها الشيوخ الذين أخذ عنهم استاذهم ، مثل : معجم شيوخ الصدفي . وهذا النوع من العمل سماه المشارقة التّخْريج وهو أن يُخرّج الطالب لشيخه معجماً يجمع فيه ذكر وتراجم شيوخ ذلك الشيخ وأمثلة ذلك كثيرة .

كما يلجأ بعض المؤلفين في أحيانٍ قليلة إلى وضع معجم يجمعون فيه تراجم تلاميذ ذلك الشيخ مثل معجم تلاميذ الصدفي من تأليف ابن الأبار[١] .

وجاء ابن حجر الهيتمي المكي في معجمه هذا بمنهج غريب يختلف عن الأنواع التي عرضناها سالفاً وذلك أنه جعل معجمه خاصاً بثلاثة من شيوخه وهم من كبار شيوخ العلم ومن الذين اشتهروا بكثرة الشيوخ وتنوع العلوم وتعدُّد الكتب التي ألّفوها أو أخذوها عن شيوخهم .

منهج ابن حجر في معجمه :

سلك ابن حجر في معجمه هذا مسلكاً غريباً عن مسالك مؤلفي المعاجم واستعمل منهجاً نادر الاستعمال ، فإن من عادة أصحاب المعاجم أن يجمعوا تراجم كل شيوخهم ويوردوها في معاجمهم ، إلاّ أنّ ابن حجر جعل معجمه هذا خاصاً بذكر ما أخذه من الكتب عن ثلاثة من شيوخه فقط وهم :

١ - زكريا الأنصاري الشافعي .

٢ - الزيني عبد الحق السنباطي .

٣ - الجلال السيوطي .

---

(١) انظر المزيد من التفاصيل عن تعريف المعاجم وأنواعها وأمثلتها ومناهجها في المراجع التالية :

أ - الكتاني : فهرس الفهارس ص ٦٧ - ٧١ .

ب - عبد العزيز الاهواني : كتب برامج العلماء في الأندلس مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الأول والثاني ص ٣ - ٣٢ .

ج - د. محمد الحبيب الهيلة : برنامج ابن جابر الوادي آشي ، المقدمة ص ٢٩ - ٣٧ .

وقد صرح ابن حجر في مقدمته بأنه أخذ عن الكثير من العلماء الكبار إلاّ أنه وضع معجمه هذا للشيوخ الثلاثة المذكورين فقال : « لأني أخذتُه [العلم] رواية ، وأتقنته دراية ، عن الأئمة المسندين والأكابر والمسنين ممن يضيق المقام عن استيعابهم ويجب الاقتصار على مسانيد أشهر مشاهيرهم شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي ثم شيخنا الزيني عبد الحق السنباطي ثم شيخنا شيخ مشائخنا بالإجازة الخاصة وشيخنا بالإجازة العامة ... الجلال السيوطي » (١).

ويمكننا أن نلاحظ بأن ابن حجر اعتبر الجلال السيوطي من شيوخه اعتماداً على الإجازة العامة التي أجاز بها السيوطي كل علومه لجميع الذين عاشوا في عصره . فقال عنه : « شيخ مشائخنا بالإجازة الخاصة وشيخنا بالإجازة العامة لأنه أجاز لمن أدرك حياته وإني وُلدتُ قبل وفاته بنحو ثلاث سنين فكنتُ ممن شملته إجازته ، واستكمل عنايته ، حافظ عصره ، باتفاق أهل مصر » (٢).

وقد جعل ابن حجر الجلال السيوطي من شيوخه وذلك لسعة شهرته وكثرة مؤلفاته واشتهارها مع كثرة مسموعاته لذا نجده اعتمده في غالب أسانيده .

وضع ابن حجر كتابه هذا – في الأساس – ليكون معجماً يذكر فيه ما أخذه عن شيوخه الثلاثة المذكورين سابقاً كما وضعه ليكون إجازة يجيز بها القاضي الحنفي أحمد وابنه درويش محمد الهاشمي ، ويجيز بها كل أبناء عصره وكل من أدرك حياته من المسلمين(٣) .

---

(١) ابن حجر : الاجازة ورقة ٢٢ أ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٢٢ أ .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ١٢٤ ب – ١٢٥ أ .

وهذا يفسر ما وجدناه في عناوين الكتاب من اختلاف فهو تارة يسمّى معجماً وثَبْتا وتارة أخرى يسمى إجازة .

– وعلى الرغم من أن ابن حجر اكتفى في معجمه هذا بالاعتماد على ما رواه عن هؤلاء الشيوخ الثلاثة فقط فإنّه لم يترجم لواحد منهم وإنما اكتفى بمدحهم وتحلية أوصافهم وذكر مكانتهم العلمية .

– أما شيوخه الآخرين – وهم كثر – فإنه لم يورد لهم ترجمات ولم يذكر منهم غير سبعة ذكرهم عَرضا خلال المعجم وهم :

الناصر اللّقاني ورقة [٩٩ ب] ، والزين الشنشوري ورقة [١٠٠ب]، والشمس السمنودي ورقة [٣٧ ب] ، والشمس ابن أبي الحمائل : ومحمد الحطاب الكبير ورقة [٣٩ أ] ، والحسيني بن علي رضي الدين ونسيم الدين الملقب بميرك شاه ورقة [٩٦ ب] .

– وإذا كان ابن حجر قد أهمل ترجمه شيوخه الثلاثة المقصودين بالمعجم فإنه اهتمّ فيه بترجمات المؤلفين للكتب التي أخذها عن الشيوخ الثلاثة والذين ذكروا ضمن هذا المعجم فقد ترجم لاثنين وثلاثين مؤلفاً عند ذكر مؤلَّفاتهم في ترجمات تختلف طولاً وقصراً بحسب أهمية الشخص المترجم فإنه عند تعرضه لمسانيد الأئمة الأربعة – أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ابن حنبل – فإنه عرض لكل واحد منهم ترجمة طويلة ومفصلة عرض فيها الإسم مفصلاً والأصل والولادة والرحلات والشيوخ والمؤلفات والمحن التي صادفته وآراء العلماء فيه من الورقة [٥٧ أ – ٧٠ ب] ، وكذلك فعل في ترجمة البيهقي من الورقة [٨٨ أ – ٩٠ أ] .

أما أغلب التراجم فإنه يوردها موجزة فيكتفي بذكر الإسم والولادة والوفاة والمؤلفات وآراء العلماء فيه مثلما فعله في ترجمة السعد التفتازاني

والجرجاني من الورقة [١٠٩ أ - ١١٠ ب] .

- أما أسلوب ابن حجر في العرض فإنه يختلف بعض الشيء عن بقية المعاجم فقد أطال في المقدمة طولاً مبالغاً فيه وجعلها مشتملة على موضوعات عديدة كما أقحم فيها نصاً طويلاً مدح فيه القاضي أحمد الحنفي والسلطان العثماني سليمان القانوني .

كما أراد ابن حجر أن يكون كتابه هذا في غاية الإيضاح وهو ما ذكره موضحاً أسلوبه حيث قال : « فأنا أحرّر العبارة ، وأزيد في التقرير والإشارة ، حتى يكون في غاية الإيضاح والبيان ، وأعبّر عما لا يقبله أئمة الظاهر بقولي زعم فلان ونحوه ، فتنبّه لذلك »[1] .

وإذا عرض مشكلة تتعدد فيها الآراء والأقوال يناقشها وينقدها ثم يعرض رأيه قائلاً : « والذي يتّجه عندي أن المراد ... »[2] كما يحيل أحياناً على المصادر التي تقوي حجته فيقول مثلاً « وليراجع جامع الأصول لابن الأثير ونحوه »[3] .

- ويعتمد ابن حجر في معجمه هذا الدقة والتحري في عرض أسماء رواة الحديث خاصة أولئك الذين يكون في أسمائهم بعض الإلتباس مما يثير الشك فيه فنراه يضع فائدة يذكر فيها هذا الإلتباس ويوضح الاسم والشخص ويوضح الفرق بينه وبين اسم المشابه له ويقدم ترجمة موجزة للرجلين ، كما فعل في عرضه الفرق بين يحي بن يحي الليثي الأندلسي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) ويحي

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ٣٩ ب .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٨٣ ب .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ص ٨٤ آ .

ابن يحي التميمي (ت ٢٢٦ هـ /٨٤٠م) وكلاهما من رجال الحديث . وهذا دليل على دقة معرفته بعلم الحديث ورجاله[١] .

– كما نجده يتحرّى ويدقّق في ذكر أسماء الأماكن والبلدان فقد أورد اسم هنا – وهو بلد قرب سمرقند – وتحرى في ذلك فضبط حروفها ودقق في الأمر فسأل أهلها عن طريقة نُطْقِها ومعناها[٢] .

– ونلاحظ أنه إذا عرض سنده للكتب الكبيرة الأساسية فإنه يُحيل إلى أسانيد شيوخه الثلاثة . ولكنه عند عرض سنده للكتب الفرعية الصغيرة فإنه يعرضها معتمداً على شيخ واحد مِن شيوخه الثلاثة أو شيخين اثنين ، وفي الغالب كان يعتمد على شيخه الثالث (وهو السيوطي) . وقد يخرج عن هذه القاعدة فيُحيل إلى أسانيد شيوخه الآخرين على غير عادته في المعجم [٣].

– وإذا تعرض ابن حجر إلى رواية حادثة تاريخية هامة نراه يعتمد تلخيصها . ففي ورقة [٦٨ أ – ٧٠ ب] عرض محنة الإمام أحمد بن حنبل وموقفه من القول بخلق القرآن فإذا هو يذكر الأسباب الأساسية لظهور هذه المحنة ويناقش القضية من أساسها منذ عهد بدايتها فيذكر أهم الأسماء والحوادث والتواريخ المبرزة لهذه الحوادث ويقدم لنا تلخيصاً دقيقاً مختصراً مناسباً لعلاقة هذه الحادثة بترجمة الإمام أحمد ، فجاءت روايته التاريخية متناسبة مع الترجمة لا تعتمد النقل الملّ وإنما تعتمد توضيح القضية وتحليلها وإبداء الرأي مع النقد التاريخي الدقيق .

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ٦١ أ – ب .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٧٦ آ .

(٣) انظر مثلاً ورقة ٩٦ ب .

– كما أنه من منهج ابن حجر في معجمه أن يقدم للقارئ تحليلاً دقيقاً للكتاب الذي يذكره ويبيّن منهجه ، كما فعل مع جامع الإمام الترمذي[١] .

أو يبيّن أهمية الكتاب ومكانته بين الكتب التي في موضوعه ، فقد ذكر كتاب المبسوط للبيهقي وعلّق عليه بقوله : « وهو الذي يضطر إليه كلّ فقيه شافعي ، إذ لا استغناء له عنه لأنه في معرفة السنن والآثار المؤيّدة لمذهبه والذابّة عن مطلبه »[٢] .

وقدّم دراسة تحليلية لمحتوى كتاب المصابيح للبغوي واشتماله على ما في الكتب الحديثية الستة ، وبين اعتراض بعض أكابر الحفاظ عليه ثم ردّ التاج التبريزي على هذا الاعتراض وانتصاره للبغوي ، خاتماً ذلك بتأييد ابن حجر العسقلاني لهذا الرأي . وخلال هذا العرض نجده يقدم دراسة مفصّلة للكتب الستة فيحلل ويناقش ويقارن مما يدلّ على سعة علمه بفنّ الحديث ، ثم يعلّق على كل ذلك بأن كل ما أورده فيها إنّما هو استطراد منه .

– ولا نجد ابن حجر يمدح الكتب التي ذكرها من بين مسموعاته فقط، بل نراه ينقد مناهج بعض العلماء في كتبهم ويبيّن أخطاءهم في مؤلفاتهم . فقد تحدث عن الإمام الكافيجي وذكر ما تميّز به من علم ومعرفة وعدم تعصبه لمذهبه إلاّ أنه انتقده في المنهج الذي سلكه في تأليف حاشيته على البيضاوي

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ٨١ ب .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٨٨ أ .

فقال : « ومع ذلك لما ألّف حاشيته على البيضاوي جعلها مجرّد جمع لحواش اطّلع عليها فيحكي تلك الحواشي في كلّ محلّ تخالفتْ أو توافقت فيه برمّتها ، من غير أن يتعقّب واحدةً منها بأدنى ردّ أو نقد أو تقييد أو إطلاق أو نحو ذلك . حتى أن مُطَالِع حاشيته يعتقد أنه ناقل لحواش فيها لا غير »(١) .

وعندما تعرض ابن حجر إلى شرح أبي النجا على توضيح ابن هشام (في النحو) ذكر أنه كتب في أربع مجلدات ثم قال عنها : « لو حُقِقتْ لم تأت مجلداً ، وذلك أنه يسلك فيها البسط بما ليس له كثير جدوى من التوسع في الاحتمالات العقلية والتشكيكات الإدّعائية ... » (٢).

يحرص ابن حجر في كتابه هذا على النقد النزيه المفيد ، فكلما وجد في رواية تاريخية ما يراه خطأ أَلْفَيْناه ينقد ذلك الخطأ فيبين وجه الصواب وينتقد قائله بأسلوب يناسب مكانته ، سواء كان من العلماء المشهورين أو من شيوخه أو من علماء رجال الحديث أو من العلماء الذين اشتهروا بالضلال فمن أمثلة ذلك :

انه ينْقُد شيخه زكريا الأنصاري الذي ينكر أخْذ الحسن البصري عن الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ولكن ابن حجر يُثْبتُ صحة ذلك الأخذ بالأدلة القوية ويوضح ذلك بأسلوب النصيحة والتّوعية والنقد المهذب. فيقول : « فلا تَغتَرّ بذلك وإنْ كَثُر المنكرون وجَلّتْ مراتِبُهم ، فإنّ الحق أحقّ أن يُتّبَع » (٣).

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ١١٧ أ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ١١٧ ب .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٣٤ ب .

ويننتقد مرة أخرى بعض العلماء ويناقش آراءهم ثم يوضح أنّ اختلاف العلماء واعتراض بعضهم على بعض لا يدل على تنقيص ولا ازدراء وإنما قَصْدُهم بيان وجه الصواب لله ولحفظ الشريعة الإسلامية » [١].

– وعندما يتعرض ابن حجر لخبرٍ مردودٍ عقلاً وشرعاً ورواية تاريخية يناقشه بجدّ وصرامة ويكذّبُه . فقد أورد أخبار المسندين عن المعمّرَيْن المغربي والهندي (رَتَن الهندي) اللذيْن ظهرا قريب القرن السادس الهجري وزعَم كل منهما أنه صحابي رأى النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع به وروى عنه . فنرى ابن حجر ينكر ادّعاءَهما وينقد مَنْ يُصدّقهما ليعدّ نفسه مِن التابعين[٢] .

أما إذا عرض قولاً خاطئاً من أقوال بعض المشتهرين بالضلال فإنّه يكذّبُه ويبيّن بُهتانَه . وقد فعل ذلك مع ابن حزم الذي كذَب على الإمام الترمذي وقال عنه إنه مجهول ، فرد عليه ابن حجر قائلاً « وقول ابن حزم إنه مجهول كذبٌ وافتراء منه على عادته القبيحة المستمرة في أنه يحطّ من أقدار العلماء وجلالتهم بالكذب والبهتان والسفاهة »[٣] .

---

(١) ابن حجر : الإجازة ورقة ٥٨ أ – ٥٩ ب .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٢٧ ب .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ورقة ٨١ ب .

منهج ابن حجر في كتابة التراجم والوفيات والفضائل :

اشتملت الكتب التي وضعها ابن حجر في التراجم على المؤلفات السابقة العرض وهي :

- معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة .
- تراجم الإمام أبي حنيفة النعمان .
- معجم شيوخ ابن حجر وهو الإجازة .

وبعد دراسة هذه المؤلفات يتبين لنا أن ابن حجر لم يستعمل نمط كتابة التراجم إلاّ لغرضين معينين وهما :

ا - الغرض الأول :

وضع ابن حجر تراجم أئمة المذاهب الفقهية ، لمداواة المشاكل الإجتماعية التي طغت في ذلك العصر وخاصة في مكة حيث قويت المواجهة بين المذهب الشافعي والمذهب الحنفي .

فقد كان المذهب الشافعي سائداً قبل ظهور الدولة العثمانية . وعندما استقر الحكم العثماني على الحجاز قوي المذهب الحنفي وانتشر بين الناس واجداً المساندة من العثمانيين الذين أعادوا بناء المقام الحنفي في الحرم المكي وجعلوه على طابقين وفرضوا تسمية قاضي الحنفية من طرف الدولة العثمانية بعد أن كان يقع اختياره من بين فقهاء المكيين ، وخاصة من عوائل المكيين الأحناف . مثل عائلة بني الضياء القرشيين .

لذا نجد ابن حجر يؤلف كتابه « معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة » ويضع فيه تراجم الأئمة الأربعة ليبين للناس فضائل جميع الأئمة الأربعة وأنهم جميعاً من أهل السنة المرضي عنهم وأن تقديرهم واجب

على كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم . وأنهم إذا فاضلوا بين الأئمة والمذاهب السنية أوجدوا بين المجتمع الإسلامي فوارق وحزازات يمكن أن تُحدث انقساماً بين المسلمين . ورغم ضياع هذه الرسالة وعدم عثورنا على نسخة منها فإننا وجدنا أن ابن حجر تناول تراجم أئمة المذاهب في كتابه الإجازة فترجم لهؤلاء الأئمة ترجمات تبين لنا موقفه منهم ومدحه لهم وعدم تفضيله لأحد منهم على الباقين بما يعرضه من عناصر ترجماتهم ومناقبهم وذلك من ورقة [٥٧ ب] إلى ورقة [٧١ ب] من الإجازة (نسخة ألمانيا) .

كما تناول ترجماتهم ومناقبهم أيضاً في كتابه الحديثي « فتح الإله في شرح المشكاة » .

وقد اهتم ابن حجر بترجمة أبي حنيفة النعمان أكثر من تراجم غيره من بقية أئمة المذاهب – حسبما يظهر لي – لسببين اثنين .

أولهما : يُعتبر ابن حجر من أكبر شيوخ الشوافع في مكة ولذلك أراد أن يبين لهم أن الإمام أبا حنيفة من أئمة المسلمين وأهل الفضل والعلم والدين وأنه لا يجوز لمسلم – ولو كان شافعياً – أن يحط من قدره وقيمته ولا أن يناهض أو يعادي المذهب الحنفي . وهو نمط ذكي من دعوة المؤمنين إلى الوحدة الإسلامية تحت راية السنة الشريفة ، ويَصُدُّ أصحاب التعصب المذهبي من الوقوع في أئمة المسلمين ومن إثارة الفتن والخلافات بين أبناء الدين الواحد .

ثانيهما : أن ابن حجر أراد أن يبين للدولة العثمانية صاحبة السلطة على أغلب العالم العربي الإسلامي بأن شيوخ المذهب الشافعي لا يقفون موقف المعاداة للمذهب الحنفي ولا لإمامه حتى لا تنزلق السياسة العثمانية في مزالق محاربة ومعاداة الشوافع ، وحتى لا يعتبر العثمانيون ما يظهر لهم من

بعض العامة من غلاة الشوافع عداءً يقابلونه بالمحاربة والعداوة .

هذه هي أهم الدوافع التي حَدَتْ بابن حجر إلى كبير اهتمامه بترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان .

أما الأساليب والمنهج الذي سلكه في كتابته لمختلف هذه الترجمات المتعددة لأبي حنيفة فإنها تختلف باختلاف مواضعها من تآليفه :

ففي ثلاث مرات كتب ابن حجر ترجمات لأبي حنيفة ولكن في كل مرة منها يضعها داخل كتاب من مؤلفاته لم يوضع أساساً لترجمة أبي حنيفة أو لمجموعة من الترجمات وانما وضعها في موضوعات أخرى .

- فإن الترجمة التي أقحمها في كتابه فتح الإله في شرح المشكاة هي ترجمة قصيرة وضعت ضمن كتاب حديثي عند ذكره لأكابر علماء الحديث .

- والترجمة الثانية التي وضعها في شرح كتاب « عين العلم » هي أيضاً وضعها مختصرة داخل كتاب حديثي أخلاقي أيضاً هو كتاب « عين العلم » الذي وضع ليكون اختصاراً لكتاب « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي .

- والترجمة الثالثة وضعها ضمن معجمه المعروف بالإجازة حيث عرض فيه ترجمة موجزة لأبي حنيفة عند حديثه عن كتب الحديث التي درسها على شيوخه والترجمة لمؤلفيها .

ولهذه الأسباب كانت هذه الترجمات مختصرة إلا أنها اشتملت على أهم عناصر الترجمة وخاصة منها ما يبيّن فضائل ومناقب وأخلاق هذا الإمام الجليل مع بيان علو درجته العلمية .

- أما الترجمتان الكبيرتان اللتان وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة

فإنهما واسعتان طويلتان لأنه جعل كل واحدة منهما في كتاب .

أحدهما صغير سماه رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان وضعه في منهج خاص به ، لم يلخص فيه كتاباً ألّفه غيره وإنما كتبه ابتداء ووضع له منهجاً اختاره بنفسه فاشتمل على ٣٠ فصلاً وخاتمة عرض في عدد قليل من عناصرها الوقائع المادية لحياة الإمام أبي حنيفة كنسبه ومولده وشيوخه وتلاميذه ومحنته عند رفضه القضاء ووفاته . وأولى أغلب اهتمامه في رسالته هذه بصفات هذا الإمام الاخلاقية والسلوكية مع بيان رسوخه في العلم وتقدير الناس لما آتاه الله من علم وفضل ، واعترافهم بسمو مكانته العلمية والدينية .

أما الكتاب الثاني فهو أكبر من السابق إلاّ أنه لخص فيه كتاباً آخر في الموضوع ألّفه غيره فالكتاب الملخَّص هو عقد الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان ومؤلفه هو معاصره محمد بن يوسف الشامي الدمشقي (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) .

قال ابن حجر في مقدمة تلخيصه متحدثاً عن عمله في كتابه «الخيرات الحسان » « لخّصتُ مقاصده ونقّحتُ مصادره » وجعله في ثلاث مقدمات وأربعين فصلاً وخاتمة ، لم يختلف كثيراً عن منهجه في رسالته السابقة الذكر من حيث الاهتمام بعرض فضائل ومزايا الإمام أبي حنيفة الاخلاقية والدينية والعلمية مع الإكثار من إيراد القصص التي تقوم أمثلة مؤكدة لثبوت تلك الصفات والمناقب للمترجم .

وبالإضافة إلى ذلك فقد اهتم اهتماماً بالغاً بالرد على من يحط من مكانة أبي حنيفة بسبب التعصب المذهبي مبيناً خطر ذلك على الوحدة الإسلامية مُنكِراً على من تزل قدمه ويقع في واحد من الأئمة والعلماء الصالحين من مجتهدي المذاهب السنية الأربعة .

هذه أهم سمات منهج ابن حجر في عرض التراجم المطولة التي خص بها إمام المذهب الحنفي .

٢ - الغرض الثاني :

أما الغرض الثاني من أغراض كتابة ابن حجر لنمط كتابة التراجم فهو يختلف عن الغرض الأول حيث أنه أراد أن يجري على مسلك أبناء عصره في وضع معجم له يجمع فيه شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ليكون شهادة على مستواه العلمي واتساع زاده الثقافي ووفرة الكتب التي أخذها عن شيوخه .

ورغم أنه أراد أن يضع معجماً له فإنه شذّ عن بقية زملائه من مؤلفي المعاجم فإنه لم يجعله معجماً مترجماً لكل شيوخه ذاكراً لهم ، وإنما اكتفى فيه بما قرأه على ثلاثة من كبار شيوخه . وعوضاً عن أن يضع ترجمات لكل شيوخه أو لهؤلاء الثلاثة منهم فقط فإنه خصّصه لتراجم مؤلفي الكتب التي درسها على شيوخه من القدماء أصحاب المؤلفات الكبيرة والأساسية في العلوم الدينية واللغوية والعقلية فكان عدد هذه الترجمات ٣٢ ترجمة كانت في أكثرها موجزة تكفي لتضبط اسم الشيخ ونسبه وتاريخ ولادته ورحلاته لطلب العلم وشيوخه وتلاميذه وصفاته وأهم حوادث حياته وأشهر تآليفه وآراء العلماء فيه ثم تاريخ وفاته . وهو ما يستجيب لغايته ويكفي ليبيّن للقارىء أهمية هذا المؤلف ومكانة تآليفه في إثراء الزاد الثقافي لطالب العلم .

وهكذا فإن ابن حجر عالج الكتابة التاريخية في فن التراجم فكانت كتابته في هذا المجال متلائمة مع غرضه الذي يريده منها تطول حين يستلزم الغرض الإطالة والتوسع وتكون موجزة إذا استلزم الغرض الإيجاز .

الفصل السادس
مؤلفات ابن حجر ورسائله
المشتملة على معلومات
تاريخية وحضارية اجتماعية تصور عصره

أ - مؤلفات ورسائل تشتمل على معلومات متعلقة بالتاريخ السياسي وببعض النظم في الحجاز :

اهتم ابن حجر ، وهو الفقيه المحدث ، بأمور السياسة والمجتمع فقدم النصح والإرشاد للملوك وأصحاب السلطة بتأليفه كتابه « نصيحة الملوك » [١] ليوضح فيه قواعد السياسة الشرعية وما يتبعها من أحكام فقهية يجب على الملوك وأصحاب السلطة الإلتزام بها وتطبيقها .

كما وضع كتابه « إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العمال والحكام » في المسائل المتعلقة بالهدية والرشوة التي تُقدم للقضاة وأصحاب السلطة والحكم ، مع بيان آراء العلماء فيها على مختلف المذاهب[٢] .

واهتم ابن حجر بتذكير أصحاب السلطة والسياسة بوجوب تطبيق العدل فوضع كتاب « الأربعون حديثاً في العدل » وأهداه إلى السلطان سليمان خان ، جامعاً فيه الأربعين العدلية من الأحاديث الخاصة بالعدل والعدالة[٣] .

ومن أبرز مؤلفات ابن حجر التي تعلقت بالسياسة والحكم كتابه « جمر الغضا ، لمن تولى القضاء »[٤] فقد وضعه في نقد قضاة السوء وذم أفعالهم التي تمجّها الاسماع وتستنكرها الطباع وقال عنهم : « ولما أن كان غالب قضاة زمننا بلغوا إلى ما لم يبلغه غيرهم ، صنّفتُ كتاباً في قبائحهم وصدّرتُه بأربعين حديثاً فيه مزيد الذم وتشديد الوعيد على أكثر القضاة ،

---

(١) راجع مؤلفات ابن حجر في الأخلاق ص ٣٢٠ (وهو كتاب لم نعثر عليه)

(٢) انظر حديثي عنه ضمن مؤلفات ابن حجر في الأخلاق ص ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) انظر ما كتبته عنه في مؤلفات ابن حجر في الحديث ص ١٩٦ .

(٤) انظر ما كتبته عنه ضمن مؤلفات ابن حجر في الحديث ص ١٩٧ .

وسميته « جمر الغضا ، لمن تولى القضاء »[١] .

وركز ابن حجر اهتمامه بالتأليف عن النظام التعليمي حيث وضع كتابيه « تحرير المقال ، في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال ». و « آداب المعلم والمتعلم »[٢]. فجاءت في كتابه الأول إجابات لأسئلة وردت عليه من أحد مؤدبي الأطفال بمكة وهو عبدالله اليافعي وجمع فيه ابن حجر جميع ما يتعلق بمسائل التعليم خاصة تعليم القرآن وفضل تدريسه وحكم أخذ الأجرة عليه وغير ذلك من أحكام خاصة بالمعلمين والمتعلمين . وجاء كتابه الثاني تلخيصاً لكتاب وجده لأحد علماء المغاربة جامعاً فيه كثيراً من المسائل في مجال التعليم وآدابه . فأخذ ابن حجر حاصل ما فيه ونقحه وزاد عليه .

وذلك إنما يوضّح مدى اهتمام ابن حجر بالنظام التعليمي في مجتمعه وما يجب أن يكون عليه .

أما كتاب ابن حجر « الفتاوى الحديثية » فقد وجدنا فيه الكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بالتاريخ القديم والسيرة النبوية . فمن أمثلة التاريخ القديم : ما ورد في [ص ٣٩] من ذكر ملوك الأرض من القدماء ذو القرنين وسليمان عليهما السلام .

وما ورد في [ص ٦١] عن قصة هاروت وماروت .

وما ورد في [ص ١٥٨] عن عدد نساء سليمان عليه السلام .

وما ورد في [ص ١٨٨] في قصة عوج بن عنق وما فيها من أحاديث

---

(١) ابن حجر : الإعلام بقواطع الاسلام ص ١٧ ، وكتاب جمر الغضا لم نعثر على نسخة منه .

(٢) انظر ص ٢٩٥-٢٩٨ ، وص ٢٩٢-٢٩٤ من هذه الرسالة .

وروايات موضوعة .

وما ورد في [ص ٢٥٣] عن تاريخ سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وما ورد في [ص ٢٨٩] عن موت فرعون كافراً .

وما ورد في [ص ٣٠٧] عن حياة الخضر عليه السلام . وغير ذلك .

ومن أمثلة ما جاء في كتاب « الفتاوى الحديثية » ويتعلق بالسيرة النبوية : ما ورد في [ص ٤] عن طول عمامة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي [ص ٥٥] عن عدد الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي [ص ١٢٧] عن بنات الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة.

وفي [ص ١٣١] فيمن سُمِّيَ محمداً قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي [ص ١٣١] عن عدد أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من ذكور وإناث .

وفي [ص ١٧٥] ما ورد في حق إبراهيم ابن النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي [ص ١٧٧] عن واقعة حفر الخندق ومعجزاتها .

وفي [ص ٢٢١] عن خوفه صلى الله عليه وسلم وتعوذه في أدعيته . وغير ذلك .

مع إيراد أخبار أخرى تاريخية تخرج عن السيرة النبوية منها :

مـا ورد في [ص ١٦٥] عن الحكمـة في خـصـوص أولاد فـاطمـة بالشرف .

وفي [ص ١٦٨] أن العلامـة الخضـراء للأشراف حدثت سنة ثلاث وسبـعين وسبـعـمائة (٧٧٣هـ / ١٣٧١م) وفي نفس الصـفـحـة عن أوقـاف الأشراف .

ب - مؤلفات ورسائل متعلقة بالحرمين :

اهتم ابن حجر في مؤلفاته بذكر أوضاع الحرمين المكي والمدني واختص كتابه « المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة »[1] في ذكر حادثة وقعت خاصة بالمسجد الحرام وحكم الإصلاح في الكعبة بالهدم والعمارة وغير ذلك مما يستوجب الإصلاح فيها وذلك سنة ٩٥٩هـ /١٥٥١ م .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب وضعه ابن حجر ليكون فتوى فقهية في حكم إعادة بناء سقف الكعبة وجدرانها وبه يحسم الخلاف الواقع بين فقهاء عصره في ذلك ، إلاّ أنه اشتمل على الكثير من الأخبار التاريخية المتعلقة ببناء الكعبة عبر العصور القديمة والحديثة فتناول بناء الملائكة ، وبناء آدم ، وبناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم بناء العمالقة وجرهم وقصي ابن كلاب وعبدالمطلب وبناء قريش . ثم استعرض البناء والعمارة في العصر الإسلامي فتناول بناء عبدالله بن الزبير والحجاج والوليد بن عبد الملك ، والمتوكل العباسي سنة ٢٤١ هـ /١١٥٥م ، وما حدث في عمارة سقفها ودرجتها سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م ، وإصلاح رخامها في عهد المستنصر

---

(١) درسناه وفصلنا الحديث عنه في الفصل الخاص بكتب التاريخ ص ٤٦٥ - ٤٧٥. وقد حققنا الكتاب وجعلناه ملحقاً أولاً لهذه الرسالة .

العباسي سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م ، وما حدث من تجديد رخامها سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م في زمن المظفر الرسولي صاحب اليمن ، وإصلاحها سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م بحضور الإمام الفاسي ، وإصلاحها في عهد السلطان برسباي سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢ م وغيرها .

كما قدم عرضا تاريخياً لواقعة القرامطة سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م [١] وما وقع في المسجد الحرام وحجاج البيت العتيق من قتل وإيذاء ، وذكر سرقة الحجر الأسود وبقائه لديهم ٢٢ سنة . وهو يقدم في رسالته هذه كتابة تاريخية دقيقة لحل مشكلة فقهية ذات طابع عقدي .

ومن اهتمام ابن حجر بأوضاع الحرمين وأخبارهما ما ذكره في كتابه الفتاوى الفقهية حيث روى لنا حادثة تاريخية وقعت في عهده بالمسجد الحرام . فذكر في باب طلب الفتوى خبراً تاريخياً يتعلق بما « وقع في موسم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨هـ /١٥٥١م) ضحى يوم النحر بين صاحب مكة وأمير الحاج من فتنة اقتضت خوف الناس كلهم من أعراب البوادي وغيرهم على نفوسهم وأموالهم إن أقاموا بمنى للمبيت أو الرمي ثم تزايدت واشتد الخوف إلى أن رحل أكثر الناس من منى وتركوا المبيت ورمي أيام التشريق وتعذرت الإستنابة ولم يبق بها إلا المخاطر بنفسه وماله »[٢] .

وعاد ابن حجر إلى ذكر هذه الحادثة في كتابه الصواعق المحرقة وعرضها بصورة مفصله فقال : « ما أخبرني به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحيهم لما وقع من أمير الحجاج الفاجر المفسد المذموم المخذول ما سوَّلتْ

---

(١) ان هذه الأمور وردت مفصلة بأرقام أوراقها في دراستي لكتاب المناهل العذبة في موضعه من الرسالة ص ٤٦٥ - ٤٧٥ .

(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية ٢: ١٣٢ - ١٣٣ .

له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيد الشريف صاحب مكة محمد أبي نمي – زاد ترقيه وعلوه – ببيته بمنى يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة – أعاذهم الله من ذلك – فظفروا به وأرادوا قتله وجميع جنده لكنه – أعني السيد أبا نمي – خَشي على الحجاج أن يُقتلوا عن آخرهم فلا يفضل منهم عقال ، فأمسك عن قتاله . ثم ذهب ليلة النفر إلى مكة والناس في أمر مريج . فلم يزدد ذلك الجبار إلاّ طغياناً ، فنادى أنّ الشريف معزول ، فلما سمعت الأعراب بذلك سقطوا على الحجاج ونهبوا منهم أموالاً لا تُعدّ وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصال الحجاج والأمير وجنده . فركب الشريف – جزاه الله عن المسلمين خيراً–وأثخن في العرب الجراح وقتل البعض فخمدوا . واستمر ذلك الجبار بمكة والناس في أمر مريج بحيث عُطّلت أكثر مناسك الحج والجماعات وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يُسمَع بمثله ، ثم رحل ذلك الجبار وهو يتوعد الشريف بأنه يسعى في باب السلطان في عزله وقتله . وكان ذلك كله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة .. »[١]ـ ٩٥٨هـ / ١٥٥١م) .

ولقد اعتمد مؤرخ مكة السنجاري في كتابه منائح الكرم على نقل هذه الحادثة التاريخية عن ابن حجر فأوردها بقوله : « ورأيت في ذيل الصواعق المحرقة للعلامة ابن حجر المكي ... »[٢] .

وفي كتاب ابن حجر الفتاوى الفقهية أورد كامل نص تأليفه الذي عنوانه « الاتحاف ببيان أحكام إجارة الأوقاف »[٣] الذي قدم فيه ابن حجر

---

(١) ابن حجر : ذيل الصواعق المحرقة ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

(٢) السنجاري : منائح الكرم في أخبار مكة والحرم ٢ : ٤٢٩ .

(٣) ابن حجر : إتحاف إجارة الأوقاف المطبوع ضمن الفتاوى الفقهية ٣:٣٢٦ – ٣٤٩ .

أوصافاً لأوقاف بيوت مكة وأحكامها وما يحق للناظر منها ومدة وقفها وغير ذلك[١] كما أورد أخباراً « عما يفعله حكام مكة من إجارة دور الوقف الخربة الساقطة مائة سنة أو نحوها »[٢] وحكم ذلك وما يترتب عليه من مصاريف إصلاحها وعمارتها .

كما وضع ابن حجر كتابه « كشف الغين عن أحكام الطاعون وأنه لا يدخل البلدين » الذي أورد تلخيصاً له ضمن كتابه الفتاوى الفقهية[٣] وتناول فيه أخباراً عن أقوال العلماء هل يمكن دخول الطاعون مكة والمدينة أو لا . ولقد ذكر تلميذه السيفي عن كتابه هذا قوله : « ألفه مستهل رجب سنة اثنين وسبعين وتسعمائة (٩٧٢ هـ / ١٥٦٤م) لما سُئل أيدخل [الطاعون] مكة ؟ »[٤].

ومن كتاب ابن حجر « تنوير البصائر والعيون بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون » الذي ورد نصه ضمن كتاب الفتاوى الفقهية[٥] خصص ابن حجر الباب السادس « في بيان حكم عيون الحجاز بخصوصها هل هي مملوكة أو مباحة ؟ وهل يصحّ بيعها أو لا ؟ »[٦].

ثم استعرض حكم بيع العيون بمكة وأوضاعها في عصره فقال : « أنه لا يوجد أحد من أهل عيون مكة يملك ماء مجرداً عن القرار قط بل كل من

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ص ٣٣٥ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ص ٣٣٩ .

(٣) ابن حجر : الفتاوى الفقهية ٤ : ٢٠ - ٢٩ .

(٤) السيفي : نفائس الدرر ورقة ٥ أ .

(٥) ابن حجر : الفتاوى الفقهية ٢ : ١٦٦ - ٢٢١ .

(٦) ابن حجر : المصدر السابق ص ١٨٩ .

ملك الماء ملك قراره بحيث أن ذيل العين ومجراها ومنبعها إذا خرب وتنازع الشركاء في عمارتها عمروها على حسب ملكهم للماء . ولو رفعوا الأمر إلى قاض أو أمير بمكة لحكم بينهم بذلك ، وأيضاً بعض عيون أودية مكة الآن خراب لا يجري فيها ماء منذ سنين ومع ذلك فقد أخبرني بعض الثقات أنه اشترى من هذه العين أجزاء وأن صورة مشتراها : اشترى فلان ساعة مثلاً من قرار عين كذا »[١]. فهو يبين لنا نموذجاً لصورة عقد الشراء بمكة في ذلك العصر . مع أخبار أخرى عن العيون بمكة وما حولها .

ونستطيع أن نستخرج من بعض الفتاوى الفقهية التي تعرض على ابن حجر ويقدم إجاباته عنها ذكراً لبعض الأوضاع الإجتماعية والحضارية في الحرم النبوي الشريف .

فجاء مثلاً في إجابته عن سؤال ورد عليه مضمونه : « سئل – رضي الله تعالى عنه – عن أمره صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه الصحابة بسد أبوابهم النافذة إلى مسجده إلاّ خوخة أبي بكر – رضي الله عنه– من رواه ؟ وما حكم ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم »[٢] . فقدم في إجابته عرضاً لأبواب المسجد النبوي ووصفا لشوارع المدينة المنورة وتطوّر العمارة بالمسجد النبوي في عهد الصحابة . ثم جعل خاتمةً تضمنت موضوع اختلاف العلماء حول رغبة السلطان قايتباي في بناء مدرسة بجوار المسجد النبوي وأن يجعل الحائط مشتركاً بين المسجد والمدرسة وحكم ذلك[٣] .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ص ٢١٨ .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ٣ : ١٦٠ .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ٣ : ١٦٤ .

كما عرض ابن حجر في فتاويه الفقهية أخباراً عن أوضاع اجتماعية وحضارية في عهده منها وظائف البوابين في الحرم النبوي وما يخصص لهم من صدقات وكيف تقسم بينهم وعدد البوابين في تلك الفترة وجهات تعيينهم فقال : « سئل عن شخص دخل إلى الحرم الشريف النبوي وأعطى البوابين به وهم تسعة أنفار لكل نفر منهم خمسين محلقاً والتسعة الأنفار بعضهم مقَرَّرٌ بالأصالة في وظيفة البوابة بتقرير الناظر الشرعي وبعضهم نائب بالأجرة عن صاحب الوظيفة ... »(١) .

ونجد ابن حجر في كتابه الفقهي « مختصر الإيضاح »(٢) يقدم العديد من المعلومات الحضارية الخاصة بالحرمين .

ففي [ص ٦٥] يصف مسجد الخيف في عرفات وأن منارته في وسطه .

وفي الباب الخامس في المقام بمكة [ص ٨٥] يقدم عرضاً لفضائل مكة .

وفي [ص ٩٠ – ٩٤] يقدم عرضاً لتاريخ عمارة الكعبة المشرفة منذ القديم وبعد النبوة .

وفي [ص ٩٤] يقدم عرضاً لأسماء المدينة المشرفة .

وفي [ص ٩٩ – ١٠٠] يستعرض بناء المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة الصحابة والأمويين فيه .

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية ٣ : ١٦٤ .

(٢) ابن حجر : مختصر الإيضاح المطبوع بهامش عمدة الأبرار للونائي انظر ص ٢٠٩ – ٢١٠ من هذه الرسالة .

ج - مؤلفات ورسائل تشتمل على معلومات تصوّر وجوهاً من الضلال والبدع والأخطاء المنتشرة في عصره :

- من أبرز وجوه الضلال المنتشرة بمكة في عصر ابن حجر كان ظهور الشيعة وتكاثرهم ونشاطهم في نشر دعوتهم ومبادئهم . ومن المؤكد أن عالم مكة وفقيهها ابن حجر لا يمكن أن يقف موقف المتفرج أمام هذه الظاهرة الخطيرة في المجتمع المكي . لذا نراه يحارب الشيعة بطريقة العلماء فيضع المؤلفات الخاصة بذلك ويهدم أفكارهم ويبطلها . كما أننا نجده في مؤلفات أخرى لا يترك فرصة تأتيه لإثبات ضلال الشيعة إلا ويغتنمها .

فهو يؤلف كتابه « الصواعق المحرقة في الرد على أهل الضلال والبدع والزندقة » ردّاً على الشيعة ومناقشة أقوالهم وإبطال دعواهم محتجاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات الصحابة وكبار العلماء وروايات المؤرخين . وكان قد كتب قبله مؤلّفاً في حَقّية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب وقال عنه : « ثُم سُئلتُ قديماً في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة أشرف بلاد الإسلام »[(١)] .

وها هو في كتابه « إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء في الصدقة والضيافة » الذي وضعه سنة ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م لما كثر القحط باليمن وجنوب الحجاز ونزح أهلها إلى مكة . فكتبه ليحثّ أهل مكة وخاصة الأغنياء منهم على وجوب الصدقة والضيافة وقال في المقدمة عن الشيعة بمكة : « لكن منهم أو أكثرهم [أغنياء مكة] مَن هو رافَضي أو شيعي يبغض

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٣ .

الإسلام وأهله ، فلا تزيده رؤية سَيّء أحوال من المسلمين إلاّ فرحاً وسروراً ، طهر الله بلده الأمين ، وحرمه المطهر ، وبيته المكرم المعظم ، منهم ، وعاملهم بعَدْله ، وعاجَلهم بعِقابه ، وسلب نِعَمه » [١].

وفي كتابه « النفحات المكية » الذي لم نعثر على نسخة منه إلاّ أنّ ما كَتَبه عنه تلميذه السيفي يوضّح أنّ ابن حجر اختص الخاتمة : « في الردّ على الرافضة والشيعة »[٢] .

وفي كتابه « شرح شمائل الترمذي » وعندما يذكر محمد بن الحنفية في سند رواة حديث من الأحاديث ينتهز الفرصة ليوضح خطأ إعتقاد الرافضة في محمد هذا فيقول : « ومحمد هو ابن الحنفية أمةٌ لعلي – رضي الله عنه – حصلت له مِن سبْي بني حنيفة . قيل مِن سخافة عقول طائفة من الرافضة أنهم يعتقدون في محمد هذا الأُلوهية مع أنّ أبَا بكر هو المعطي عليّاً أمَّه فلولا إعطاؤه له بحقية كوْنِه الإمام لكان إلـهُهم دَعِياً »[٣] .

وفي كتابه « الزواجر عن اقتراف الكبائر » يهاجم آراء الخوارج وينتقدهم في عدم فهمهم للأحكام الفقهية[٤] .

– ومن مظاهر البدع التي حاربها ابن حجر بمكة وانتقدها في مؤلفاته البدع التي ظهرت عند الصوفية . فقد ألف كتابه « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » للرد على مجالس الصوفية وما يحدث فيها من

---

(١) ابن حجر : مقدمة إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء في الصدقة والضيافة ص ١٦ – وانظر أيضاً ص ٢٨٧ – ٢٨٨ من هذه الرسالة .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ورقة ٥ ب .

(٣) ابن حجر : شرح شمائل الترمذي ورقة ١٢ أ – ب .

(٤) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢ : ٢٢١ .

رقص وغناء واستعمال آلات الطرب فقال في مقدمة كتابه : « الحمد لله الذي حظر مواطن اللهو على عباده ... وكشف لهم عن تسويلات الشيطان ، لا سيما على قوم زعموا التصوف والعرفان ... لما غلب عليهم من الشهوات ومحبّة البطالات والسعي في جلب فَسَقَةَ العامة إلى مجالسهم لينالوا من حطامهم وخسائسهم الجالبة لهم إلى القطيعة لعدم علمهم بما قاله أئمة الحقيقة والشريعة . فحمداً لك اللهم أن وفقتنا لرد سقطاتهم الشنيعة ، وتقولاتهم الفظيعة ، ... لأنهم سنُّوا سُنَناً سيئة مصحوبة بالإلحاد والعناد ، فباؤوا بوزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم يرون جزاء ذلك على رؤوس الأشهاد ... » [1] وذكر أنه في سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م دُعي إلى مجلس ذكر فسئل عن كتاب فرح الأسماع لأبي المواهب التونسي فأجاب بأن السماع من البدع وطُلب منه أن يبين الأمر فألف كتابه هذا وتناول فيه تعريف السماع، وأنواع الغناء وذكر جميع أنواع الآلات الموسيقية التي كانت تستعمل في عصره كالدف والطبل والكوبة والصفاقتين والضرب بالقضيب والضرب بالأقلام على الصيني والشبابة والزمارة والأوتاد والمعازف والضرب بالكفين وغيرها [2].

كما بين أنواع اللهو المحرم كالنرد والشطرنج والحمام [3] وغير ذلك من الألعاب المنتشرة في عصره مما يصوّر جانباً هاماً مما كان يقع عند المتصوفة وغيرهم من بدع .

– وقد ألف ابن حجر موالد أربعة ذكر فيها أخبار ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم – ولم يكن يرى بذلك بأساً – لأنه اعتبر ذلك كتابة في

---

(١) ابن حجر : كف الرعاع المطبوع بعد الزواجر ص ٢٦٨ .

(٢) ابن حجر : كف الرعاع ص ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ص ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢ .

تاريخ السيرة النبوية خاصة وأنّ مواله التي ألفها لم تكن تشتمل على روايات ضعيفة ولا على خرافات ومبتدعات[١] .

وخلال كتابه النعمة الكبرى على العالم الذي يعتبر أكبر مواله ، ذكر تلك المجالس التي كانت تنعقد في مكة وفي غيرها والتي تُسَمَّى أيضاً موالد وانتقد فيها ما كان يقع فيها من مظاهر الإبتداع كاختلاط الرجال بالنساء والخروج إلى زيارة محل المولد على أشنع هيئة ومنظر وما يقع في هذه الموالد من الفواحش وقراءة كتب تشتمل على الكذب والبهتان والباطل مورداً قصصاً تذكر بعض القبائح .

كل أخباره في هذا الكتاب تبين للدارس ما كان يشيع بين الناس من بدع في هذه المجالس المسماة بالموالد .

- ومن أخطاء المجتمع التي نقدها ابن حجر وألف بسببها مؤلفات ورسائل تلك الإنقسامات المذهبية السنية التي كانت تقوم بين الأحناف والشوافع والحنابلة والمالكية وما شاع خَطأً عن أبي حامد الغزالي من أنه ألّف في الحط من أبي حنيفة وما كان من رد فعل الكردري من تأليف كتاب في الحط من الإمام الشافعي .

كل ذلك جعل ابن حجر يهتم بالتأليف في مناقب الأئمة الأربعة عامة ومناقب الإمام أبي حنيفة خاصة ويثبت احترام أبي حامد الغزالي

---

(١) انظر ما كُتب عن موالد ابن حجر في المؤلفات الخاصة بالسيرة النبوية ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٢) راجع مؤلفاته في السيرة . كتاب النعمة الكبرى على العالم من ص ٣٦٦ - ٣٧٦ .

للإمام أبي حنيفة وبراءته من نسبة هذا الكتاب وبين تقديره لأبي حنيفة في كتاباته مثل كتابه الإحياء .

وبيّن ابن حجر فضل الأئمة جميعهم وعدم جواز التعرض لهم بالتنقيص أو السب[١] فوضع رسالة بعنوان « معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة » وترجم للأئمة الأربعة في معجمه المسمى « بالإجازة » . وكما ترجم لهم أيضاً في كتابه « فتح الإله في شرح المشكاة » .

أما كتاباته في أبي حنيفة النعمان فتعددت حيث جاءت طويلة تارة وقصيرة أخرى فوردت ترجمته ضمن مؤلفاته أحياناً ، وخصصت بها أحياناً أخرى رسالة عنوانها « رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان » أو كتاب عنوانه « الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان » .

– وظهر التفاخر والتفاضل بين العرب وغيرهم وتفشت ظاهرة بغض العرب والافتخار عليهم من الأجناس الأخرى ، فلاقت اهتمام ابن حجر فخصها بالتأليف حيث وضع رسالته « مبلغ الأرب في فخر العرب » التي قال في مقدمتها : « وبعد ، فإن كثيرين من الفرق الأعجمية ، والطوائف العنادية ، جُبلوا على بغض العرب . وقد كثر من جمع جم لا خلاق لهم الوقيعة فيهم والاستهتار بحقوقهم ، فقصدتُ أن أُتْحِفهم برسالة مختصرة جداً لتكون –إن شاء الله تعالى – كافة لمن اطلع عليها أن يخوض فيهم بأدنى كلمة »[٢] وتضمن مؤلفه هذا التركيز على وجوب محبة العرب وأن بغضهم مفارقة للدين وحبهم إيمان .

---

(١) راجع ابن حجر : الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ص٣-٤ .

(٢) ابن حجر : مبلغ الأرب في فخر العرب ورقة ١ ب .

ثم استعرض القبائل العربية واتصال نسبها بالنسب النبوي الشريف وفي ذلــك مداواة لخطر قد يهدم الوحدة الإسـلامية ويبث فيها العداء والتفرقــة[١] .

ومن الأمراض الاجتماعية التي أصابت مجتمع المؤلف انتشار استعمال الكفتة والقات بين أفراده . فقد ظهر في اليمن واختلف علماؤه في حكمه الشرعي ثم انتقل هذا الداء الاجتماعي إلى مكة ورجالها فاستعمله بعض الفقهاء والمدرسين وجربه بعض الأشراف .

ونرى أن ابن حجر يؤلف كتاباً في الموضوع هو كتاب وُضِع ليكون بياناً للحكم الشرعي المقابل عنوانه « تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات »[٢] وقد تناول فيه ذكر ووصف بعض المخدرات كالقات والكفتة والأفيون والحشيشة وجوزة الطيب مع بيان أحوال مستعملي المخدرات من الكفتة والقات وما يلحقه بهم من الضرر والمرض والجنون ، بالإضافة إلى ذكر اختلاف الفقهاء اليمنيين والمكيين عند ظهوره بينهم في الجواز والمنع .

– وقد ظهرت القهوة وتفشى أمرها في المجتمع المكي في أوائل القرن العاشر الهجري [٣] ، ويبدو أنها انتشرت بين الناس وظهرت محلات عامة تسمى بيوت القهوة واختلف العلماء في حكمها أيضاً .

---

(١) راجع ما كتب في الفصل الرابع : مؤلفات ابن حجر في التاريخ . كتاب مبلغ الأرب في فخر العرب من ص ٤٥٨ إلى ص ٤٦٤ .

(٢) انظر ما كتبتُه عنه في هذه الرسالة ص ٣١٧ – ٣١٨ .

(٣) نجد لها ذكراً في كتب مؤرخي أول القرن العاشر من المكيين ومنهم جار الله بن فهد في كتابه نيل المنى ورقة ٦ أ ، ٦٣ ب ، ٨٩ ب .

واهتم ابن حجر بموضوعها فذكر في معجمه المعروف بالإجازة [(١)] أنه حضر وليمة عرس في تاريخ قرب سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م وقُدم للحاضرين شراب القهوة فذكر أقوال العلماء فيها وحججهم في تحليلها وتحريمها بحسب آرائهم – وعرض مع ذلك كثيراً من أخبار ظهورها في المجتمع المكي ومواقف أهل السياسة والعلم منها ومن اجتماعاتها . ووصف فيها بعض المجالس التي انعقدت في مكة للنظر في حكمها وللحوار حول حرمتها أو تحليلها . مع عرضه لبعض اخبار ظهورها واختلاف الناس حولها في مصر وامتحان بعض العلماء فيها .

وهكذا نلاحظ بأن ابن حجر تناول الموضوعات التاريخية في كتب لم توضع أساساً للتاريخ وإنما عرضها خلال كتاباته الفقهية والحديثية والأخلاقية والعقدية .

فقد عرض المعلومات التاريخية في مؤلفاته غير التاريخية وبذلك يكون قد استعمل الكتابة التاريخية في كتب لم تخصص للتاريخ . وإنما جعَل فيها التاريخ حُجَة يقيمها للاستدلال على آرائه ومواقفه وبهذا نعتبر أن ما كتبه ابن حجر في مختلف هذه الكتب والرسائل مصدراً صادقاً يُبيّن للباحث كثيراً من المعارف التاريخية والحضارية التي تصف العصر ومشاكله التي تحدث فيه . وهذا ما لا يستغني عنه كل دارس وباحث .

---

(١) ابن حجر : الاجازة ورقة ١٠٥ أ – ١٠٩ أ نسخة ألمانيا .

الخاتمـــــة

لقد تناولت رسالتي هذه عنصرين رئيسيين هما :

أولاً : التعريف بواحد من علماء المسلمين الذين عاشوا بمكة المكرمة في القرن العاشر الهجري وقد برّز في تناوله للعلوم الإسلامية وامتاز بكثرة تآليفه ووفرة فتاويه ومواقفه الإصلاحية التي أراد بها أن يواجه كل الأخطار العقدية وكثيراً من المظاهر البدعية التي ظهرت في مجتمعه .

وثانياً : تتبع إنتاجه العلمي في ميدان التاريخ وجَمْعه والتعريف به ودراسته وبيان مناهجه فيه مع توضيح غاياته من هذه الكتابة التاريخية .

فقد عاش ابن حجر الهيتمي في القرن العاشر الهجري الذي شهد في رُبُعه الأول تحوُّلَ السلطة في المشرق من المماليك إلى العثمانيين فقضى شبابه ومرحلة الطلب في مصر ينهل من الأزهر الشريف وانتقل إلى مكة ليقضي بها معظم حياته مدرّساً مفتياً مؤلفاً وداعياً إلى سبل الصواب .

وقد وَجَد في مكة المكرمة المجال الواسع والمحيط الطيب الذي يُظهِر فيه دقة نظرِه في العلم وسعة معرفته بفنونه ، ووجد من علمائها وحكامها وأبنائها اعترافاً بفضله وتقديراً لعلمه واحتواءً لمختلف آرائه ، وهو ما سمح له وهيّأ له الظروف الطيبة لأن ينصرف إلى التأليف ونشر المعرفة عن طريق القلم والقرطاس . فإذا هو يؤلف العديد من المؤلفات التي بلغت – حسب إحصائنا– مائة وسبعة عشر عنواناً ، منها الرسائل الصغيرة ومنها المؤلفات التي تشمل المجلدات الكثيرة .

وإذا كان الغالب على مؤلفات ابن حجر الهيتمي أنها في علم الفقه

(على مذهب الإمام الشافعي) مما جعله يشتهر بالفقه أكثر من غيره فإنه ألّف كذلك في الحديث والعقيدة وأصول الفقه والسيرة النبوية والتاريخ والتراجم والنحو والأدب والأخلاق والفلك .

فكانت عدة مؤلفاته في الفقه وأصوله : ٥٠ .

وفي الحديث : ١٠ .

وفي العقيدة : ١٠ .

وفي السيرة والتراجم والتاريخ : ١٨ .

وفي الأدب والأخلاق : ٢٦ .

بالإضافة إلى مؤلفيْن في النحو وواحد في الفلك .

وهذا التنوع إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على اتساع دائرة ثقافة الرجل ووفرة إمكانياته العقلية ورسوخ قدمه في مختلف مجالات المعرفة . فهو بذلك يمثّل صورة صادقة للعالم المسلم الذي نذر حياته لخدمة الفكر الإسلامي ، ينشر العلم على طلابه المقيمين بمكة والوافدين إلى الحرمين الشريفين للحج والإعتمار والمجاورة . ويسدّ حاجات المجتمع المكي لمعرفة أحكام دينهم في دنياهم بما كان يجيب به عن أسئلتهم واستفتاءاتهم ويكتب لهم من المؤلفات العديدة التي ترافقهم في مساراتهم ليجدوا فيها القواعد والتفريعات وأوجه الإختلاف في النظر ودواعي المقارنة بين الآراء ثم ترجيح الراجح منها وردّ الضعيف الذي لا يصمد أمام الحِجَاج والمناقشة .

وإنّ مَن تتبع المجالات العلمية التي تناولها ابن حجر في مؤلفاته يجد الرجل من أولئك العلماء الذين انصرفوا إلى العلم كليةً لغاية أساسية وهي توعية المجتمع المسلم بأمر دينه ودنياه وهدايته إلى سوي المسالك في أحكام شريعته .

فإنه لم يتعلم الفقه ولم يدرسه ولم يؤلف فيه ليكون قاضياً أو ليسعى إلى الوظائف السامية الممتازة ، فلم نعرف عنه أنه تولّى قضاء ولا وظيفة في دولة الأشراف ولا غيرها . ولم يتناول العلوم الأخرى بالبحث والدراسة لغاية مشابهة . وإنما بذل عمره وجهده في هذه العلوم ليكون المنارة التي تشعّ بأضوائها على أبناء عصره ومجتمعه كي يهتدوا بها عندما تختلط بهم السُّبُل .

وقد تناول ابن حجر مختلف هذه العلوم بالتأليف والتدريس ولم يكن ذلك إلاّ خدمة لغرضه الأساسي منها وهو تعليم مجتمعه وتوعيته .

فقد تناول علم الحديث ليبيّن للناس الأحكام المستنبطة منه ويوضح لهم سنة الرسول الأعظم لينهجوا نهجها .

وتناول الدراسات الفقهية ليوضح للناس أحكام شريعتهم الطاهرة .

وتناول علوم التاريخ لتكون لهم عبرة وموعظة .

ولم يكن علم ابن حجر قاصراً على واحد من هذه الفنون وإنما كان له في كل مجال من هذه المجالات إنتاج وفير ومؤلفات بارعة وآراء نيّرة لو درسها الباحثون اليوم لكان كل واحد منها جديراً بالتأليف والدراسة الجامعية .

فإنه يمكن أن تُدرس آراء ابن حجر الهيتمي ومؤلفاته في العقيدة وتعرض على النقد والتمحيص .

ويمكن أن يُدرس كفقيه شافعي من خلال كتاباته الواسعة فيه .

ويمكن أن يدرس كمحدث اعتماداً على مؤلفاته وفتاويه في هذا الفن.

وقد أمكن لي والحمد لله أن أدرس جهوده في الكتابة التاريخية في عملي هذا .

ولم يكن ابن حجر الهيتمي مؤرخاً مختصاً في التاريخ فحسب وإنما كان التاريخ علماً من العلوم التي حَذَقَها وأتقنها . وعندما جمعتُ انتاجه التاريخي وأمعنت النظر في دراسته وجَدْتُه يتناول أهم ميادينه ومختلف اختصاصاته :

– فقد ألف ابن حجر في السيرة النبوية وتناول مختلف فروعها درسْتُها في فصل خاص من هذه الرسالة .

– حيث شرح كتاب الشمائل لأبي عيسى الترمذي فجاء شرحه ثرياً بالنصوص التي استمدّها من أمهات المصادر الأساسية في السيرة النبوية ليقدم للناس الصورة الناصعة لشمائل النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الخَلْقية والخُلُقية .

– وألّف شرحاً للهمزية ، فجاء هذا الشرح موضحاً للعديد من الحوادث والأخبار المتعلقة بالعهد النبوي . وعلى الرغم من أن هذه القصيدة اشتملتْ على بعض الأبيات التي سلك فيها الشاعر مسالك المبالغة التي لا يستسيغها اعتقاد المسلم السني السَّلَفِي – مما وضحناه في محلّه – فإنّ أغلب ما فيها من الأبيات وما جاء في الشرح يعتبر كتابة تاريخية تتناول الكثير من الدقائق وأخبار السيرة النبوية الشريفة .

– وألّف ابن حجر في الإسراء كما ألف في أخبار قصة ولادة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهو موضوع اعتنى به المؤرخون في عصره وخَصّوه بكتب ورسائل كثيرة سموها الموالد . ولكن الطبقات الشعبية في ذلك العصر وبعده وقعت في أشكال من البدع بإقامة الإحتفالات التي لم يرد فيها نص ولا فعلها السلف الصالح بالإضافة إلى ما كان يقع فيها من البدع والقبائح .

فألّف ابن حجر في الموالد وجعل المولد الكبير الذي عنوانه « النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم » على قسمين انتقد في الأول منهما البدع التي اقترنت بقراءة المولد في فصل كامل جعل عنوانه « الفصل الثاني : في قبائح صدرتْ من الناس مقترنة بالمولد لا سيما بمكة المشرفة » وانتقد مبالغة الناس في الإحتفال بالمولد واختلاط الرجال فيه بالنساء وخروجهم لمحلّ المولد وظهورهم على أقبح هيئة وأشنع رؤية وانتقد زفة المولد وزينة النساء وطيبهن لحضوره ووقوع المفاسد في ليلة المولد واصطفاف الفقهاء وتبخترهم في مشيتهم وأساليب قراءة الموالد من الغناء المنكر وما يقرؤونه من الأخبار الكاذبة والاختلاق في السيرة النبوية وغير ذلك .

كل هذه البدع انتقدها ابن حجر وشهّر بها ودعا العلماء إلى تغيير هذا المنكر وترك هذا الباطل ومفارقة المجالس التي تحدث فيها .

وهكذا نرى أنّ كتابته في السيرة كانت بسبب بيان أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله ولغرض عرض أخبار عصره ليجد الناس في سيرته العطرة الأسوة الحسنة التي دعانا إليها الله تعالى في قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

فلقد اغتنم ابن حجر فرصة تأليفه في موضوع الموالد ليبين البدع التي انتشرت فيها ويشهّر بها ويوضّح ضلالات الفاعلين لها ، وليقدم لمن يريد الاطلاع على قصة المولد نصوصاً تعتمد ما صحّ من الأحاديث والآثار المعتمدة على المصادر الصحيحة لينصرفوا عما كانوا يقرؤون من كتابات وصفها بالكذب والاختلاق والبهتان .

---

(١) القرآن : الأحزاب آية ٢١ .

– وألّف ابن حجر في مادة التاريخ الإسلامي العام سبعة كتب . خصّص خمسة منها لبيان الحقيقة التاريخية التي توضح ما وقع من الحوادث في القرن الإسلامي الأول .

تناول في ثلاث منها تاريخ الخلفاء الراشدين وأحقيتهم بالخلافة وهي:

كتاب في بيان حقّية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب .

وكتاب الصواعق المحرقة ، وذيله .

وفي الكتاب الرابع تناول موضوع خلافة معاوية بن أبي سفيان .

وفي الكتاب الخامس لخّص تاريخ الخلفاء للسيوطي وعرض بإيجاز أخبار خلفاء المسلمين من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري .

وفي الكتاب السادس تناول أنساب العرب .

وفي الكتاب السابع تناول تاريخ عمارة الكعبة والأحكام المتعلقة بها عندما أريد إصلاحها في سنة ٩٥٩هـ/١٥٥١م .

ألّف ابن حجر المكي كُتُبَه السبعة في هذا المجال لغايات محدّدة وأغراض معينة أيضاً .

– فإن كتبه الخمسة الأولى منها وُضِعتْ رداً على ضلالات الشيعة والروافض الذين يحاولون تغيير الحقائق التاريخية بالكذب والبهتان فينكرون أحقية أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية في الخلافة ويبنون على ذلك تُرَّهاتهم وسبابهم للصحابة وللخلفاء الراشدين . مقدّما الأدلة على كذبهم وافترائهم بما عرضه في مؤلفاته هذه من أخبار صادقة لا يرقى إليها الشك توضح الحقيقة التاريخية الناصعة التي تعتمد الروايات الصحيحة والمصادر اليقينية والحجة البالغة والنقد العقلي النزيه .

- أما كتابه مبلغ الأرب في فخر العرب فقد أراد به أن يواجه بدعة فكرية جديدة ظهرت في مجتمعه من طوائف الأعاجم والأتراك الذين ظهرتْ فيهم نزعة الشعوبية ، فصاروا يحطون من الجنس العربي ، وفي ذلك ما فيه من تشتيتٍ لوحدة المسلمين وتوهينٍ لقوتهم وإضعافٍ لتكاملهم وتكاتفهم .

- وألّف ابن حجر أربعة كتب في التراجم . اثنان منها في ترجمة أبي حنيفة النعمان ومناقبه . وواحد في مناقب أئمة المذاهب السنية الأربعة ومعجماً لشيوخه .

وكانت غايته من الكتب الثلاثة الأولى مواجهة خطر اجتماعي ظهر استفحاله في مجتمع القرن العاشر الهجري . ألا وهو اشتداد الخلافات بين المذاهب الفقهية وشيوع التفاضل بين فقهائهم وطلابهم وعامتهم ، ولم يَخْف على ابن حجر ما ينتج عن ذلك مِن شتات أمر أهل السنة أمام انتشار الشيعة الروافض وظهورهم بأعداد كبيرة في الحرمين الشريفين .

فألّف للناس كتاباً يبيّن به فضائل الأئمة الأربعة موضحاً أنهم جميعاً على علم وفضل ودين وأنه لا يجوز لمسلم أن ينتقص من قدر واحد منهم . وقدَّم المثل على ذلك بتأليفه لكتابين اثنين في ترجمة أبي حنيفة وذكر فضائله ومناقبه وهو - أي ابن حجر - أكبر علماء الشافعية في عصره .

وهكذا نراه يستعمل الكتابة التاريخية في هذا المجال لمداواة مرض اجتماعي ولتقديم النصح والتوجيه لأولئك الذين تعصبوا لمذاهبهم الفقهية من غيرها .

هذه صورة موجزة عن مؤلفات ابن حجر التي وضعها للتاريخ أساساً .

ولكن الذي نلاحظه أن ابن حجر خلال تآليفه الفقهية والعقدية وغيرها

قد يلجأ إلى الكتابة التاريخية . فيذكر حوادث القرون الماضية أحياناً ويذكر أيضاً ما يقع في عصره من حوادث ومظاهر حضارية وبدع وضلالات فيعرض الكتابة التاريخية والحضارية ليصف فيها ما عَلِمَهُ وما رآهُ وشاهَدَهُ ولاحظهُ في مجتمعه لينقد ما يستحق منه النقد ويبيّن رأيه فيه ومواقفه منه .

- ففي كتاب كفّ الرعاع عن محرمات اللهو والسماع يحارب ما ظهر في مجتمعه من مجالس الغناء عامة والغناء في المجالس التي يعقدها المتصوفة ويعتبرونها دينية صالحة .

- ويحارب المخدرات التي كانت في عصره فيؤلف رسالته التي عنوانها « تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات » فيوضح أخطار هذه المخدرات وغيرها كالأفيون والحشيشة ذاكراً حكم الشرع فيها .

- ويكتب عن القهوة وأحكامها نصاً يضمّه لمعجمه المعروف بالإجازة.

- وتظهر الرشوة في مجتمعه فيؤلف كتاباً عنوانه « إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العُمّال والحكّام » .

- ويقع نهب الأعراب للحجيج في موسم سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١ م فيذكر تلك الحوادث ويبيّن كِبَرها وحرمتها في كتابه « ذيل الصواعق المحرقة » .

- وينتشر لعب النرد والشطرنج والحمام فيذكر ذلك وينتقده في كتابه « كف الرعاع » .

وهكذا أمكننا في هذه الرسالة أن نجمعَ ونعرضَ وندرسَ كل الانتاج التاريخي لهذا العالم ونبيّن جهوده فيه .

تلك الجهود التي كان يوجّهها دائماً لغايات شريفة نبيلة يحارب فيها

ضـلالات الشيعة الروافض وبدع غلاة الصوفية وأخطار البطالة والغناء واللعب ومصائب المخدرات وسوء سلوك العامة والحكام .

لذلك يمكننا أن نقول بأنّ ابن حجر سار في كتابته التاريخية على منهج إسلامي خالص ، حيث استعمل التاريخ للموعظة الحسنة وللعبرة المفيدة . عملاً بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾(١) . صدق الله العظيم .

---

(١) القرآن : يوسف آية ١١١ .

الملحق رقم (١)

تحقيق كتاب

«المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة»[١]

تأليف

أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي

---

(١) انظر دراسة الكتاب والتعريف به وتحليله في الرسالة ص٤٦٥-٤٧٦.

[١/ب]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجبَ على الكافة [١] تعظيم هذا البيت الحرام بأقصى غايات التعظيم ، وأتْحف اللائذين بأذيالِه بما وقر في نفوسهم له من نهايات الإجلال والتكريم[٢] .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، شهادة يُستفتَح بها كل مغلق عقيم ، ويَحيي بروح سرها كل عظم رميم . وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي قام بأعباء حرَم بيته الأكبر ، وأشادها على كواهل وَارِثيه ليذبُّوا عنها مَن لهذا[٣] الحمى الأقدس أراد أن يتَسَوّر ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين ما زالوا معظمين لهذه البنية الشريفة ، والكعبة المعظمة المنيفة ، وعلى تابعيهم المبيّنين لأحكامها ، القائمين بآدابها واحترامها، صلاة وسلاما دائميْن بدوام سؤددها ، باقيين ببقاء مُدَدها ، آمين[٤] .

وبعد ، فإنه ورد في أوائل سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩ هـ / ١٥٥١ م) أوامر مولانا سلطان الإسلام والمسلمين ، ومبيد الكفرة والمبتدعة والملحدين ، ظلّ الله في أرْضِه ، القائم بأوْفى غايات العدل في سُنّته[٥] وفرضه ، الملك العادل الأفخم ، والخاقان الكامل المعظم ، السلطان ابن السلطان ، إلى حادي[٦] عشر من ملوك بني عثمان ، الملك المظفر شاه

---

(١) في ب : على كافة الأنام .

(٢) في ب : الاجلال والاكرام والتفخيم .

(٣) في ب : بهذا .

(٤) كلمة سقطت من أ .

(٥) في ب : سننه .

(٦) في ب : الحادي عشر .

سليمان[١]، أدام الله على أهل الإسلام عدله ومسرّته ، وعلى أهل الشرك والبِدَع سطوته ونقمته ، وأباد بسيوف قَهْره وعدله غياهب المِحَن ، ومواقع الفتن ، وأدام ملكه الأعظم ، الأعدل الأفخم ، في ذريته الطاهره ، وبلّغه أعظم مأمَوله في الدنيا والآخرة – آمين – بترميم ما تشعَّثَ في الكعبة المعظمة بعرض[٢] قاضي مكة بسؤال سدَنَتِها على نائب مولانا / السلطان بمصر [٢/أ] المحروسة الوزير علي باشا[٣] أنّ [٤] سقْفَها صار ينزل منه الماء الكثير من المطر ، وأن ذلك ربما آذى وأضَر ، فعرض علي باشا ذلك على أبواب مولانا السلطان الزكية ، وسدَّته العلية ، فتحرَّى – عزَّ نصره وزاد عِزه وبِرّه – جَرْيًا على ما انفرد به هو وجميع آبائه الأكرمين ، من بين سائر الملوك والسلاطين ، أن لا يَبْرموا أمرًا إلا بعد مشاورة العلماء العاملين ، لا سيما إمامهم ومفتيهم المقدم على جميع القضاة والمفتين ، فاستفتى مولانا إنسان عين الزمان ، خليفة النعمان ، ومحقّق الأعصار المتأخرة ، ومدقّق المباحث العويصة المقرَّرة ، إمام الإفتاء بالباب العالي[٥]

---

(١) هو السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم العثماني تولى السلطنة سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠م وتوفي سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م . وكان صاحب فتوحات كبيرة وأعمال واصلاحات هامة بمكة المكرمة . انظر محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٩٨ – ٢٥١ .

(٢) في ب : لعرض .

(٣) هو علي باشا الوزير – والي مصر من سنة ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م إلى سنة ٩٦١هـ / ١٥٥٤م . انظر أحمد جلبي عبد الغني : أوضح الاشارات فيمن ولي مصر القاهرة الوزارات والباشات ص ١٤٨ .

(٤) في ب : فان .

(٥) هو الشيخ أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي مفتي القسطنطينية وصاحب التفسير المشهور « ارشاد العقل السليم» =

المخصــوص[١] بصــلاح نيـة مـولانا السـلطان من صـروف الأيام واللّـيــالي ، عما أنهاه إليـه سَـدَنة الكعبة فـأفتاه بما هو الحق الواضـح من إصلاحها على مـا يليق بحـرمـتــهـا . فكتب المراسيم الخنكارية لعلي باشـا أن يعين لذلك مِن مماليك مولانا السلطان مَن يراه .

فعيّن علي باشا لذلك الأمير أحمد بيك[٢] رئيس كُتّاب خزانة مصر المحروسة[٣] – كان – بعد أن عيّـن له من الأموال مـا يليق بذلك . فقدم بها مع الآلات إلى مكة .

ثم لما أراد الشروع في ذلك نازَعَه فاتِحُها ، فأحبّ الناظر أن لا يستبدّ بأمر حتى يجمع جمعًا من علمـاء مكة لينظر هل يطابقون مـا أفتى به مـفتي السلطان أو يخالفونه . فأرسل هو وقاضي القضاة بمكة الرومي الحنفي[٤] إلى أولئك بعد صلاة الجمعة سادس عشر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩ هـ / ١٥٥١م) .

وعَقَد مجلسًا حافلا[٥] فكان من جملة ما فيه أن قال فاتح الكعبة : هي لا تحتاج إلى ما تريدون / فعله فيها . فأحْضر مهندس السلطان ومعه [٢/ب]

== توفي سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م . انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٣٠١:١١ .

(١) في ب : المحفوظ .

(٢) كلمة سقطت من أ .

(٣) لم نجد له ترجمة في ما بين أيدينا من المصادر .

(٤) قاضي مكة الحنفي الرومي هو : محمد بن محمود المعروف بخواجا قيني. ذكره النهروالي في الاعلام ص ٦٠ .

(٥) في ب : مجلسُ حافلُ .

آخر وشهدا أنّ فيها خشبتيْن مكسورتيّن من سقفها وخشبة ثالثة لم تنكسر لكنها نزلت عن محلّها تسعة قراريط . فحينئذ استُفْتِيَ الحاضرون عن ذلك وكنتُ منهم[١] فأفتيتُ بما أنّ إصلاحه[٢] ضروري يُصلَح وبأنه ينبغي أن يُضم إلى هذين الشاهدين بعض أهل الخبرة حتى يَطِيب خاطر فاتح الكعبة .

فوافق الناظر والقاضي والحاضرون على ذلك وكذا فاتح الكعبة ، وزاد إنه ينبغي كشف ما على الخشب المدعى انكساره ، فإن تحقق أُصلح وإلا رُدّ كلّ شيء إلى محله ، فوافقوه أيضا . ثم كُتبتْ[٣] في المجلس ورقة بذلك جميعه وقُرئ على الحاضرين وكان منهم جماعة من المالكية والحنفية ثم تفرقوا على ذلك .

ثم أراد الناظر الشروع في ذلك فتوقّف بعض[٤] سدَنَتها في ذلك وعُقد مجلس آخر أكثر جمعًا من الأول ، فدَار [٥] الكلام بينهم في المسألة فكثر اختلافهم ، ولم أكن حاضرًا فيه ، فقيل : إن منهم مَن قال كما قلناه : لا يُصلح إلاّ الضروري[٦] الإصلاح ، ومنهم مَن قال : هذا كلام غير صحيح ، بل لا يتعرض له[٧] بشيء أصلاً حتى يقع منها شئ فيُردُّ إلى محلّه ، ومنهم مَن قال : لا يصلح وإنْ وقَع سقفها لأنها كانت في الجاهلية غير مسقّفة ، ومنهم

---

(١) في ب : معهم .

(٢) في ب : بأن ما صلاحه .

(٣) في ب : كُتب .

(٤) كلمة سقطت من أ .

(٥) في أ : فزاد .

(٦) في ب : ضروري .

(٧) في ب : لها .

مَن قال : كيف يُقال بإصلاحها وبقاؤها على ممر الأعصار خرقاً للعادة من الآيات الباهرة . ثم تفرّقوا من ذلك المجلس ولم يتحصلوا [١] منه على شئ يُعلم اتفاقهم عليه .

فعند ذلك أظهر الناظر إفتاء المفتي السابق ذكره ، ولم يكن أظْهره قبل ذلك ، وكَتَبَه في سُؤال ثم كتب بعده [٢] ما وقع في المجلس ثم رفعه إلى أولئك الحاضرين مستفتياً لهم هل يوافقون ما قاله المفتي من إصلاح / [٣/أ] الضروري أو الحاجي فيُعمل بما أفتى به أو يُخالفونَهُ فيبيّنون سَنَد المخالفة من النقل ليُعْرَض عليه كلامهم وينظر الصواب مع أيّ الفريقين .

فأكثرهم [٣] كتب بنحو كتابة المفتي ، وبعضهم امتنع من الكتابة وأرسلوا إليّ لأكتُبَ فقلت لهم : لم أحضر هذا المجلس وقد حضرتُ المجلس الأول وضَبَطتم ما قلته فيه [٤] مما ظهر موافقته لما أفتى به المفتي .

وحينئذ كثُر كلام العامة ونُقل إلينا [٥] أنّ الموافقين للمفتي إنما وافقوه خشية الفتنة ، وأنّ الذي عليه أكثرهم إنما هو عدم إصلاحها مطلقاً حتى يسقط ما يُراد إصلاحه .

فلذلك عزمتُ – بعد الإستخارة – على بيان ما للعلماء في هذه المسألة مما يدل على الجواز أو المنع مع حَمْل كل من تلك العبارات على ما يتعيّن

---

(١) في ب : لم يتخلصوا .

(٢) في أ : بعد .

(٣) في ب : فالأكثر .

(٤) في أ : وضبطت ما قلتم فيه .

(٥) في ب : البيان .

حمله عليه ، ويتبادر كل ذهن سليم إليه . فشرعتُ في ذلك أول شهر ربيع الثاني سنة تسع وخمسين وتسعمائة[١] (٩٥٩ هـ / ١٥٥١ م) .

وقد شرعوا في الإصلاح على ما وقع الإفتاء السابق به[٢] مستعيناً بالله ومتوكّلاً عليه ، ومفوضاً سائر أُموري إليه ، لا رب غيره ، ولا مأمول إلاّ بِرّه وخيره ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وإليه أفزع في الكثير والقليل .

وسميتُ هذا التأليف بالمناهل العذبه ، في إصلاح ما وَهى من الكعبة . ورتبتُه على مقدمة وأربع مقاصد وخاتمة .

أما المقدمة : ففي تحرير ما أفتيتُ به . وأمَّا المقاصد فأولها في بيان كلام أئمتنا في ذلك ، وثانيها في كلام الحنفية ، وثالثها في كلام المالكية ، ورابعها في كلام الحنابلة ، وأما الخاتمة ففي تتمّات وفوائد تتعلق بذلك .

المقدمة :

اعلم أنّ الذي أقُولُه وأُفتي به على قواعد أئمتنا أنه يجوز بل / يُطلب [٣/ب] إصلاح ما تشعَّثَ واختلّ من سقف الكعبة وجدارها وميزابها وعتبتها ورخامها كما وقع عليه الإجماع الفِعْلي[٣] الآتي بيانه وتقرير العلماء عليه من لدن عمارة ابن الزبير[٤] – رضي الله عنهما – إلى يومنا هذا . وإنه يجوز التوصل إلى بناء حقيقة ما ظُن اختلاله من نحو سقفها بكشف ما يُعلم به أمره كما وقع نظيره مما يأتي بيانه أيضاً[٥] .

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) في ب : على ما وقع في الافتاء السابق .

(٣) في أ : العقلي .

(٤) ابن فهد (النجم) : اتحاف الورى ٢ : ٦٧ – ٧٧ .

(٥) كلمة سقطت من ب .

بل سيأتي عن الفاسي أنه وجماعة من قضاة مكة وأمير العمارة الذي ندبه لها برسباي[1] وأعيانها اجتمعوا بالكعبة لما خافوا من سارية من سواريها ظهر بها ميْل فكشفوا من فوقها فوُجدَت صحيحة ورُدّت حتى استقامَتْ [2].

وهذا منه كالقضاة وغيرهم صريح فيما قلتُه آخرا من جواز الكشف المذكور ، فتأمّلْه فإنه واضح .

وما يُقال : يحتمل أنهم كانوا مكرهين فهو فاسد وما الحامل للإمام الفاسي على أن يحضر هو والقضاة مكرَهين ثم لا يذكر ذلك بل يذكر ما هو صريح في رِضى الحاضرين وأن ذلك لم يُفعل إلاَّ بإذْنهم .

وما يَخْفَى[3] عليك وقوع هذا الإختلاف أن الله تعالى جبل قلوب المسلمين على غاية التعظيم والمهابة والإجلال . فكل مَن أفتى إفتاء فإنما حمله عليه مع ما فهمه من كلام أئمته أنه لم يَر[4] التعظيم للكعبة المعظمة إلاَّ فيه .

وسيأتي من تعظيم السلَف لها بل الجاهلية مما يبهر العقل وفي ذلك دلالة على بقاء الخير الكثير في الأمة كما أخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم . فقد جاء في الحديث الحسن أنه صلى الله وعليه وسلم قال (لا تزال هذه الأمة[5] / بخير ما عظّموا هذه الحرمة حق تعظيمها - يعني الكعبة والحرم- فإذا ضيّعوا ذلك هلَكوا) [6] . [٤/أ]

---

(١) هو السلطان الأشرف بارسباي من مماليك مصر ، له في مكة مبرات وإصلاحات . توفي سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م . انظر الزركلي : الاعلام ٤٨:٢.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ١٦٦:١ .

(٣) في أ : ومما يحفظ .

(٤) في أ : يرد .

(٥) في ب : امتي .

(٦) الإمام أحمد بن حنبل : المسند ٤ : ٣٤٧ .

فإن قلتَ : ما وجه التعظيم في عدم الإصلاح ؟ قلتُ : كأنهم يلحظون صوْنَها عن استعلاء العُمَّال عليها ما أمكن ، وكأن قائل ذلك لم يَرَ ما يأتي أنّ قريشاً لما أرادوا هدمها توقفوا عنه خشية أن يصيبهم عذاب فقال بعضهم : إنما يخشى ذلك مَن لا يريد الإصلاح فتوقفوا فأخذ المعول وقال : اللّهم إنّا لا نريد إلاّ الإصلاح ، فهَدَمَها ، فلما رأوا أنه لم يصبْهُ شيءٌ تَبِعوه . وكذلك وقع لابن الزبير – رضي الله عنهما – كما سيأتي بسط ذلك كله ، بل الحجاج إنما كان متولّيا رَدَّها إلى ما كانتْ عليه في زمنه صلى الله عليه وسلم فلذلك لم يصبْه شيءٌ مع أنهم كانوا يرون أنّ مَن تعرض لها هلَك كما سيأتي ذلك كله .

فإن قلتَ : فما وجه التعظيم في إصلاحها ؟ قلتُ : هو أنّ تركها مُتشعّثة منهدمة يزيل هيبتها من قلوب كثيرين ليس محط نظرهم إلاّ الصُّورة [1] ومظهر عظمتها ، كما سيأتي بسط ذلك ، وقد أشار إليه ابن الزبير بقوله الآتي : لو أن بيتَ أحدكم احترق لم يرْضَ له إلاّ بأكمل الاصلاح . فتأمل ذلك يسهل عليك وقوع هذا الإختلاف الذي يرجع أكثره إلى القول بالإستحسان لا غير .

تنبيه :

لما أتممت هذا الكتاب رأيتُه [2] أثلج صدري ، وزاد بسببه حمدي وشكري ، إذ وافقتُ فيما أفتيتُ به الإمام المتفق على جلالته ، وتحقيقه

---

(١) في ب : الصون .

(٢) في ب : رايت ما .

وإمامتــه ، الإمام المحب الطبري[١] الذي قيل في ترجمته لم تُخْرج مكة[٢] بعد إمامنا الشافعي – رضي / الله عنه – أفضل منه . وقيل فيه[٣] أيضاً : ما وُجد له بحث ردئ غالباً . ومن خطه[٤] – رحمه الله تعالى – نقلتُ بعد أن تكلم على حديث عائشة – رضي الله عنها – الآتي بكلام مبسوط سأذكره في آخر المبحث الخامس ، ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً يُبيح التغيير[٥] في البيت بالعمارة إذا كان لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة ، انتهت . فتأمل قوله أو حاجية أو مستحسنة تعلم أن القائلين بنحو ما مَرّ في الخطبة إنما سلكوا مسلك الحدس والتخمين ولم يتأملوا كلام الأئمة الراسخين ، فالحق[٦] أحقّ أن يُتبع ، ومن لم يرجع لذلك فقد حاد عن سنن الصواب وابتدع .

[٤/ب]

وإنْ تأملت كلام المحب هذا وجدتَه هو الذي ذكرتُه في هذا الكتاب وأقمت عليه الأدلة الصحيحة الجارية على جادة الصواب ، فالحمد لله على موافقتنا للعلماء[٧] فيما أبديناه وقررناه وحررناه ، ورأيْناهُ حسنا[٨] ، والله تعالى أعلم[٩] .

---

(١) هو محب الدين الطبري : أحمد بن عبدالله المكي الشافعي شيخ علماء مكة في عصره . تعددت تآليفه في مختلف الفنون الشرعية وغيرها . توفي سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م . انظر مصادر ترجمته في كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة . د . محمد الحبيب الهيلة ص ٥٣ – ٥٥ .

(٢) في ب : لم يخرج من مكة .

(٣) في ب : فيها .

(٤) في ب : وعبارته من خطه .

(٥) في ب : ينتج التعمير .

(٦) في أ : فاحق .

(٧) كلمة سقطت من أ .

(٨) كلمتان سقطتا من أ .

(٩) ثلاث كلمات سقطت من ب .

المقصد الأول: في بيان كلام أئمتنا(١) في ذلك .

وفيه مباحث :

الأول : قال أصحابنا يصحّ الإهداء والنذر إلى الكعبة وكذا لرتاجها وطيبها ووقودها فينقله إليها ثم يُصرف إلى القيم بأمرها ليصرفه في الجهة المنذورة ، إلاّ أن يكون قد نصّ في نذره أنه يتولّى صرف ذلك بنفسه .

قال الإمام العالم المجتهد التقي السبكي(٢) في كتابه تنزّل(٣) السكينة بعد ذكره نحو ذلك : « فظهر بهذا القطع بثبوت اختصاص الكعبة بما يُهدي إليها وما(٤) يُنْذَر لها وما يوجَد فيها من الأموال وامتناع صرْفها في غيرها لا للفقراء ولا للحرم الخارج عنها المحيط بها ولا لشيء من المصالح إلاَّ أن يَعرض لها نفسها عمارةً / ونحوها . حينئذ يُنظَر ، فإن كانت تلك الأموال قد أُرصدت لذلك فتُصرف فيه وإلا فيختص بها الوجه الذي أُرْصدتْ له فلا يُغيّر عن وجهه . فالمرصَد للبخور لا يُصرف في غيره ، والمرصد للعمارة لا يُصرف في غيرها(٥) ، والمرصد للسترة لا يصرف في غيرها ، والمرصد للكعبة مطلقاً يُصرف في جميع هذه الوجوه . وكذا لو وُجد فيها ولم يُعلم قصد مَن أتى به » انتهى المقصود من كلامه . [٥أ]

---

(١) يقصد بذلك أئمة الشافعية .

(٢) السبكي : هو علي بن عبد الكافي السبكي - تقي الدين - (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) . انظر الزركلي : الاعلام ٤ : ٣٠٢ . وكتابه تنزيل السكينة على قناديل المدينة ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٤٩٤ .

(٣) كذا بالأصلين وفي كشف الظنون « تنزيل » .

(٤) كلمة سقطت من ب .

(٥) في ب : في غيره .

وتبعه الزركشي[١] في الخادم[٢] فقال بعد ذكره عن الأصحاب نحو ما قدمتُه « فظهر بهذا اختصاص الكعبة بما يُهدى إليها وما يُنْذَر لها وما يوجَد فيها من الأموال ، وامتناع صرف شيء منها إلى الفقراء والمصالح . إلا أن يعرض لها نفْسَها عمارة فيصرف فيها إن حدثتْ لها ، وإلا فلا يُغير شيء عن وجهه » . انتهى .

ثم قال : « والرتاج بكسر الراء المهملة ثم المثناة أي فوقية ثم جيم ، قال القاضي حسين : هو في اللّغة الباب العظيم ، قال : والمراد هنا جميع الكعبة » . ثم قال : « وقيل الرتاج الستر » انتهى .

فتأمّلْ قولهم بصحة النذر للكعبة نفسها وأنه يُصرف لما حدَثَ [٣] فيها من العمارة ونحوها ، ولبابها وأنه يُصرف فيه ، ولعمارتها وأنه يصرف فيها ، تجد ذلك كلّه مصرّحاً بأن عمارتها ونحوها قُرْبةٌ يصحّ نَذْرُها ويُصْرَف المنذور فيها .

ومن الواضح البيّن أن ما وَهي وتشعّث منها في حكم المنهدم أو المشرف على الإنهدام فيجوز إصلاحه بل يُندَب إن وجد له مصرف ، كما يجب على ناظر المسجد الحرام[٤] أن يُصلح ويرمّ ما فيه . بل إذا تأملتَ قول السبكي

---

(١) هو محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المصري : بدر الدين – من كبار فقهاء الشافعية في عصره . صاحب تآليف كثيرة . توفي سنة ٧٩١هـ / ١٣٩٢ م . انظر كحاله : معجم المؤلفين ٩ : ١٢١ – ١٢٢ .

(٢) هو كتاب خادم الرافعي والروضة للزركشي في الفقه الشافعي . ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٦٩٨ .

(٣) كلمتان سقطتا من ب .

(٤) كلمة سقطت من ب .

: « إلا أن يعرض لها نفسها عمارة ونحوها » . وعلمتَ أنّ نحوها يشمل الترميم وإصلاح / ما وهى وتشعث منها علمتَ أن مسألة الترميم والإصلاح [٥/ب] منقولة بالنص[١] . وأنّ ذلك لا مَسَاغ لإنكاره . وتأمل قول الخادم : « إن حدثتْ لها[٢] وإلاّ فلا يُغير شيء عن وجهه » . تجِدْه موافقاً لذلك فإنه لا يُنهى عن تغيير الشيء عن وجهه إلاّ إذا كان باقياً على وجهه ، أما إذا تغير عن وجهه بميل أو كسْر فهذا لا يُقال فيه لا يغير الشيء عن وجهه . وهذا ظاهر لمن له أدنى تأمل .

الثاني : أنّ المحب الطبري لما أفتى بوجوب إعادة الشاذروان إلى ذراع كما[٣] نقله الأزرقي[٤] استشعر على نفسه اعتراضاً وأجاب عنه بما هو صريح فيما ذكرناه فإنه قال : « لا يُقَال إن ذلك زيادة في بيت الله – عز وجل [٥]– وتغيير له عن موضعه ولا يجوز ذلك » . لأنّا نقول : إخبار[٦] هذا الإمام العدل يمنع من[٧] أن يكون التتميم زيادة وتغيير إلاّ أنه إنما يكون زيادة إذا تحقّق أنّ الموجود الآن هو الأصل ونحن لا نتحققه بل لا نظنه بل لا نشك في أنه ليس على الأصل .

ثم قال عن خبر الأزرقي : « فيجب قبول خبره وطرح ما يوسوس به[٨]

---

(١) في أ : بالشخص .

(٢) في أ : بها .

(٣) في ب : لما .

(٤) كلمة سقطت من ب .

(٥) في ب : جل وعلا .

(٦) في أ : اختيار .

(٧) كلمة سقطت من أ .

(٨) سقط الجار والمجرور من ب .

الشياطين من الخيالات الفاسدة والاحتمالات البعيدة » . وقال قبل ذلك : « على متولي الحرم والناظر في هذه المشاعر العظام رعاية مصالحها والإهتمام بعمارتها » . وجعل ذلك توطئة لما قرَّره بعد[١] أنه يجب هدم الشاذروان وإعادته إلى ذراع احتياطا منه[٢] . وهذا منه كله[٣] ظاهر[٤] وصريح فيما قدمته أنه يجب رعاية مصالح البيت وترميم ما وقع فيه اختلال منه ولَمّ ما تشعث من بنائه بل هذا[٥] أولى مما ذكره في الشاذروان ، لأن المصلحة في الاحتياط فيه مختصة[٦] بمن يقول / : لا يصح الطواف عليه ، وهم فرقة من العلماء لا كلّهم . ومصلحة ترميم الكعبة ترجع إلى كل الناس كما مرَّ ويأتي . [٦/أ]

وقال أيضاً : « إنه أُحدِث في الشاذروان زيادة ولم يقل أحد ممن وُجِد بعد الأزرقي إلى زمننا هذا أن هذه[٧] الأحْداث زيادة في بيت الله تعالى وتغيير له عن موضعه[٨] ، ولا أَنْكَره أحدُ قبله ، فليكن كذلك ما يتمّ به الذراع المفعول في عرضه ولا يكون ذلك زيادة بل جبراً[٩] أو تتميماً ، انتهى .

الثالث : استدل العلماء بجواز إصلاح ما وهى وتشعّث من الكعبة بما تطابق عليه الناس في الأعصار من فعل[١٠] ذلك فيها من غير نكير .

---

(١) في ب : مع .

(٢) سقط الجار والمجرور من ب .

(٣) في ب : وهذا كله منه .

(٤) بالأصلين ظاهراً وهو خطأ نحوي أصلحناه .

(٥) في ب : وهذا .

(٦) في أ : مختص .

(٧) كلمتان سقطتا من أ .

(٨) في أ : موضوعة .

(٩) في أ : خبرا .

(١٠) كلمة سقطت من أ .

فممن استدل بذلك الحنابلة كما سيأتي عنهم ومن جملة قولهم : لا بأس بتغيير حجارة الكعبة إن عرض لها مرمة لأنّ كلّ عصر احتاجتْ فيه لذلك قد فُعل بها ذلك ولم يظهر نكير على مَن فعله .

وممن استدل به أيضاً الإمام المجتهد التقي السبكي وعبارته « وأول مَن فرشَها بالرخام الوليد بن عبدالملك . ولما عمل الوليد ذلك كانت أئمة الإسلام والصالحون وسائر المسلمين يحجون وينظرون ذلك ولا ينكرون على ممر الأعصار » انتهت .

وإذا استدلّ السبكي بتقرير العلماء وغيرهم للوليد على ما ابتدعه وأحدثه في الكعبة مِن فرشها بالرخام مع عدم الإحتياج إليه ومع كونه – أعني الوليد – من أئمة العسف والجَوْر وسوّغ – أعني السبكي – هذا الفعل لسكوت الناس على ما فُعل منه في الأعصار دليلاً ظاهراً على الجواز في ذلك من باب أَوْلَى ، لأن هذا أمر ضروري أو محتاج إليه ، وفرش الرخام ليس فيه إلاّ محض الزينة وإظهار أبّهة البيت وجلالته في نفوس العامة . فتأمل هذا ، فإنه / دليل واضح جليّ على[1] ما قلناه من جواز إصلاح الخلل الذي في نحو سقف الكعبة وترميم[2] ما تشعّث فيها[3] . بل يؤخذ من كلام السبكي هذا أنه[4] يجوز أن يُحْدَث فيها[5] كل ما يليق بتعظيمها وجلالتها وإن لم [٦/ب]

---

(١) كلمة سقطت من أ .

(٢) في ب : تتميم .

(٣) في ب : منها .

(٤) في أ : هنا .

(٥) في أ : فيه .

يُحتَجْ إليه . فإن فرش الرخام لا يحتاج إليه البتة[١] وإنما فيه محض زينة وجلالة . فإذا جاز فرش الرخام فيها كما ذكره السبكي فليكن كل ما في معناه مثله .

ويؤيده أنّ العلماء وغيرهم أقروا الملوك ونحوهم على تغيير بابها المرة بعد المرة مع إصلاحه[٢] وعدم الإحتياج للتغيير ، وكذلك غَيَّروا عتبتها المرة بعد المرة ، وميزابها المرة بعد المرة كما سيأتي بيان كل ذلك . وليس الحامل للفاعلين على ذلك إلاّ إظهار أبّهة الكعبة وأنّه لا يليق بجلالتها بقاء ما خَلِق أو عَتِق فيها ، فلذلك جَروا[٣] على تغيير تلك الأشياء وأقرّهم العلماء وغيرهم على ذلك ، ولم ينكروا عليهم .

فإنْ قلتَ : يحتمل أنّ [٤] عدم إنكارهم لعلمهم بأن أولئك الملوك لا يمتثلون أوامرهم ، فحينئذ لا يُستَدّل بسكوتهم . قلتُ : هذا غفلة عما قاله الأئمة : إنه يجب الأمر بالمعروف وإنْ عَلِم الآمر أن المأمور[٥] لا يَمْتَثل ، على أنه سيأتي عن السبكي أنّ الملوك إنما تصعب مراجعتهم فيما يتعلق بملكهم دون نحو[٦] هذا سيما وفيه توفير لأموالهم وذلك محببُ [٧] للنفوس ، والشُح مُطاع .

---

(١) في أ : البشر .

(٢) في ب : الصلاحية .

(٣) في ب : جسروا .

(٤) كلمة سقطت من أ .

(٥) في ب : وان علم من المامور .

(٦) كلمة سقطت من ب .

(٧) في أ : محب .

وقد قال السيد السمهودي[١] – رحمه الله تعالى – في فتاويه بعد كلام ساقه يتعلق بأمر السلطان في قضية شيء ظاهره يخالف الشرع وينبغي أنْ يُصان أمر ولاة المسلمين عن مثل / ذلك بل هو محمول[٢] على ما يسوغ شرعاً، انتهى . [٧/أ]

ولو[٣] تنزَّلْنا ولم ننظر إلى ذلك كله فالإنكار لم ينحصر في ذلك بل من جملة بيان حكم ذلك[٤] في كُتُبهم وانه منكر وممنوع مثلا . ولولا سبْر[٥] السبكي لكتب الأئمة من لدن الوليد إلى وقتِه فلم ير أحداً من العلماء تعرض لإنكار ما فعله الوليد بقول ولا قَلَمٍ لما استدل بما مرَّ عنْه ولما ساغ له أن يقول « ولما عمل[٦] الوليد ذلك كانت أئمة الإسلام والصالحون وسائر المسلمين يحجون وينظرون ذلك ولا ينكرونه على ممّر الأعصار » . انتهى .

فهذا أوضح شاهد وأوضح عاضد على أنّ تقرير العلماء الملوك[٧]على ما فعلوه في الكعبة المعظمة من إصلاح ما وهى وتشعّث من سقفها وغيره دالٌ على جواز ذلك واستحسانه ، ولأنه[٨] لا مساغ لإنكاره وأنه متى عرض فيها

---

(١) هو علي بن عبدالله السمهودي ، مؤرخ المدينة المنورة وفقيه شافعي . له كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى وخلاصته . توفي سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م . انظر مصادر ترجمته في كحالة : معجم المؤلفين ٧ : ١٢٩-١٣٠..

(٢) في ب : هي محمولة .

(٣) في أ : ولئن .

(٤) في ب : من جملة حكمه بيان ذلك .

(٥) في ب : سبرة .

(٦) في أ : علم .

(٧) في ب : للملوك .

(٨) في ب : وانه .

نحو ميْل أو انكسار لشيء من خشبها أو نحو ذلك يُبادرُ [١] إلى إصلاحه وترميمه على أكمل الوجوه ، وترميمه[٢] اللائق[٣] بحرمتها وهيبتها وجلالتها .

ومما يزيد ذلك وضوحاً أنّ السبكي – رحمه الله تعالى – تعقّب ترجيح الرافعي والنووي – رحمهما الله تعالى – في عدم جواز تحلية الكعبة حيث قال : « الأظهر أنه لا يجوز تحلية الكعبة فقال : كيف يكون ذلك وقد فُعل في صدر هذه الأُمة وقد تولّى عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عن الوليد بن عبدالملك وذهّب سقفه » .

فإن قيل : إنه فعل ذلك امتثالاً لأمر الوليد ، فالجواب : أنّ الوليد وأمثاله من الملوك إنما تصعب مخالفتهم فيما / لهم غرض يتعلّق بملكهم ونحوه ، أما مثل هذا فإن[٤] فيه توفير عليهم في أموالهم فلا تصعب مراجعتهم فيه . فسكوت عمر بن عبد العزيز وأمثاله وأكبر منه مثل سعيد بن المسيّب وبقية فقهاء المدينة وغيرها دليل على الجواز[٥] . [٧/ب]

بل أقول : ولي عمر بن عبد العزيز – رضي الله تعالى عنه – بعد ذلك الخلافة وأراد أن يزيل ما في جامع بني أمية من الذهب فقيل له : إنه لا يتحصل منه شيء يقوم بأجْرة حَكّه ، فتركه .

والصفائح التي على الكعبة يتحصل منها أشياء كثيرة فلو كان فِعْلها

---

(١) في ب : بودر .

(٢) كلمة سقطت من ب .

(٣) في ب : اللائقة .

(٤) كلمة سقطت من ب .

(٥) في ب : لجواز ذلك .

حراماً في زمنه[١] لأزَالها في خلافته لأنه إمام هُدًى ، فلما سكتَ عنها وتركها وجب القطع بجوازها . انتهى .

فتأمّل هذا الإستدلال من هذا الإمام تجده قاضياً بصحة ما سلكه هو وغيره من العلماء من أنَّ سكوت العلماء وغيرهم على ما فُعل في الكعبة المعظمة من الإصلاحات في الأعصار من غير نكير دالُ على جوازه وحُسنه ، فإنه ينبغي للملوك تحريه والعمل بمثله في الكعبة المشرفة إذا حصل فيها ما يقتضي الإصلاح[٢] ولَمّ الشعث الذي لا يليق بأدنى المساجد أن يبقى عليه فكيف بما هو أشرفُها وأفضلها .

ويؤيد ما مرَّ مِن احتجاج السبكي بعدم إنكار العلماء وغيرهم أن المحبّ الطبري لما أفْتَى بوجوب إعادة الشاذروان إلى ذراع في العرض – كما مرَّ ذلك عنه – استشعر على نفسه اعتراضاً [٣] وأجاب عنه بما يوافق ما تقرَّر أن عدم إنكارهم بعد علمهم بالحكم [٤] تقريرٌ له ورضًى به . وعبارته : « فإن قيل هذا الموجود اليوم الناقص عن الذراع ترادفت / عليه الأعصار ، [٨/أ] وتواتر[٥] عليه علماء الأمصار ، وجاور بالحرم الشريف كثير من العلماء وطالت مدة مجاورتهم ولم ينكر ذلك أحد منهم ، والظاهر أنّ ذلك لم[٦] يخف على جميعهم .

---

(١) سقط الجار والمجرور من ب

(٢) في أ : الاصطلاح .

(٣) في أ : اعتراضات .

(٤) سقط الجار والمجرور من أ .

(٥) في ب : وتواردت .

(٦) كلمة سقطت من أ .

قلنا : عدم إنكارهم لا يدلّ على رضاهم به وتقريرهم له ، وإنما نحكم بالرضى والتقرير بعد العلم بأنهم علموا بالزيادة[1] ذِراعاً ثم أقروه ناقصا ، ويحتاج ذلك إلى إثبات ، وكثير من جملة العلماء لا يعلم أنّ الأزرقي ذكر أن عرضه ذراع وإنْ علموا حكمه ، وكثير يعلم ما ذكره الأزرقي ولا يعتبره ويطوف ويعتقد أنه كما ذكره الأزرقي ولا يعلمون نقصه .

وقد رأيتُ من أجلّة[2] أهل العلم مَن هو كذلك ، وما المانع مِن أن يكون أنكره مَن اطّلع عليه وعلِمَه كما أنكره اليوم فحصل فيه[3] له صادّ كما حصل اليوم ، ولا يتمكّن كلّ أحد من تغييره بيده وإنما ذلك مَنُوط بولاة الأمور[4] فيه ، وكم مِن بدعة تطاول زمانها ولا يقال إن علماء عصرها[5] أقروها رضًى بها ، بل يحرم على كل أحد نسبتهم إلى ذلك . ألا ترى أنَّ في الكعبة منكَرَيْن فاحِشَيْن قد تطاول الزمان عليهما : المنكر المسمى بالعروة الوثقى ، والمنكر المسمى بسرة الدنيا . أنكرهما[6] كثير من العلماء ولم يُلْتَفت إليهم . انتهى .

فإن قلت : يؤخذ من كلام هذا منازعة السبكي وغيره فيما قالوه من الإستدلال بتقرير العلماء على فعل[7] تلك الإصلاحات[8] والرخام والتحلية ، لأن

---

(١) في ب : بانه كان .

(٢) في أ : جملة .

(٣) سقط الجار والمجرور من ب .

(٤) في ب : الأمر .

(٥) في أ : مصر .

(٦) في ب : انكرها .

(٧) في أ : على ما فعل .

(٨) في أ : الاصطلاحات .

الإحتمالات التي ذكرها بسكوت العلماء على بقاء الشاذروان على دون الذراع يأتي في ذلك .

قلتُ : ممنوع ، لأن الإنكار يستدعي تقدم العلم بما قاله / الأزرقي [٨/ب] إنه كان ذراعاً ، وهذا لا يأتي فيما نحن فيه . سلَّمْنا أنهم علموا يحتمل أنهم ممن يرون صحة الطواف على الشاذروان ، وإنْ سلّمْنا أنهم يعتقدون ذلك هم قد أنكروه في كُتُبهم ، وهذا كله لم يوجد منه شيء هنا ، فدلّ سكوتهم على تلك الإصلاحات[١] وعدم تعرضهم لإنكارها بلسان ولا قلم على جوازها .

وقوله : « وكم من بدعة الخ » لا يأتي فيما نحن فيه أيضاً لأن العلماء لم يُبقوا شيئاً من البدع المنكرة إلاّ وقد ذكروا حكمه وبيَّنوه تلويحاً وتصريحاً ، فسكوتهم على الإنكار عليه إنما هو لعجزهم ، وهنا لو كان سكوتهم لعجزهم[٢] ليبينوا ذلك في كتبهم . فتأمل ذلك حق التأمل لتكون على جادة الصواب ، وتظفر بتحقيقه[٣] فإنه مما يُستفاد ويستطاب . وفقنا الله لتحَرّيه[٤] على الدوام ، وجعلنا ممن قام بشعائر هذا البيت الحرام .

الرابع : مما هو صريح فيما قدمتُه من جواز الإصلاحات التي يُحتاج إليها في الكعبة ما حكاه أئمتنا وغيرهم في خبر بناء ابن الزبير –رضي الله عنهما – وذلك أنه[٥] لما أراد أن يهدمها للحريق الذي وقع فيها من بعض

---

(١) في أ : الاصطلاحات .

(٢) خمس كلمات سقطت من أ .

(٣) في أ : بحقيقة .

(٤) في أ : لخيرته .

(٥) في ب : لأنه .

جماعته(١) أو ممن حاصره شاور مَن حضَـره من الصحابة وغيرهم -رضي الله تعالى عنهم - منهم : ابن عباس - رضي الله عنهما - في هدمها فهابوا هدمها وقالوا : نرى أن نصلح ما وهـي منها ولا يهدم ، فقال : لو أن بيتَ أحدكم احترق لم يرض له إلاّ بأكمل إصلاح ، ولا يكمل إصلاحها إلاّ بهدمها ، فهدمها حتى وصل إلى قواعد إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم .

وفي رواية : إنه جمع وجوه الناس وأشرافهم واستشارهم(٢) في هدمها فأشار عليه القليل من الناس ، وأبَى الكثير ، وكان أشدّهم إباءً عبدالله بن عباس / - رضي الله عنهما - وقال : دعها على ما أقرَّها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخشى أن يأتي بعدك مَن يهدمها ، فلا تزال تُهدَم وتُبنَى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن إرقعها . فقال ابن الزبير : والله ما يرضى أحدكم أن يُرقَع بناء(٣) بيت أبيه وأُمه فكيف أرقع بيت الله ، واستقر رأيه على هدمها(٤) . [٩/أ]

وكان يُحِب أن يكون(٥) هو الذي يردّها على قواعد سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم لمّا بلّغه ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء(٦) الصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم - مجمعون ومتفقون على

---

(١) في أ : جماعة .

(٢) كلمة سقطت من أ .

(٣) كلمة سقطت من أ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة ١ : ٢٠٤ ؛ الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٦١ .

(٥) كلمتان سقطتا من أ .

(٦) في ب : فيها والصحابة .

إصلاح ما ضعف واختلّ وتشعّث منها بحسب الضرورة والحاجة الماسّة إذا وهى كما في القاموس بمعنى تَخَرَّقَ وانشق واسترخى رباطه ، وابن الزبير - رضي الله عنهما - ومن وافقه موافقوهم على ذلك ، وإنما وقع بينهم [(١)] الخلاف في القدر الزائد على الحاجة . فالأكثرون نظروا إلى جانب الاحترام المطلق للكعبة فلم يوافقوا على الزائِد على الحاجة ، وهو - رضي الله عنه - ومن وافَقَه نظروا إلى ما يليق بإجلال البيت وتعظيمه ، وإيقاع مزيد هيبته في القلوب ، فلم يقنعوا بالإقتصار على قدر الحاجة وأبرز لهم ذلك القياس المعنوي بقوله : لو أنّ بيت أحدكم احتراق لم يرض له إلاّ بأكمل إصلاح ، ولا يكمل إصلاحها إلاّ بهدمها فلم يعترضوا هذا الدليل الذي أبْرزَهُ لهم ، إمّا لوضوحِه لهم ، وإمّا لأن المجتهد لا ينكر على مُجْتهد[(٢)] فلذلك مكّنُوه مما أراد ولم يعترضوه .

فتأمّلْ ذلك أدنى تأمّلٍ يتّضح لك صحة ما قلناه مِن أنّهم كلُّهم متفقون على إصلاح ما تَخرّقَ وانشقّ واسترخى لا خلاف بينهم في ذلك[(٣)] وهم الحجة على مَن بَعْدهم في ذلك وغيره . وإنما الخلاف بينهم في إصلاح زائد / على الحاجة ولائق بكمال البيت وعظيم إجلاله وحرمته ، فابن الزبير وموافِقُوه يرون ذلك ، والأكثرون لا يرونَه . [٩/ب]

فتأملْ ذلك فإنه مما ينبغي أنْ يُحْفَظ ويُستفاد وحينئذٍ فلم يبقَ لما قيل إنه لا يجوز أن يُصْلَح فيها إلاَّ ما سقَط ، وما لم يسقط لا يُصْلَح بل يُترك على استهدامه وتَشعُّثِه وجه ، وإن كان الحامل لقائله على ذلك رعاية احترام

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) أربع كلمات سقطت من أ .

(٣) أحد عشر كلمة سقطت من أ .

البيت لذلك ما أمكن بحسب ظنّه وكأنه لم يسمع قول مَن استدل على بُطلان زعمه ترك ذلك يؤدّي إلى غاية وهن في الدين واسقاط هيبة الكعبة المعظمة من قلوب سائر المسلمين ، لأنهم يروْن البيوت المنسوبة إلى أهل الدنيا في غاية العظمة الصورية ، والبيت المنسوب إلى الله تعالى في غاية الإستهانة [١] بحقه وعدم الإعتناء بشأنه ، والقيام بحرمته . وهذا خرق عظيم يجب تداركه ، انتهى .

وهو استدلال لا بأس به لا سيما عند من يراعي المصالح المرسلة التي قال المحققون إنها لا تختص بالمالكية ، بل ما من مذهب من المذاهب الأربعة إلاَّ وعمل بها في مسائل كثيرة ، لكن المالكية لمّا أكثروا من مراعاتها[٢] نُسِبَ القول بها اليهم .

الخامس : اختلف العلماء في جدار الحجرة الموجود الآن[٣] ، وفيه الميزاب . هل يجوز هدمه لأن ابن الزبير – رضي الله عنهما – أعاد الكعبة على قواعد إبراهيم لِما مَرَّ ، وللخبر المتفق عليه الذي روَتْه له خالته عائشة –رضي الله عنها – عن النبي صلى الله عليه وسلم الدّال على أنه صلى الله عليه وسلم قال[٤] : (لَوْلا أن[٥] أخشى على قريش من الفتنة بهدم بنائهم الذي قصروه عن قواعد إبراهيم بإخراج ستة أذرع منه من جهة الحِجر ، وتعلية بابِها الشرقي ، وسَدّ بابها / الغربي لهدمتُها وأعدتُّها على قواعد إبراهيم [١٠/أ]

---

(١) في أ : الاستهتار .

(٢) في ب : رعايتها .

(٣) في ب : اليوم .

(٤) كلمة سقطت من ب .

(٥) كلمة سقطت من ب .

ووطأتُ بابها الشرقي وفتحت بابها الغربي)[١] .

ولا يجوز هدم ذلك الجدار ، ولا يغيَّر بابُها لأن ابن عباس قال لابن الزبير – رضي الله عنهم – : دعْها على ما أقَرَّها عليه النبي صلى الله عليه وسلم . فقال جماعة بالجواز وجماعة بالمنع . وممن قال بجواز ذلك صاحب الفروع[٢] من الحنابلة وعبارته : « ويتّجه جواز بنائها على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لولا العارض في زمنه لفَعَلَهُ كما وَرَدَ ذلك مُصرحا به في خبر عائشة –رضي الله عنها – .

قال الإمام ابن هبيرة فيه : إنه يدل على جواز تأخير الصواب لأجل «قالت الناس » : وقد رأى مالك والشافعي – رضي الله عنهما – أنّ تركه أَوْلى لئلا يصير البيت ملَعبه للملوك » . انتهى .

وقول ابن هبيرة : إن التأخير لأجل « قالت الناس » فيه نظر بل ظاهر الخبر أنه لخشية الرِّدَّة عليهم بنقض بعض بنائهم الذي يَعُدُّونَهُ[٣] من أكمل شرفهم[٤] .

---

(١) – البخاري : الصحيح ٧ : ١٥٦ – ١٥٧ (روي بالمعنى) .
– ورد النصف الثاني من الحديث في ب كما يلي (لهدمها وأعادها على قواعد ابراهيم ووطأ بابها الشرقي وفتح بابها الغربي) .

(٢) صاحب الفروع : هو محمد بن مفلح الحنبلي (ت ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م) انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ١٢ : ٤٤ .
وكتاب الفروع يعتبر من أحسن كتب الفقه الحنبلي . ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٢٥٦ .

(٣) في أ : يدعونه .

(٤) في أ : اشرفهم .

وقوله إنّ مالكاً والشافعي رأيَا أنّ ترك[١] ذلك أولى يشهد له بالنسبة لمالك قول التقي الفاسي مِن أئمة المالكية « ويروى أن الخليفة هارون[٢] الرشيد وقيل أبوه المهدي وقيل جده المنصور أراد تغيير ما صَنَعهُ الحجاج في الكعبة، وأنْ يردّها إلى ما صَنَع ابن الزبير فنهاه[٣] عن ذلك الإمام مالك بن أنس -رضي الله تعالى عنه- وقال : نشدتُكَ الله لا تجعل بيت الله ملْعبة للملوك ، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلاّ غيَّرهُ ، فتذهب هيبته من قلوب الناس » . انتهى بالمعنى[٤] .

وكأن مالكاً لحَظَ في ذلك كون دَرْء المفاسد أولى من جلْب المصالح . وهي قاعدة مشهورة معتمدة [٥]. انتهى كلام الفاسي فتعبيره بأوْلى مُسَاوٍ لقول ابن هبيرة عن مالك انه / رأى أن ذلك أوْلَى . [١٠/ب]

فإن قلت استشهاد الفاسي بالقاعدة المذكورة يدلّ على الوجوب لأنَّ درء المفاسد يجب تقديمه على جلب المصالح . قلتُ : هذا إيهام لأنَّ المفاسد على قسمين : مظنونة الوقوع : فهذه هي التي يجب تقديم رعايتها على جلب المصالح . ومتوهّمة الوقوع : وهذه هي التي تكون رعايتها أوْلى لا واجبة .

وما نحن فيه مِن هذا الثاني كما هو واضح إذ خشيَة[٦] تغيير الملوك لها حتى تذهب هيبتها من القلوب مع ما استقرّ في النفوس مِن تعظيمها بعيدٌ

---

(١) في أ : في .
(٢) كلمة سقطت من أ .
(٣) في ب : نهاه .
(٤) كلمة سقطت من أ .
(٥) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٦٣ .
(٦) في أ : حينئذ.

جداً . فكان متوهَّماً لا مظنوناً . فكيف يصح التعبير في هذا المقام بأوْلَى . فتأمّلْه .

ويشهد له بالنسبة للشافعي – رضي الله عنه – قول النووي –رحمه الله–[(١)] في شرح المهذب : « قال القاضي أبو الطيب في تعليقه في باب دخول مكة في آخر مسألة افتتاح الطواف بالإستلام . قال الشافعي –رضي الله عنه– أُحِب أن تُتْرَك الكعبة على حالها فلا تُهدَم لأنَّ هدمَها يُذْهِب حرمتها ويصير كالتلاعب فلا يُرِيدُ والٍ تغييرها إلاَّ هدَمها ولذلك استحسنَّا تركها على ما هي عليـــه » . انتهى .

فظاهر قوله – رضي الله عنه – أُحِبُّ بل صريحُهُ ما نقله ابن هبيرة عنه أنه رأى أنّ ترك ذلك أوْلَى ، وزعم أنه قد يريد بأحب أوجب بتقدير تسليمه وإلاّ فكُتُبُه لا سيما مختصر المزني مع صِغَرِهِ مشحونة باستعماله أُحِبّ في المندوبات لا غير . كما هو وضعه لا يردّ على ابن هبيرة لأن نصّ الإمام في حق مُقَلّديه كنص الشارع في حق الأُمَّة في كونه يُحْمَل على معناه الحقيقي ولا يجوزُ صرفُه عنه إلاّ بدليلٍ مِن كلامه أو قواعده / قَرَّرَ[(٢)] أهل الأصول دلالة مثله على الوجوب . وزعم بعضهم أنه قد يريد به أوجب لقرينة[(٣)] ليس في محلّه لأنّ كلامنا في نصٍ خلا عن القرينة والتعليل بإذْهاب الحرمَة لا يدلّ على الوجوب لأنّه مشكوك فيه لا يراعي مثله إلاَّ مَن يقول برعاية المصالح المرسلَة مطلقاً ، ونحن لا نقول بذلك ، على أن قوله ولذلك استحسنَّا إلى آخره [١١/أ]

---

(١) كلمتان سقطتا من أ .

(٢) في أ : قرره .

(٣) في ب : بقرينة .

يردّ[١] توهّم[٢] الوجوب .

وسيأتي قريباً عن المحب الطبري قوله : « على أنّا نقول : إنما كرِهَ مالك إلى آخِره» وهو صريح واضح فيما ذكرته فتأمَّلْهُ . وأما قول الشافعي – رضي الله تعالى عنه – في بعض المواضع : لا أحِبّ كذا كقوله : لا أُحِب نقْل الميّت إلاّ أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس ، فهو لا يقضي على ابن هبيرة لأن لا أحب كذا قد يستعمله الشافعي فيما فِعْلُه محرَّمٌ ، وقد يستعمله فيما فِعْله مكروه . ومِن ثَمّ اختلف أصحابه في هذه المسألة فقال جماعة : يحرم النقل لغير الثلاثة ، وقال آخرون : يُكْرَه . ونظير هذا استعمال الشافعي – رضي الله عنه [٣]– أكْرَهُ كذا ، فإنَّه قد يستعمله في المكروه كراهةَ تنّزيهٍ ، وقد يستعمله في الحرام .

فإنْ قلتَ : ما الفرق بين أُحِب حيث لا يستعملها إلاّ في المندوب ، وأكْره حيث يستعملها في الأمْريْن . قلْتُ : الفرق ما استفاض على لسانه ولسان أصحابه أنّ المكروه قد يكون كراهة للتحريم وقد يكون كراهة للتنزيه . فصح استعمال أكْرَهُ فيهما .

وأما المحبوب فلم يقع اصطلاح على أنّ محبَّتَه قد تكون للإيجاب وقد تكون للندب بل لم يُستعمل إلاّ قسيما للواجب فتعيَّنَ صرفه له .

وفي البديهة ما يقضى بالفرق بين أُحِبّ كذا ولا أحبُّ كذا / فلا [١١/ب]

---

(١) كلمة سقطت من أ .

(٢) في أ : يوهم .

(٣) ثلاث كلمات سقطت من أ .

مساواة بينهما ، ويُقضى بها على ابن هبيرة ، فتأمّلْ ذلك كله[١] فإنّه قد وقع فيه غلط .

هذا ما يتعلق بالقائلين بالجواز نقلاً ودليلاً وهو يُفْهَم بالأَوْلَى ما قدمتُه مِن جواز إصلاح ما وَهى وتشعَّثَ من الكعبة وإنْ لم يسقط .

وأما القائلون بالمنع فيشهد لهم قول النووي – رحمه الله تعالى – في شرح مسلم : قال العلماء ولا تُغَيَّر الكعبة عن هذا البناء ويحتمل أنه[٢] يريد أنَّ نفي ذلك أَوْلَى ليوافق ما مَرَّ عن الشافعي – رضي الله تعالى عنه – ويشهد لهم أيضاً بل يصرّح به قول السُّبكي : الإجماع انعقد على جواز[٣] تغيير الكعبة . انتهى .

وقول الزركشي بعد الحكاية السابقة عن مالك – رضي الله تعالى عنه– والرشيد[٤] أو أبِيه أو جده ، واستحسن الناس هذا من مالك – رضي الله عنه–[٥] وعملوا عليه فصار كالإجماع على أنه لا يجوز التعرض للكعبة بهدم أو تغيير . انتهى .

فإنْ قُلْتَ : كيف هذا الإجماع مع وجود ما مرَّ مِن الخِلاف ؟

قلتُ : أمّا عبارة النووي فهي محتملة فلا دليل فيها .

وأمّا عبارة السبكي فصريحة في نقل الإجماع لكن فيها نظر . وكأن

---

(١) كلمة سقطت من أ .

(٢) في ب : ان .

(٣) في ب : عدم جواز .

(٤) في أ : للرشيد .

(٥) ثلاث كلمات سقطت من أ .

هذا هو السبب في عدول الزركشي عنها إلى قوله : فصار كالاجماع إلى آخره ، فافهم أنه ليس في المسألة إجماع حقيقي ، وهذا هو الحق .

هذا كله إنْ حَمَلْنا كلام هؤلاء كما هو المتبادر منه على أنّه في الصورة السابقة وهي هدْم ما صنعه الحجاج وردُّها على بناء ابن الزبير . ويؤيّد ذلك أنّ هذا هو الذي أرادَهُ هارون أو أبوه أو جده فمنَعَه منه مالك -رضي الله عنه- .

وأما بقية بناء ابن الزبير فلم يتعرض / له أحدٌ بعد الحجَاج بهَدْم [١٢/أ] ولا تغيير ولا أراد أحدٌ فيه ذلك ، كما قاله التقي الفاسي وغيره كما يأتي حتى يقع فيه خلاف وإنّما الذي وقع من الملوك من ذلك الزمن وإلى الآن ترميم وإصلاح لنحو السقف والقبّة والميزاب والباب ، على أنّ مِن العجيب(١) الدال على كرامة ابن الزبير أنّ جميع الإصلاحات الواقعة في نحو جدار الكعبة وبابها إنما هي فيما وضَعَهُ (٢) الحجاج وما قرب منه دون بناء ابن الزبير كما سيأتي مبسوطاً .

أما إذا لم نحمله على تلك الصورة الخاصة بل على ما عداها ، فالإجماع على الإمتناع من هدم بعض جدرانها أو(٣) تغييره بلا ضرورة أمرٌ حقيقي واقع لا مِرْيَةَ فيه ، وليس ذلك من خصوصيات الكعبة بل هو جارٍ في كل مسجد إذ مِن البديهي في سائر المساجد أنه لا يجوز لأحدٍ هدْم أبنيتها ولا تغييرها عن ما هي عليه من غير ضرورة أو حاجة ماسّة . وحينئذ فلا يجوز

---

(١) في ب : العجب .

(٢) في ب : صنعه .

(٣) في ب : و

لأحدٍ حمل اختلاف العلماء على ذلك ، بل يتعيَّن حمله على ما قررْناه وأوضحناه فتأمَّلْه لئلا يزلّ [١] قدمك ويطغى قلمك ، أعاذنا الله أجمعين من ذلك بمنّه وكرمه آمين[٢] .

ثم رأيت الإمام المحب الطبري صرح عن مالك – رضي الله عنه – بما يوافق ما قدمته عن ابن هبيرة وغيره في فهم كلامه ، وما ذكرته أنّ محل كلامه إنما هو في هدم ما فعله الحجاج لا غيره . وذلك أنه – أعني المحبّ الطبري – لمّا أفتى بوجوب هدم ما كان عليه[٣] الشاذروان من دون ذراع في عرضه ، ووجوب إعادته إلى ذراع احتياطاً للطائفين الذين يرَوْن[٤] بطلان الطواف / عليه ، استشعر اعتراضاً على نفسه من كلام مالك مع الخليفة . [١٢/ب] فقال : فإنْ قيل قد ورد عن مالك أنه[٥] لما حجّ مع[٥] الخليفة في زمنه . وكان بلغه عنه أنه يريد أن يهدم ما بناهُ الحجاج من البيت ويردّه إلى ما بناه ابن الزبير – رضي الله عنهما – فخرج له من المدينة واعترض له في طريقه ، وقال: أُنْشِدك الله يا أمير المؤمنين لا جعلتَ هذا البيت ملْعَبة للملوك ، لا يشاء أحد منهم يهدمه ويبنيه[٦] إلاّ فعَل ذلك[٧] . فكَفَّ الخليفة عن ذلك . وإنما قال له مالك ذلك وكف الخليفة تعظيماً للبيت واحتراماً له ، والتعظيم

---

(١) في أ : كيلا يزال .
(٢) كلمة سقطت من أ .
(٣) في أ : من .
(٤) في ب : يريدون .
(٥) كلمة سقطت من ب .
(٦) في ب : لهدمه وبنيه .
(٧) كلمة سقطت من ب .

والاحتـرام[١] ثابتان[٢] للجزء كثبوته للكلّ .

قلنا : إيراد هذه الحكاية في معرض الإعتراض تشنيع وتهويل وعمى بصـيرة عن رؤية الحق وارتكاب هوًى مـتَّـبَـع . وأي جـامع بين[٣] ما نحن فيه وما في هذه[٤] الحكاية والفرق بينهما مِن وجهيْـن :

الأول : من جـهـة المعنى ، فـإنّ القـصـد في مـسـألتنا رعـاية مـصلحـة الطائفين وتصـحيح طوافـهم ، وجعل المطاف[٥] على صـورة يصح الطواف فـيه للملاصق للشاذروان[٦] .

وذلك الغاية في تعظيم حرمة البيت ، والإعراض عن ذلك هتك لحُرمته ، لما يتطرق له من الخطر الكثيـر والفسـاد العـريض فناسب وجـوب رعـاية ذلك تَجْنيباً[٧] للخطر الناشئ بسبب الترك على كل قادر .

وما أنكره الإمام مالك ليس في تركـه خطَـر ولا إفساد عبادة ، بخلاف مسألتنا لما يترتب عليها من الخطر المذكور .

ولو سئل مالك عن مسألتنا لأجاب بمثل جوابنا لأنّ مذهبه وجوب حسم الذرائع المفـضـيـة إلى المفـاسـد ، ومـسـألتنا تنزع إلى ذلك / لأنّ تقـدير [١٣/أ]

---

(١) في أ : والحرمة .
(٢) في أ : ثابتتان .
(٣) في ب : على .
(٤) كلمة سقطت من أ .
(٥) في ب : الطواف .
(٦) في أ : الشاذروان .
(٧) في ب : تجنّبها .

الشاذروان على ما هو عليه يؤدي إلى فساد طواف بعض الطائفين ، فوجب حسْمه بالإزالة .

الثاني : الفرق من حيث الصورة . وذلك أنّ هدم البيت أو جانب منه يُكْثِر الإبتذال فيه ، ويعظّم الشعث ، ويقلّ الهيبة ، لا سيما إذا كان ناشئاً عن هوًى متبع ، بخلاف هدم[1] شبر من دكة[2] في بناء البيت إنْ احتيج إليه وإلاّ فالضرورة تندفع بإلصاق بناء إليه يتمّ به الذراع ويندفع به المحذور . وبين الصورتين بَوْنٌ عظيم .

على أنّا نقول : إنما كره مالك ما كرهه خشية أن يتكرّر هدم البيت لما علم من هدم ابن الزبير له وبنائه ثم هدم الحجاج لما زاده ابن الزبير ، فخشي مالك لو هدمه هذا الخليفة وأعاده على وضع ابن الزبير أن يأتي[3] بعده مَن يرى رأي الحجاج فيتكرر ذلك . فجرى على مُقتضى مذهبه من سدّ الذرائع ، ولهذا نبّه – رضي الله عنه – على ذلك بقوله : أَخْشى أن يبقى مَلْعَبة للملوك .

وإلاّ فلو علم أنه لا يُهدَم بعد إعادته على وضع ابن الزبير لما أنكره بل استحسنه[4] وندب إليه وحثّ عليه ، فرأى أنّ التعظيم به أنسب وأولى ، ولم يكن مَلعبة بل سُنّة متّبعة وفعلاً جميلاً . فإنّ سيّد المرسلين ، الممهد لنا شرائع الدين ، أشار إلى ذلك بما جاء في الصّحيحين عن عائشة

---

(١) في ب : نحو .

(٢) في أ : تكة .

(٣) كلمة سقطت من أ .

(٤) في ب : يستحبّه .

- رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا عائشة لولا أن قومك حَديثوا عهد بشرك لهدمتُ الكعبة وألْزَقْتُ بابها بالأرض ، ولجعلتُ لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، وزدتُ فيها ستة أذرع ، فإن قومك اقتصرتها حين بَنَتْ الكعبة)[١] .

وفي رواية في الصحيحين : (فإن بدا / لقومك من[٢] بعدي أن يبْنوه[٣] فهلمّي لأُرِيَك ما تركوا منه ، فأراها قريباً من ستة أذرع)[٤] . [١٣/ب]

وفي قوله صلى الله عليه وسلم [٥] فإن بدا لقومك الخ تصريح بالإذن في أن يُفْعَل ذلك بعده عند القدرة عليه والتمكن منه .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لولا إلى آخره حثٌّ عليه[٦] ودلالة على أن المانع منه حداثتهم بالشرك وتنبيه على أنه أَيْ فعْل ذلك من مهمات الدين عند تمكّن الإسلام . وهذا هو المعنى الذي حثّ ابن الزبير على هدم الكعبة واستيفاء قواعدها ، فلم يكن بذلك مَلُوماً ولا عُدّ منتهكا حرمته[٧] ، بل قائما في ذلك بالحرمة - رضي الله عنه - .

---

(١) البخاري : الصحيح ٧ : ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) كلمة سقطت من أ .

(٣) في أ : يبتنيوه .

(٤) مسلم : الصحيح ، باب الحج رقم ٤٠٣ ص ٩٧١ ؛ ابن حجر : فتح الباري ٤ : ١٨٧ .

(٥) سقطت التصلية من ب .

(٦) سقط الجار والمجرور من أ .

(٧) في ب : حرمه .

ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً يُبيحُ التغيير في البيت بالعمارة[١] إذا كان لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة . والله أعلم .
انتهى كلام المحب الطبري . ومن خطه نقلتُ ، وهو مشتمل على نفائس تقدمتْ الإشارة إلى كثير منها ، فتأَمَّلْه مع ما مَرّ ويأتي . لا سيما قوله : أوْلَى . فرأى أن التعظيم به أنْسَب وأولى فإنه[٢] موافق لما مرَّ عن ابن هبيرة وغيره .

وقوله آخراً : ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً يُبيحُ التغيير إلى آخره ، فإنّه موافق لما وضعتُ عليه كتابي هذا من جواز ، بل طلب إصلاح كل ما وهَى وتشعَّث في الكعبة ، وأنه يجوز التوصّل إلى معرفة الخلل الذي ظُنّ وقوعُه فيها ، ولو بالكشف لبعض سقفها . بل زاد أنّ ما اقتضتْ المصلحة استحسان فعلِه في الكعبة يجوز فعله فيها .

وبعد هذا مِن هذا الإمام لم يبْقَ لمنازعٍ في شيء مما ذكرته[٣] سبيل . ولم يجُزْ أن يُصْغى لشيء مما / مرّ عن أولئك المنازعين ، ولا أنْ يعوَّل [١٤/أ] عليه أدنى تعويل ، لما أنه خالٍ عن أن يقوم عليه دليل ، أو أن يعضده[٤] قويم تعليل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، جعلنا الله من أهْلِه إنه بكل خير[٥] كفيل .

---

(١) سقط الجار والمجرور من ب .
(٢) في أ : بأنه .
(٣) في أ : ذكر .
(٤) في ب : ويعضده .
(٥) في أ : شيء .

المقصد الثاني : في ما قاله الحنفية في ذلك .

اعلم أنه قد جرتْ عادة مولانا السلطان العادل المجاهد المرابط سليمان الخلافة ، وإمام المعالي والأنافة ، أنه لا يولي منصب الإفتاء على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة – رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلَّبه ومثواه ، ذي المناقب الباهرة ، والكرامات الظاهرة ، كما بينتُه في كتابي الذي أفردتُ ترجمتَه فيه وسمَّيْتُه « قلائد العقيان ، في ترجمة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » – إلاَّ أَعْلَم أهل [١] زمانه ، وأكمل أهل مملكته وأوانه . ولمّا كان متولّي منصب الإفتاء الآن مولانا خوجا[٢] جلبي[٣] متصفاً بذلك ، أهلاً لما هنالك ، محيطاً بجميع ما للأئمة في هذه المسالك ، عَوَّلتُ على ما سبق عنه في معرفة مذهب الحنفية في المسألة وهو جواز إصلاح ما وقع في الكعبة مما يحتاج إلى إصلاحه مِن نحو خرقٍ أو ترميمٍ .

المقصد الثالث : في بيان ما للمالكية في ذلك .

اعلم أنّ الإمام ابن بطّال[٤] مِن أئمتهم ذكر في شرحه على البخاري كلاماً في أنّ الفاضلِ مِن كسوة الكعبة هلْ يُصْرَف على أهل الحاجة أو لا . ومن جملته أن قسمة ما فضل عن الكسوة على أهل الحاجة أولى مِن قسمة المال الفاضل . ووجه ذلك بأن المال يمكن نفقته في ما تحتاج إليه[٥] الكعبة في

---

(١) كلمة سقطت من أ .

(٢) في ب : خجا .

(٤) هو أبو السعود افندي العمادي المذكور في أول هذا الكتاب ص ٥٦٨–٥٦٩.

(٤) ابن بطال : هو علي بن خلف بن بطال القرطبي – فقيه مالكي أندلسي– من مؤلفاته شرح على صحيح البخاري . توفي سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م . انظر مخلوف : شجرة النور الزكية ١ : ١١٥ .

(٥) سقط الجار والمجرور من أ .

إصلاح ما وَهَى منها / وفي وقود وأُجْرة قَيّمٍ ، والكسوة[١] لا تدعو لفاضلها ضرورة . انتهى . [١٤/ب]

أي فإذا جاز صرف فاضل المال مع أنه قد يُحتاج لصرفه في ما ذُكر فأولى أنْ يجوز صرف فاضل الكسوة الذي لا يُحتاج إليه .

وإذا تأملت هذا التوجيه الذي ذكره وجدتَه مصرّحاً بأن ما وهَى من الكعبة يُصلح ، وأنّ مالَها يُصرف في إصلاحه ، نظير ما مَرَّ عن أئمتنا . وحينئذ فما قاله موافق[٢] لمذهبنا الذي قدمتُه .

وبهذا يُرد ما نُقل عن بعض المالكية أنه نَقل لهم في عقد المجلس السابق عن أئمة مذهبه أنه لا يجوز التعرّض للكعبة بإصلاح شيء منها وإن تهدّم وتشعّث حتى يسقط ، موافقةً لما مرَّ عن آخرين قالوا ذلك مِن غير مذهبه . وسيأتي عن التقي الفاسي – وهو من أئمة المالكية – أنه حضَر إصلاحات وقعتْ بالكعبة مِن غير سقوط شيء بل لمجرد[٣] توهم الخلل ، وأقرَّهم على فعلها وذكر حضوره لها متبجّحاً به[٤] ، وأنّ جماعة من القضاة والرؤساء كانوا حاضرين معه أيضاً ، فذِكْرُه ذلك كذلك يُفيد أنّ مذهبه جواز ذلك ، إذ يبعُد كلّ البُعد مِن عالم متبحّر مؤرّخ يُبيّن الوقائع وما اشتملتْ عليه من الأحكام التي يعْتقدها ، والتي لا يعتقدها ، ويبيّن ما في ذلك كما يُعلَم باستقراء تواريخه . فمع ذلك لم يبق مَساغ لإنكار دلالة حكايته عن نفسه وغيره حضور ذلك والرضى به على أن ذلك مذهبه ومعتقده ، وحينئذ فهو موافق

---

(١) في أ : وللكسوة .

(٢) في أ : فما قاله أئمتنا .

(٣) في أ : بمجرد .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٦٦ .

لما تقرَّر عن ابن بطال .

المقصد الرابع : في بيان مذهب الحنابلة في ذلك .

[١٥/أ] قال صاحب الفنون[١] منهم في فنونه : لا بأس بتغيير / حجارة الكعبة إنْ عرض لها مرمَّة لأن كل عصر احتاجت فيه لذلك قد فُعِل بها ذلك ، ولم يظهر نكير على مَنْ فَعَلهُ .

نعم الحجر الأسود لا يجوز نقله من مكانه ولا تغييره لأنّه لم يوضَع موضعه إلاَّ بنصٍّ مِن النبي صلى الله عليه وسلم فهو كبعض آيات القرآن لا يجوز نقْلُها من موضعها إلى موضع آخر .

ويُكره نقل حجارتها عند عمارتها إلى غيرها . ولا يجوز أن تُعَلَّى أبنيتها زيادة على ما وُجِد من علوّها ، ويُكْره الصكّ فيها وفي أبْنِيَتِها إلاَّ بقدر الحاجة .

وقال صاحب الفروع مِن أئمة متأخريهم : ويتجه جواز بنائها على قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لولا المعارض في زمنه لفعَلَهُ كما ورَد مصرَّحاً به في خبر عائشة – رضي الله عنها – .

قال الإمام ابن هبيرة فيه : إنه يدل على جواز تأخير الصواب لأجل قالت الناس . وقد رأى مالك والشافعي – رضي الله عنهما – أن تركه أولى لئلا يصير البيت مَلْعَبة للملوك ، انتهى .

---

(١) صاحب كتاب الفنون هو علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩م) ، وكتاب الفنون من أكبر كتب الفقه الحنبلي ضاع أغلبه ولم يطبع منه غير جزأين .

وإذا تأمَّلت كلام صاحب الفنون وجدتَه موافقاً لما قدمتُه من إصلاح ما وقع في الكعبة مما يُحتاج لإصلاحها[١] وترميم ما تشعث منها ما يحتاج لترميمه . وأنّ فعل ذلك لا يتوقّف على سقوط ما وَهَى منها لأنّه احتجّ على ما قاله بما وقع في الأعصار مِن فعل نظائر ذلك في الكعبة مِن غير نَكير . والذي وقع منهم من الإصلاحات فيها إنما كان لمجرد ظنّهم خَلَلَه فبادروا لإصلاحه .

خاتمة :

في ذكر أمور مبيّنة وشارحة لبعض ما سبق .

أولها : قد مرّ أنّ العلماء احتجوا على جواز إصلاح ما وقع في الكعبة مِن ترميم ونحوه / مما يقتضي الإصلاح بما وقع في الأعصار مِن فعله على ممرّ الأزمنة مع مشاهدة العلماء وسائر المسلمين لذلك ولم يُنْكِره أحد منهم بلسانه ولا بقلبه ، فدلّ ذلك [٢] على جواز نظير تلك الإصلاحات . [١٥/ب]

وقد ذكر الفاسي وغيره من ذلك أشياء كثيرة جداً .

فمما ذكره الفاسي[٣] قوله : ذكر شيء من حال الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج وما صُنع[٤] فيها من العمارة وما عُمل لها من الأساطين والميازيب والأبواب بعد ابن الزبير – رضي الله عنهما – والحجاج في ما علمناه[٥] .

---

(١) في ب : لإصلاحه .

(٢) كلمة سقطت من أ .

(٣) سقط هذا العلم من ب .

(٤) في ب : وضع .

(٥) كلمتان سقطتا من أ .

واعلم أنه لم يغيّر أحد من الخلفاء والملوك في ما مضى من الزمن وإلى الآن ما بناه ابن الزبير – رضي الله عنهما – والحجاج في ما علمناه ، ولو وقع ذلك لنُقِل ، فإنّ ذلك مما لا يخفى لعِظَم أمره ، والذي غُير فيها بعدهما ميزابُها غير مرة وبابُها غير مرة ، كما سيأتي بيانه ، وبعض أساطينها وما دعت الضرورة إلى عمارته في جُدرها وسقفها ودرجتها التي يُصعَد منها إلى سطحها وعتبتها ورخامها، وهو[١] مما حدث من الوليد بن عبد الملك بن مروان في الكعبة بعد ابن الزبير – رضي الله عنهما – والحجاج [٢].

ثم ذكر أنّ من تلك العمارات التي حدثتْ ترميمٌ في جُدر الميزاب الذي بناه الحجاج وإصلاحُ ما[٣] في سقف الكعبة . فقد قال الأزرقي : وكانت أرض سطح الكعبة بالفسيفساء ، وهي ألوان من الخرز تُركب في حيطان البيوت من داخل كما في القاموس[٤] ثم كانت تَكِفُ عليهم إذا جاء المطر فقلعته الحجَبَة بعد سنة مائتين وشَدُّوه [٥] بالمرمر المطبوخ والجص شيدوه[٦] به تشييدا .

وذكر أيضاً / أن عتبة باب الكعبة السفلى كانت قطعتيْن من خشب الساج قَدْ رَثَّتَا وتخربتا[٧] من طول الزمان عليهما . فأخرجهما مندوب الخليفة المتوكل العباسي للعمارة سنة إحدى وأربعين ومائتين (٢٤١هـ/٨٥٥م) [١٦/أ]

---

(١) سقط الضمير من ب .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٦٢ .

(٣) كلمة سقطت من ب .

(٤) الفيروزابادي : القاموس (مادة : ف س ف) ٢٣٧:٢ .

(٥) في أ : سدوه .

(٦) في أ : شيّد .

(٧) في أ : فدرستا وتخربا .

وجعل مكانهما قطعة من خشب الساج وألبسها صفائح الفضة ، وأصلح أيضاً رخامتين أو ثلاثاً في جدار الكعبة .

ومن ذلك أيضاً [١] عمارة سقف الكعبة والدرجة التي بباطنها وكلاهما في سنة اثنين وأربعين وخمسمائة (٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) وبعد ذلك بيسير أُصلِح رخامها من جهة وزير صاحب الموصل .

وعمارة في سنة تسع وعشرين وستمائة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) من جهة المستنصر بالله العباسي ، وكتب بذلك رخامة[٢] في جدُرها اليماني داخلها .

وتجدد [٣] رخامها سنة ثمانين وستمائة (٦٨٠ هـ / ١٢٨١م) من جهة المظفر الرسولي صاحب اليمن[٤] وكتب اسمه برخامة في وسط الجدار الغربي ، وبعد ذلك بيسير أُلصق رخام خشبي بسقوطه في بعض جُدرانها مِن داخلها .

ومن ذلك أيضاً مواضع في سطحها كان يكثر وكف المطر منها إلى أسفلها : منها موضع عند طابق درجة سطحها ، وموضع عند ميزابها ، ومواضع عند[٥] بعض الروازن أي الكوات التي للضوء . وكان إصلاح هذه

---

(١) كلمة سقطت من أ .

(٢) في ب : وكتب ذلك برخامة .

(٣) في ب : وتجديد .

(٤) المظفر الرسولي : هو يوسف بن عمر بن رسول اليمني ولد بمكة سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢ م . وتولى الحكم ٦٤٧هـ / ١٢٤٩ م كان حازماً جواداً له مكرمات وأعمال صالحة بمكة . توفي سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥م . انظر الزركلي : الأعلام ٨ : ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٥) في ب : وموضع بقرب .

المواضع بالجبس[١] بعد قلع الرخام الذي هناك وأُعيد في موضعه وأُبْدل بعضه[٢] بغيره .

وأُصلحت الروازن كلّها بالجبس وكانت الأخشاب المطبقة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في[٣] سطح البيت قد تخربتْ فعُوِّضَتْ بخشب سوى ذلك ، وأُعيد البناء الذي عليها[٤] كما / كان . وكان الروزن [١٦/ب] الذي يلي الركن اليماني منكسراً فقُلع وعُوّض بروزنٍ جديد[٥] وُجد في أسفل الكعبة . وأصلح في درجة السطح أخشاب منكسرة .

قال الفاسي : وشاهدتُ كثيراً مِن إصلاح هذه الأمور وأنا بسطح الكعبة مع مَن صَعَد لعمل ذلك ، وذلك في أيامٍ متفرقة :

في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة أربع عشرة وثمانمائة (٨١٤هـ/١٤١١م) عقِبَ مطر عظيم حصل بمكة .

وبعد ذلك بنحو عشر سنين أُصلحتْ الروازن التي بسطح الكعبة ورخامة تلي[٦] ميزابها لأنّ الماء كان[٧] ينتقع عليها لخراب ما تحتها . فقُلعتْ وأُزيل ما تحتها مِن الخراب وأُعيد إلْصاقها بعد إحكام هذا الإصلاح .

وفي هذا التاريخ تخربت الأخشاب التي بسطح الكعبة المعدّة لربط

---

(١) في ب : بالجص .

(٢) كلمة سقطت من ب .

(٣) سقط حرف الجر من أ .

(٤) في ب : التي كان عليها .

(٥) في ب : جيد .

(٦) في ب : على .

(٧) كلمة سقطت مَن أ .

كسوتها فقُلعت وعُوّضتْ (١) عنها أخشاب جيدة محكمة ورُكّبْت فيها الحلَقَ الجدد التي تُشَدّ بها كسوة الكعبة ، ووضعتْ الأخشاب بسطح الكعبة في مواضعها قبل ذلك .

وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة (٨٢٦هـ/١٤٢٢م) أرسل السلطان برسباي مَن قلَع الرخام الذي بين جدار الكعبة الغربي والأساطين التي بالكعبة لتخرُّبه وأُعيد نَصْبُه مُحكَماً كما كان بالجصّ . وأصلح فيها رخام آخر ، وكُتِبَ اسمه وأمره بذلك في لوح رخام يقابل باب الكعبة (٢).

قال الفاسي ومن ذلك أنّ الإسطوانة التي تلي باب الكعبة ظهر بها مَيْل فَخيفَ من أمرها ، فاجتمعنا بالكعبة الشريفة مع جماعة من قضاة مكة والأمير المندوب من مصر للعمارة وغيره من الأعيان بمكة والعارفين بالعمارة ، فكشف مِن فوق السارية / المذكورة فوُجِدتْ صحيحة ، فحمدنا الله تعالى على ذلك ، ورُدَّتْ حتى استقامتْ وأُحكِم ذلك كما كان أوّلاً »(٣). [١٧/أ]

ثم ذكر عدّة الميازيب والأبواب التي غُيرت مع صلاحيتها ، لكن بما هو أقوى منها . انتهى حاصل كلام الفاسي(٤) .

والروازان التي ذكرها قال بعد ذلك إنها محدثة وعبارته : وفي الكعبة الآن ثلاث دعائم من ساج على ثلاث كراسي وفوقها ثلاث كراسي ، وعلى هذه الكراسي ثلاث جوائز من ساج ، ولها سقفان بينهما فُرجة ، وفي السقف

---

(١) في ب : وعوّض .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٦٥ – ١٦٦ .
(٣) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٦٦ .
(٤) الفاسي : شفاء الغرام : ١ : ١٦٧ – ١٧١ .

أربعة روازن نافذة مِن السقف الأعْلى إلى السقف الأسفل للضوء . انتهى[١].

وقد سُدت هذه الروازن بعد الفاسي ، وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : لم أقف في شيء من التواريخ على أنّ أحداً من الخلفاء ولا مَن دونَهم غَيَّر من الكعبة شيئاً مما صنعه الحجاج إلى الآن إلاّ في الميزاب والباب وعتبته .

وكذا وقع الترميم في جدارها غير مرة ، وفي سقفها وفي سُلّم سطحها وجُدّد فيها الرخام ، ووقع في جدارها الشامي ترميم في شهور سنة سبعين ومائتين (٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م) ثم في شهور سنة اثنين وأربعين وخمسمائة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ثم في شهور سنة عشرة وستمائة (٦١٠هـ / ١٢١٣م) ثم في سنة ثمانين وستمائة (٦٨٠هـ / ١٢٨١م) . وفي سنة أربعة عشرة وثمانمائة (٨١٤هـ / ١٤١١م) .

قال : وقد ترادفت الأخبار في وقتنا هذا[٢] في سنة اثنين وعشرين وثمانمائة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) أنّ جهة الميزاب فيها ما يُحتاج إلى ترميم فاهتم لذلك سلطان الإسلام الملك المؤيد[٣] .

ثم حججتُ سنة أربع وعشرين (٨٢٤هـ/١٤٢١م) وتأمّلْتُ المكان الذي قيل عنه فلم أجده بتلك البشاعة [٤] .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٧٣ .

(٢) في ب : إلى الآن في وقتنا هذا .

(٣) الملك المؤيد : هو شيخ بن عبدالله المحمودي الظاهر من ملوك الجراكسة بمصر والشام . تولى مصر ٨١٥هـ/ ١٤١٢م وتوفي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م . انظر الزركلي : الأعلام ٣ : ١٨٢ .

(٤) في ب : الإشاعة .

وقد رُمم ما تشعّث / من الحرم في أثناء سنة خمس وعشرين (٨٢٥هـ/١٤٢١م) إلى أنْ نُقِضَ سقفها في سنة سبع وعشرين (٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) على يديْ بعض الجند فجَدَّد لها سقفاً ورخَّم السطح . [١٧/ب]

فلما كان في سنة ثلاث وأربعين (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) صار المطر إذا نزل ينزل إلى داخل الكعبة أشدَّ مما كان أوّلاً . فأدَّاه رأيه الفاسد إلى أن نقض[١] السقف مرة أخرى وسدَّ ما كان في السطح من الطاقات التي كان يدخل منها الضوء إلى الكعبة ولزم من ذلك امتهان الكعبة ، بل صار العمال يصعدون فيها بغير أدب[٢] فغَارَ بعض المجاورين فكتب إلى القاهرة يشكو ذلك ، فبلغ السلطان الظاهر[٣] فأنكر أن يكون أَمَرَ بذلك وجهّز بعض الجند لكشف[٤] ذلك ، فتعصّب للأول بعض من جاور وأجمع الباقون رغبةً ورهبة فكتبوا محضراً بأنه ما فعل ذلك إلاّ عن ملاءمتهم ، وأن في ما فعله مصلحة ، وغُطّي[٥] عليه الأمر .

ومما يُتعجَّب منه أنه لم يتفق الاحتياج في الكعبة إلى الإصلاح إلاّ فيما صنعَهُ الحجَاج . إمّا في الجدار الذي بناه في الجهة الشامية ، وإما في السلّم الذي جدّده للسطح أو العتبة ، وما عدا ذلك مما وقع فإنّما هو لزيادة محضَة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب . انتهى كلام الحافظ .

---

(١) في ب : ينقض .

(٢) في ب : إذن .

(٣) السلطان الظاهر هذا هو جقمق العلائي الظاهري من مماليك مصر . انظر الزركلي : الاعلام ٢ : ١٣٢ .

(٤) في أ : فكشف .

(٥) كلمة سقطت من ب .

واعترض جعْله بعض السقف الجديد سنة سبع وعشرين (٨٢٧هـ/١٤٢٣م) بأنه سبْق قلم ، إنما هو سنة ثمان وثلاثين (٨٣٨هـ/١٤٣٤م) .

وبالجملة ففي كلامه أوضح دليل على أن الإصلاح لا يُنكَر إذا وُجِد ما يقتضيه وانما يُنكر إذا فُعل بلا مقْتضٍ يدعو إليه كما فعله ذلك الجندي بحسب رأيه الفاسد . وهذا موافق لما قدَّمتُه[1] وأفتيتُ به ، بل في / كلامه أنّ ما فُعِل ذلك للتحسين[2] كالباب والميزاب لا حرج فيه فإنه حكاه وأقَرَّه ، وكذا الرخام فإنّ فيه تحسيناً وتزييناً . وقد مر أن السُبكِي استدلّ بتقرير السلف لفاعله على جوازه . [١٨/أ]

ثانيها : في بيان ما للكعبة الذي مرّ عن أصحابنا أنه يتعيّن صرفه لها عمارة وبخوراً وكسوة ووقوداً ونحوها .

اعلم أنّ للكعبة ما لا مرصداً لها من زمن إبراهيم صلى الله على نبينا و عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلّم . وذلك أنه وإسماعيل صلى الله عليه وسلم لما بَنَيَاها[3] جَعلا جُبَاً فيها على يمين داخلها . فكان فيه ما يُهدَى لها مِن حُلي وذهب وفضة وغيرها – وكانت ليس لها سقف – فعدا على ذلك الجُب قوم مِن جرهم فسرقوا منه مرة بعد أخرى فبعث الله حَيّةً تحرُسه ، فسكنت في ذلك الجب أكثر من خمسمائة سنة تحرس ما فيه فلا يدخله أحد إلاّ رفَعتْ رأسها وفتحتْ فاها ، وكانت ربما تُشرف على جدار الكعبة .

واستمر الحال على ذلك في زمن جرهم وزمن خزاعة وصدراً من عصر

---

(١) كلمتان سقطتا من ب .

(٢) في أ : لتحسين .

(٣) في أ : بنيا .

قريش ، حتى اجتمعتْ قريش في الجاهلية على هدم البيت وعمارته . فجاء عقاب فاختطفها وطار بها نحو أجياد .

وروى البخاري أنّ أبا وائل جلس مع شيبة بن عثمان حاجبها على الكرسي ، فقال له[١] : لقد جلس هذا المجلس عمر – رضي الله عنه – فقال : لقد هممتُ أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلاّ قسَمْتُه ، قلتُ : إنّ صاحبيك لم يفعلا . قال : هما المرءان أقتدي بهما .

قال المحب الطبري : لما أخبره شيبة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يتعرَّضا للمال . رأى عمر أن ذلك هو الصواب / وكأنه رأى حينئذ أن ما جُعِل في الكعبة يجري مجرى الوقف عليها ، فلا يجوز تغييره ، أو رأى ترك ذلك تورُّعاً حين أخبره شَيْبة أنّ صاحبيه تركاه وإن كان رأيه إنفاقه في سبيل الله لأنهما إنما تركاه للعُذر الذي تضمنه حديث عائشة –رضي الله عنها –[٢] .انتهى[٣] . أي فتركه صلى الله عليه وسلم إنما هو رعاية لقلوب قريش ، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم لذلك . [١٨/ب]

وأيده شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر برواية مسلم في خبر عائشة –رضي الله عنها –[٤] (لولا قومك حديثوا عهد بجاهلية) الحديث . وفيه : (ولأنْفقْتُ كنز الكعبة في سبيل الله ، ولجعلتُ بابها بالأرض) [٥] .

---

(١) سقط الجار والمجرور من أ .
(٢) سقطت الترضية من ب .
(٣) كلمة سقطت من أ .
(٤) سقطت الترضية من أ .
(٥) البخاري : الصحيح ٧ : ١٥٦ .

قال : وعليه فإنفاقه[١] جائز كما جاز لابن الزبير– رضي الله عنهما[٢]– بناؤها على قواعد إبراهيم لزوال سبب الإمتناع ، انتهى .

فإن قلتَ : هذا ينافي ما مرّ عن أصحابنا أنَّه لا يجوز صرف شيء من مال الكعبة الذي أهدي لها إلى شيء من المصالح الخارجة عنها ، فما جوابهم عن ذلك ؟

قلتُ : يمكن أن يُجاب مِن جهتهم عن ذلك بأنَّ ترك أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما – وبقية الخلفاء الراشدين لأخذِهِ وإنفاقِه في سبيل الله تعالى مع شدة احتياجهم إليه ، ومع زوال ذلك المعنى الذي خَشِيَهُ صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته فيه أظهر دليل على أنهم علِموا بنصٍ أو قياسٍ أنّ ذلك مستحقّ للكعبة فلا يُصْرف في غيرها ، ويكون تركه صلى الله عليه وسلم لإنفاقه بعد زوال ذلك المعنى كالنسخ لما دلَّ عليه خبر عائشة .

ومما يدل على أنّ حكم ما أهْديَ للكعبة بعد الإسلام حكم كنزها في تَعيُّن صرفه / لها دون غيرها ما صحّ عن شقيق قال : بعث رجل معي [١٩/أ] بدراهم هدية إلى البيت ، فدخلتُه وشيبة – أي ابن عثمان[٣] – جالس على كرسي فناولته إياها فقال : ألَكَ هذه ؟ قلتُ : لا ، ولو كانت لي لم آتِكَ بها ، فقال : أما أن قُلْتَ ذلك ، لقد جلس عمر بن الخطاب مجلسك الذي أنتَ فيه فقال : لا أخرج حتى أقسم مال الكعبة بين فقراء المسلمين ، فقلتُ : ما أنْتَ بفاعل ، قال : لِمَ ؟ قلتُ : لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى مكَانه وأبو بكر وهما أحوج منك إلى المال ولم يُخْرِجاه . فقام كما هو وخرج .

---

(١) في أ : فانفاقها .

(٢) سقطت الترضية من أ .

(٣) في ب : ابن أبي عثمان .

قال الأزرقي : وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في الجبّ الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب ، ممّا كان يُهدي للبيت ، وإنّ عليا – رضي الله عنه – قال : يا رسول الله لو استعَنْتَ بهذا المال على حربك ، فلم يحرّكْه . ثم ذكر لأبي بكر – رضي الله عنه – فلم يُحرِّكْه .

وعن بعض الحجبة أن ذلك المال بعيْنه كان موجوداً بالكعبة سنة ثمان وثمانين ومائة (١٨٨ هـ / ٨٠٣ م) ثم لم يُدْرَ حالُه بعد .

وحكى الأزرقي عن مشيخة أهل مكة وبعض الحجبة أن الحسين بن الحسين العلوي – رضي الله عنهما [١]– عمد إلى خزانة الكعبة في سنة مائتين (٢٠٠هـ / ٨١٥ مـ) حين أخذ مكة فأخذ مما فيها[٢] مالاً عظيماً ونقله إليه ، وقال : ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً لا يُنْتَفَع به نحن أحقّ به[٣] نستعين به على حربنا .

وروي أنّ ما لها لم يخالط قط مالاً إلاّ مُحِق وأدْنى ما يصيب آخذه أنْ يُشَدّد عليه عند الموت .

ثالثها : في بسط ما سبَق من بناء ابن الزبير – رضي الله / عنهما – .

[١٩/ب]

اعلم أن الكعبة المعظمة بُنِيَتْ مرَّات عشرة أو إحدى عشر على ما

---

(١) سقطت الترضية من ب .

(٢) في ب : منها .

(٣) سقط الجار والمجرور من أ .

روي:بناء[١] الملائكة فآدم فأولاده[٢] فإبراهيم فالعمالقة فجرهم فقصي بن كلاب فعبدالمطلب . لكن قال الفاسي : أخشى أنّ هذا – أي بناء عبدالمطلب – وهْم . فقريش فابن الزبير فالحجاج لكن لبعضه[٣] .

والذي صحّ من ذلك بناء سيدنا إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعاى سائر الأنبياء والمرسلين وسلَّم . ثم قريش ثم ابن الزبير ثم الحجاج . وما قبل بناء إبراهيم لم يصحّ فيه شيء .

ومن ثم قال الحافظ ابن كثير : لم يجيء في[٤] خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل . ومن تمسّك في هذا بقوله تعالى ﴿ مكان البيت ﴾ [٥]فليس بناهض ولا ظاهر . لأن المراد مكانه الكائن في علم الله المعظم موضعه[٦] عند الأنبياء من لدن آدم إلى زمن إبراهيم .

وقد ذكر أن آدم صلوات الله وسلامه عليه نصب قبة عظيمة[٧] عليه وأنّ الملائكة قالوا له : لقد طفنا قبلك بهذا البيت ، وأنّ السفينة طافت به أربعين يوماً .

وكل ذلك ونحوه أخبار عن بني إسرائيل وهي لا تصدَّق ولا تكذَّب فلا يُحتج بها .

---

(١) في أ : بناه .

(٢) في ب : فأبناؤه .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ١ : ١٤٧ .

(٤) سقط حرف الجر من أ .

(٥) القرآن : سورة الحج ، الآية ٢٦ .

(٦) في ب : برفعه .

(٧) كلمة سقطت من ب .

وسبب بناء إبراهيم على ما ذكروه أنّ موضع الكعبة كان الطوفان أخفاه فإنه كان أكَمة حمراء مدوّرة لا تعلوها السيول غير أن الناس ، الأنبياء وغيرهم ، يعلمون مظنَّتَه ويقصدونه فيستجاب للمظلوم ثمّ ويحجّونه حتى بوّأه الله تعالى لإبراهيم فقال لولده إسماعيل حين أتاه المرة الثالثة : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ، فقال له إسماعيل : أطع ربك فيما أمرك ، قال : وتعينني ، قال : وأعينُك ، / قال : أمرني ربي أن أبْنِيَ له بيتاً ، فقال له [٢٠/أ] إسماعيل : وأين هو ؟ فأشار إلى أكمةٍ مرتفعة عليها رضراض من حصباء يأتيها السيل من [١] نواحيها ولا يركبها ، فقاما يحفران عن القواعد ويقولان ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢] وبحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته ويبني إبراهيم ، فلما ارتفع البناء وشقّ على إبراهيم التناول قَرّب له اسماعيل هذا الحجر - يعني المقام - فكان يقوم عليه ،يبني ويحوّله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت ، فلذلك سمي مقام إبراهيم لقيامه عليه .

وعن مجاهد أن الدالّ لإبراهيم على موضع البيت ملك وصُرَدٌ بضم ففتح : طائر ضخم الرأس فوق العصفور والسكينة وكان لها رأس كرأس الهرة وجناحان .

وفي رواية كأنها غمامة أو ضبابة - أي سحابة - تغشى الأرض كالدخان في وسطها كهيئة الرأس تتكلم وكانت بمقدار البيت ، فوقعت في موضعه ونادت : ابْنِ يا إبراهيم على مقدار ظلي .

وفي رواية تطوقَت كأنها[٣] حية على الأساس ولكون السكينة من شأن

---

(١) سقط حرف الجر من أ .

(٢) القرآن : البقرة آية ١٢٧ .

(٣) في أ : كأنه .

الصلاة جُعلتْ علَماً على قبلتها .

وفي رواية أنّ الغمامة لم تزل راكزة(١) تظل إبراهيم وتهديه مكان القواعد حتى رفعها قامة ثم انكشفت .

وفي رواية إنه لما حفر رأى صخراً لا يحرك الواحدة إلاّ ثلاثون رجلاً ، وكان يبني كل يوم مدمَاكاً .

وفي رواية لم يَبْنِيَاهُ بقصة(٢) ولا مدر بل رضَماه رضْماً فوق القامة ولم يسقّفاه وبنياه من خمسة أجْبُل فكانت تأتيه الملائكة (٣) بحجارتها وهي طور سيناء وطور زيتا بالشام والجودي بالجزيرة ولبنان وحراء وهما بالحرم . قاله السهيلي(٤) ، واعترض بأن لبنان لا يعرف بالحرم . وحكمة كونها من خمسةٍ(٥) إنها قبلة للصلوات / الخمس . [٢٠/ب]

ومن ثم روي أن إسكندر الأول قدم وطلب منهما البينة أنهما أُمِرا بذلك فنطق خمسة أكبش بالشهادة لهما بأنهما مأموران بذلك .

ولما انتهى إبراهيم لموضع الحجر طلب من إسماعيل حجراً يكون ابتداء

---

(١) في أ : راكدة .

(٢) في أ : بفصّه . القصّة نوع من الجصة يُبْنَى بها . وأحسنها قصّة صنعاء التي استعملها ابن الزبير في بنائه للكعبة . انظر أسفله . وانظر الفيروزابادي : القاموس المحيط . مادة (ق ص ص) ٢ : ٣١٣ .

(٣) في ب : فكانت الملائكة تأتي .

(٤) السهيلي : هو عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي الضرير من أكابر المؤلفين في السيرة النبوية . وكتابه فيها الروض الأنف . توفي السهيلي سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م . انظر الزركلي : الاعلام ٣ : ٣١٣ .

(٥) في أ : خمس .

الطواف منه . ففي رواية أنه[١] نزل به إليه جبريل من الجنة ، وفي أخرى أن أبا قُبَيْس استودعه الله إياه وأمره أنَّه إذا رأى الخليل يبني البيت يُعطيه ، فناداه أبو قبيس فصعَد وأخذه منه[٢] ووضعه بمحله الذي هو به الآن . قيل : وكان يتلألأ لشدة بياضِه ويضيء إلى حدود الحرم مِن سائر نواحيه فقيل : سوّدتْه خطايا بني آدم . وقيل : لحريق أصابه مرَّات جاهليةً وإسلاماً .

وجعل إبراهيم طول البيت في السماء تسعة أَذْرع ، وعرضه في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً ، من الركن الأسود إلى ركن الحِجر - بِكسْر أوله - من وجه الكعبة ، وما بين الركنين الشاميين اثنين وعشرين ذراعاً ، وطول ظهرها من الركن الغربي إلى الركن اليماني أحد [٣]وثلاثين ذراعاً ، وما بين اليمانيين عشرين ذراعاً ، فلذلك سُمّيَتْ الكعبة لأنها على خلقةِ الكعبة .

وكذلك[٤] بنيان أساس آدم صلى[٥] الله عليه وسلم ولم يجعل لمنفذها باباً[٦] فأول مَنْ أحدَثَه بغلق فارسي كالكسوة التامة والبخور تُبّع ابن أسعد الحميري ، وجعل إبراهيم الحِجر - بكسر أوله - إلى جنبها عَريشاً من أراك تقتحمه العُنُزُ وكان زرْبا لغنم إسماعيل . وحفر إبراهيم جُبّاً في بطنها على يمين داخلها يكون خزانةً لها يُلقي فيه ما يُهدى لها كما مَرَّ .

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) سقط الجار والمجرور من أ .

(٣) في ب : إحدى .

(٤) في ب : وكذا .

(٥) تكررت الكلمة في أ .

(٦) في أ : با .

تنبيه : / قال الله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ... ﴾ [1] الآية ، أي علامات واضحات منها مقام إبراهيم أي الحَجر الذي قام عليه عند بنائه . وخُصَّ بالذكر لأنه آية باقية على ممّر الأعصار ، ولأن إباهيم صلى الله عليه وسلم لما قام عليه ليرفَع قواعد البيت طال البناء فكان كلما علا الجدار به ارتفع الحجر في الهواء . فما زال يبني وهو قائم عليه[2] وإسماعيل يناوله الحجارة والطين حتى كمُل الجدار . ولَيَّن الله الحجر فغرقتْ فيه قدما إبراهيم كأنّها في طين ، فذلك الأثر باقٍ إلى يوم القيامة . [٢١/أ]

وقد نقلتْ كافة العرب ذلك في الجاهلية على مرور الأعصار فما حُفظ منازع فيه . وما ذكرتُ من أنّ إسماعيل كان يناوله الحجارة والطين ينافيه ما مرّ من[3] أنّ إبراهيم لم يبْنِها بمدر[4] ولا قَصَّة[5] وإنما رَضَمها رضْماً .

ومِن ثَمّ أُخذ منه بطلان ما على ألْسنة العامة أنّ الحفرة الموجودة الآن بين الحِجر - بكسر أوله - وباب البيت كانت معجنة للطين الذي بَنَى به إبراهيم . وقد يُجمع بأنه يحتمل أنه جعل الطين في أسفل جدارها زيادة في إحكامه ثم رَضَم الباقي .

وأخذوا من قوله تعالى : ﴿ مقام إبراهيم ومَنْ دخَلَه كان آمناً ﴾[6] اللَّذَيْن وقعا تفسيراً لتلك الآيات ، لكن الثاني ليس تفسيراً إضافياً[7] بل

---

(١) القرآن : آل عمران آية ٩٧ .

(٢) سقط الجار والمجرور من أ .

(٣) سقط حرف الجر من ب .

(٤) المدر : الطين اللزج المتماسك .

(٥) في أ : فصّة .

(٦) القرآن : آل عمران آية ٩٧ .

(٧) في ب : صناعيا .

معنوياً . كأنه قيل : وأمِنَ دَاخِلُه . وفسر الجمع باثنين لأنهما نوع منه كالثلاثة ، أنّ الضمير في فيه وإن كان للبيت لكن المراد الظرفية المجازية لتعذر[١] حملها على الحقيقة المستلزمة أن لا يذكر إلا ما كان[٢] داخل جدرانه وجعلا مثالاً لما في الحرم من الآيات لقيام الحجة بهما على الكفار ، ولادراكهم لهما / بحواسهم ، وتذكيراً لهم بما اختصوا به جاهلية من احترام هذا البيت وأمن جميع مَن في حرمه من كل مكروه . [٢١/ب]

وقيل المقام نفسه مشتمل على آيات وهي : إلانة الصخرة الصمّاء والغوص فيها إلى الكعبين ، وإلانة بعضها دون بعض ، وبقاؤها[٣] دون سائر آيات الأنبياء ، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة .

وقيل المراد بالمقام المناسك ونحوها ، وهو بعيد جداً .

وأما سبب بناء قريش فهو أنّ امرأة جمرتها فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت كسوتها وكانت متراكمة بعضها فوق بعض فوهنتْ حجارتها وتصدَّعتْ ثم زاد ذلك سيل عظيم دخلها ففزعت قريش وهابوا هدمها خشية عذاب يصيبهم . فبينما هم يتشاورون في ذلك أقبلتْ سفينة من الروم فانكسرت بالشعيبة – بضم الشين المعجمة – ساحل مكة قبل جده ، فذهبوا واشتروا خشبها وكان فيها نجار بناء فأتوا به لبنائها .

قيل : ولما هابوا هدمها قال الوليد : إن الله لا يُهلك من يريد الإصلاح، فارتقى على ظهرها ومعه الفأس فقال : اللّـهم إنا[٤] لا نريد إلا الإصلاح ، ثم

---

(١) في أ : لعذر .

(٢) في أ : الأماكن .

(٣) في ب : بقاؤه .

(٤) كلمة سقطت من ب .

هَدَم فلما رأوه سالما تابعوه .

ورُوي أنهم كانوا كلما أرادوا هدمها بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيراً أعظم من النسر فغرز مخاليبه[١] فيها فألقاها نحو أجياد ، فهدموها وبنوها بحجارة الوادي[٢] فرفعوها في السماء عشرين ذراع ، وقيل ثمانية عشر . وكان سبعة وعشرين ونقصوا من عرضها ستة أذرع أو سبعة أدخلوها في الحجر لنفاد نفقتهم لاتفاقهم على أنهم لا يبنونها إلا من الكسب الطيب الذي لا يَشُوبُه / مظلمة ولا مهرْ بغي ولا بيع ربًى . [٢٢/أ]

وحضر صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان ينقل معهم الحجارة وعمره خمسة وثلاثون سنة على الأصح . ولما وصلوا لمحل الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضعه حتى رَضُوا بأول داخل فكان هو صلى الله عليه وسلم فحكّموه[٣] فيه ، فوضعه بيده الكريمة .

تنبيــــه : البيت المعمور الذي أقسم الله تعالى به في كتابه هو الكعبة أو[٤] ما هي على حياله . وهو الذي في السماء السابعة . عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال : (البيت المعمور الذي في السماء على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط)[٥] .

ورُوي أنّ[٦] هذا البيت خامس خمسة عشر بيتاً ، سبعة منها في

---

(١) في ب : مخاليه .

(٢) في ب : بالحجارة التي في الوادي .

(٣) في أ : فحكّموا .

(٤) في أ : إذ .

(٥) أورده أحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٥٣ (برواية مختلفة) .

(٦) كلمة سقطت من ب .

السماء إلى العرش ، وسبعة منها إلى تُخوم الأرض ، وأعلاها الذي يلي العرش[١] البيت المعمور . لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى ، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض مَنْ يعمره كما يُعمر هذا البيت .

قال الزمخشري[٢] : اختلفوا في البيت المعمور وفي مكانه فقيل : هو[٣] البيت الذي بناه آدم أول ما نزل الأرض[٤] فرفع إلى السماء أيام الطوفان .

وقال ابن عباس والحسن : البيت المعمور هو الذي بمكة معمور بمن يطوف به .

وكان بعض السلف يقسم بالله أنه البيت المعمور . وقد يُجاب بأنه لا تنافي بين هذا وما مرّ ، لأنّ البيت المعمور يطلق بالإشتراك على الذي[٥] في السماء السابعة ، وهو الأشهر ، وعلى الكعبة .

وفي منهاج الحليمي[٦] : أنه أهبط / مع آدم صلى الله [٢٢/ب]

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) الزمخشري : هو محمود بن عمر الخوارزمي ، المشهور بجار الله . المفسر صاحب تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل . توفي سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م . انظر مصادر ترجمته كحاله : معجم المؤلفين ١٢ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) كلمة سقطت من أ .

(٤) في ب : من الأرض .

(٥) في ب : ما .

(٦) الحليمي : هو الحسين بن الحسن البخاري . توفي سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢ م . من أشهر مؤلفاته كتاب المنهاج في شعب الإيمان . انظر الزركلي : الاعلام ٢ : ٢٣٥ .

عليه وسلم[١] بيت فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك إلى زمان الغرق ، ثم رفعه الله تعالى فصار في السماء وهو الذي يدعى البيت المعمور .

ومعنى إهباط بيت معه أنّه أُهبط مقدار البيت المعمور طولاً وعرضاً وسمكاً ، ثم قيل له إبْنِ بقدره وحياله ، فكان حياله موضع الكعبة فبناها فيه . ثم قال : وأما الخيمة أي التي أنزلها الله لآدم[٢] من ياقوت الجنة ليتسلَّى بها فيجوز أن تكون أُنزلتْ وضربت في موضع الكعبة ، فلما أُمِر ببنائها فبناها كانت حول الكعبة طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رُفِعَتْ . فتتفق الأخبار ، انتهى .

وأما سبب بناء ابن الزبير – رضي الله عنهما – فهو أن يزيد بن معاوية أرسل مسلم بن عقبة مع جماعة من أهل الشام لقتال أهل المدينة ، فلمَّا فرغ من ذلك توجّه إلى مكة لابن الزبير لتخلفه عن بيعة يزيد ، فلما أشرف على الموت في أثناء الطريق ولَّى الحصين لقتال ابن الزبير بمكة . فلما قاتله بها أياماً جمع ابن الزبير أصحابه فنهض بهم إلى[٣] المسجد واستظلوا فيه بخيام عن الشمس وحجارة المنجنيق المنصوب عليهم بأبي قبيس ومقابله ، وكانت حجارته تصيب الكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها ووهنتْ حجارتها فطارت شرارة من الخيام المقابلة لما بين اليمانيين أو من بعض أهل الشام والمسجد حينئذ[٤] ضيق صغير فاحترقت الكعبة لشدة الريح مع كون بنائها مدماكاً من حجر ومدماكاً[٥] من ساج من أسفلها إلى أعلاها . فلما احترق ما

---

(١) في ب : عليه السلام .

(٢) في أ : أنزلها آدم .

(٣) في ب : فتحصن بهم في المسجد .

(٤) كلمة سقطت من أ .

(٥) هو مقياس قديم لأهل مكة – الفاسي : شفاء الغرام ١:١٥٨ هـ١ .

بينها من الساج ضعُفت حتى أن حجارتها لتتناثر من وقع الحمام عليها ، وتصدّع الحجَر الأسود حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة . ففزع لذلك أهل / مكة والشام وجاء نعي يزيد بعد حرقها بتسعة وعشرين يوماً [٢٣/أ] والحصين مستمر على حصار ابن الزبير . فأرسل ابن الزبير إليه مَن كلموه وعظّموا عليه ما أصاب الكعبة وأنه من رميهم بالنفط ، فأنكر . ثم لم يزالوا به حتى ترك ورحل في ربيع الآخر سنة أربع وستين (٦٤هـ / ٦٨٣ م) فدعى ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم فاستشارهم في هدمها ، فأشار عليه القليل من الناس وأبى الكثير ، وكان أشدهم إباء عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – وقال : دعها على ما أقرَّها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أخشى أن يأتي بعدك مَن يهدمها فلا تزال تُهدم وتُبنى فيتهاون الناس بحرمتها ، ولكن ارقعها . فقال ابن الزبير : والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أمه وأبيه فكيف أرقع بيت الله ؟ واستقر رأيه على هدمها .

وكان يحب أن يكون هو الذي يردّها على قواعد إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – لِما بلَغَهُ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم لعائشة فأراد أن يبنيها بالورس فقيل له[1] : إنه يذهب فابْنِها بالقصَّة وإن قَصَّة[2] صَنعَاء أجود[3] . فأرسل بأربعمائة دينار لشرائها وكرائها ، ثم سأل رجالاً من أهل العلم بمكة : من أين أخذتْ قريش حجارتها ؟ فأخبروه بمقامها فنقل منها ما يحتاجه ، وكان قد عزل من حجارة البيت ما يصلُح أن يُعاد فيه .

---

(١) سقط الجار والمجرور من أ .

(٢) في أ : فصّة .

(٣) في ب : أجودها . وورد النص عند الأزرقي : أخبار مكة ١ : ٢٠٥ .

وعند إرادته هَدْمها خرج أهل مكة إلى منى وأقاموا بها ثلاثا خوفاً أن يصيبهم العذاب بهدمها(١) . فأمر ابن الزبير بهدمها فلم يجتريء على ذلك أحد ، فعلاها بنفسه وهدمها بمعول ورمى حجارتها ، فلما رأوا أنه لم يصبْه شيء / صعدوا وهدموها ، وأرقى ابن الزبير عبيداً حبوشاً يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشي الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)(٢) .

[٢٣/ب]

ولما هدموها وحفروا اتبعوا قواعد إبراهيم مِن نحو الحجر فلم يروها فشق عليه ، فأمعنوا حتى رأوْها فنزل فكشفوا له عنها فأرادوا تحريكها فوجدوها مرتبطاً بعضها ببعض . فأحضر الأشراف حتى رأوْها فأشهدهم على ذلك .

قال عطاء : وكان طولها ثمانية عشر ذراعاً فزاد ابن الزبير في طولها عشرة أذرع . وقال غيره : طولها عشرون ذراعاً(٣) والزيادة تسعة أذرع . وأجيب باحتمال أنّ الراوي جبر الكسر .

ولما بناه جعل له بابيْن لاصقين بالأرض ليدخل الناس من باب ويخرجوا من آخر فلا يزدحمون .

وأما بناء الحجاج لبعضها فسببه أنه لما قتل ابن الزبير كتب الحجاج لعبدالملك يخبره بزيادة ابن الزبير على بناء قريش فأرسل يأمره ببقاء ما زاده في الطول ورد ما زاد فيه من الحجر إلى حاله الذي كان عليه في زمن النبي

---

(١) في ب : عذاب لهدمها .

(٢) البخاري : الصحيح ٧ : ١٥٨ .

(٣) كلمة سقطت من ب .

صلى الله عليه وسلم وسدّ بابه الذي فتحه . ففعل الحجاج ذلك فهدم جدار الحجر وأخرج منه ما أدخله ابن الزبير وبنى سقفها الذي يلي ذلك الجدار ورفع بابها الشرقي وسدّ بابها الغربي ولم يُغيّر منها سوى ذلك ظناً منه كعبدالملك أنه ردها على[1] ما كانت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو صورتها الموجودة إلى الآن ، وهو الصواب .

لكن بعد ذلك ندم عبدالملك على إذْنِه للحجاج في ذلك ولعنه لأن الحارث لما وفَد عليه في خلافته / فقال له عبدالملك : ما أظن أبا خبيب – يعني ابن الزبير – سمع من عائشة ما كان يزعم أنّه سمِعَه منها أي وهو روايتها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : (لولا حدثان كفر قريش وجاهليتهم وخوف الفتنة عليهم لهَدَمها صلى الله عليه وسلم وردّها إلى بناء إبراهيم فجعل لها بابين لاطئَيْن بالأرض وأدخل فيها من الحجر ستة أذرع[2] أو سبعة أذرع) . [٢٤/أ]

فقال الحارث لعبدالملك : بَلَى أنا سمعتُ ذلك من عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم – وكان الحارث مُصَدّقاً لاَ يكذب – فقال عبدالملك : أنتَ سمعتَها تقول ذلك ؟ قال : نعم ، فنكث ساعةً بعصاه . وظهر[3] له أنّ ما فعله ابن الزبير هو الصواب وقال : وددتُ أنّني[4] تركتُه وما عمل » .

ومن ثم أراد هارون أو أبوه أو جده أن يهدم ما فعله الحجاج وأن

---

(١) في أ : إلى .

(٢) كلمة سقطت من ب .

(٣) في ب : أظهر .

(٤) في أ : أن .

يعيدها إلى بناء ابن الزبير ، لكن عارضه مالك – رضي الله عنه – وقال له : نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت مَلْعَبة للملوك ، لا يشاء أحد منهم هدمه إلاّ نقضه وبناه فتذهب هيبته مِن صدور الناس .

وهو موافق لابن عباس – رضي الله عنهما – [في ذلك لأنه قال ذلك بحروفه لابن الزبير لما أراد هدمها][1] لما مرّ .

ولمّا قال مالك للخليفة ذلك ترك التعرّض لها واستمرت على ما هي عليه اليوم . وكان في ذلك أعظم احترام وأبلغ هيبة ببقاء البيت على حاله وعدم تسوُّر أحد عليه من الملوك وغيرهم بما يخالف ذلك . وإنما الذي تسوروا عليه هو إصلاح ما وقع فيه بقدر الحاجة لا غير وتجديد ما لا يُخلّ / بحرمته من إبدال بابه وميزابه وعتبته ونحوها المرّة بعد المرة . فلله سبحانه الحمد على ذلك . بل في نفوس عامة المسلمين اليوم من عظمة الكعبة وجلالتها ما قُضي في هذه القضية السابقة في الخطبة بأنهم أرادوا رجْم مَن يُريد إصلاح شيء ضروري في سقفها لولا دفع الله تعالى ذلك حتى أُصلِح ما في السقف من الإختلال . أعاذنا الله من كل فتنة ومحنة بمنّه وكرمه آمين .

[٢٤/ب]

تنبيــــه : عَدّ العلماء من جملة الآيات البينات المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ [2] بَقاء بنائه الذي بناه ابن الزبير إلى الآن ولا يبقى غيره هذه المدة الطويلة على ما يذكره المهندسون لأنّ الأرياح والأمطار إذا تواترتْ على مكان خرب ، والكعبة المعظمة ما زالت الرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليها مُنذُ بُنيت وإلى تاريخه ، ولم يحدث بحمد الله تعالى تغيير في بنائها .

---

(١) ما بين عاقفتين ساقط من ب .

(٢) القرآن : آل عمران آية ٢٧ .

ورُوي أنّ الحجاج لما نصب المنجنيق على أبي قبيس بالحجارة والنيران واشتعلت أستار الكعبة بالنار جاءَتْ سحابة من نحو جدة يُسمع فيها الرعد ويُرَى البرق فمطَرَتْ فما جاوز مطرها الكعبة والمطاف فأطْفأتْ النار وأرسل الله عليهم صاعقة فأحرقت منجنيقهم فتداركوه .

قال عكرمة : وأحسب أنها أحرقت تحته أربعة رجال . فقال الحجاج : لا يهولنَّكمْ هذا فإنَّها أرضُ صواعق ، فأرسل الله صاعقة أخرى فأحرقتْ المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلاً . وذلك في سنة ثلاث وسبعين (٧٣هـ/٦٩٢م) أيام عبد الملك . وسيأتي أنّ الحجاج / ما قصد التسليط على البيت وإنما تحصّن به ابن الزبير ففعل ذلك لإخراجه . [٢٥/أ]

تتمة : صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال : (يخرب الكعبة[١] ذو السويقتين من الحبشة)[٢] أي الذي[٣] له ساقان دقيقان ، فالتصغير لذلك ، وأنه أَفْحَجُ الساقين ، وهو بفاءٍ فمهملة فجيم – من يتقاربُ صدراً قدميْه ويتباعدُ عَقِبَاهُ وتنفرج ساقاهُ . وورد أنه لا يستخرج كنزها إلاّ هو ، وأنه أزرق العينين ، أفطَسُ الأنف ، كبير البطن ، وأنه وأصحابه ينقضونها حجراً حجراً ، ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر .

تنبيه : هذا الهدم يكون في زمن عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين فيأتي إليه[٤] الصريخ فيُبعَث اليه . قاله الحليمي

---

(١) في ب : البيت .

(٢) البخاري : الصحيح ٧ : ١٥٨ .

(٣) في ب : أي لأن .

(٤) سقط الجار والمجرور من أ .

. وقال غيره : بل يكون بعد موته ، وبعد رفع القرآن . وصحّحه بعض المتأخرين ، ويُؤيّده حديث البخاري : (ليُحَجَنّ البيتُ وليُعتمَرَنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج) [١] فإن قلتَ : هل يمكن الجمع بين القولين بتقدير صحتهما ؟ قلتُ : يمكن ، إذ يحتمل أنّه يُهدم بَعضُه[٢] في زمن عيسى فيُبْعَث إليه فيهرب ، ثم بعد موته ورفع القرآن يعود ويكمل هدمه . إشارة إلى[٣] رفع معالم الدين من أصلها وأنّه لم يبق في الأرض منها بقية أصلاً ، بل لم يبق[٤] على ظهرها مَن يقول : الله الله . ولذا جاء في رواية إنه لا يُعَمَّر بعد ذلك أبداً .

وفي أخرى عن علي – كرم الله وجهه – قال الله تعالى إذا أردتُ أن أخرب الدنيا بدأتُ ببيتي فخربْتُه ثم أخرب الدنيا على إثره .

قال ابن رجب الحنبلي : فدل خبر النبي صلى الله عليه وسلم على أن هذا البيت / يُحَجّ ويُعْتَمَر بعد خروج يأجوج ومأجوج ، ولا يزال كذاك حتى تخربه الحبشة وتلقي حجارته في البحر ، وذلك بعد أن يبعث ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين كلهم ، فلا يبقى في الأرض مؤمن ، ويُسْرَى بالقرآن من الصدور والمصاحف ، فلا يبقى في الأرض قرآن ولا إيمان ولا شيء من الخير ، فبعد ذلك تقوم الساعة . انتهى . [٢٥/ب]

وعُلِم مما نُقِل[٥] عن علي – كرم الله وجهه – أنّ هذا التخريب لا

---

(١) البخاري : الصحيح ٧ : ١٥٩ .

(٢) كلمة سقطت من ب .

(٣) سقط حرف الجر من أ .

(٤) في أ : لم يبق في الأرض .

(٥) في ب : نقله .

ينافي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ [١] ولا الخبر الصحيح (إني أُحِلَّتْ لي مكة ساعة من نهار ، ثم عادت حرمتها إلى يوم القيامة)[٢] لمَا تقدّم [٣] أنّ تخريبه مقدمة لخراب الدنيا . فكونه آمناً محترماً إنّما هو قبل ذلك ، على أنّ الحكم بالحرمة والأمن باقٍ إلى يوم القيامة . وكذا وجودهما بالفعل لكن باعتبار أغلب أوقاته وإلاّ فكم وقع فيه مِن قتال وإخافةٍ لأهله جاهلية وإسلاماً في زمن ابن الزبير وبعده إلى زمننا ، ولو لم يكن من ذلك إلاّ وقعة القرامطة سنة عشر وثلاثمائة (٣١٠هـ /٩٢٣م) قدم سلمان أبو طاهر القرمطي في عسكرٍ يوم التروية فنهبوا أموال الحاج وقتلوهم في المسجد وفي البيت الحرام ، وقلَع الحجر الأسود وأرسلَه إلى بلاد الحسا والقطيف وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن البقية في المسجد بلا غسل ولا صلاة ، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دُور مكة. ثم رُدّ الحجر بعد مُكثه عندهم اثنين وعشرين سنة.

وإنما حرست الكعبة من الفيل دون الحجاج ونحوه / لأن هذا بعد استقرار الدين فاستغني عن آيات تأسيسه وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجُعِل المنع آية لتأسيسها . [٢٦/أ]

والجواب : بأنَّ الحجاج ما قصد التسليط[٤] على البيت بل الاحتيال لإخراج ابن الزبير ، فيه نظر على أنه منتقض بفعل هذا الملحد القرمطي فإنه

---

(١) القرآن : العنكبوت آية ٦٧ .

(٢) البخاري : الصحيح ٥ : ٩٤ .

(٣) في ب : تقرر .

(٤) في أ : التسلط .

لم يقصد إلا التسلّط على البيت وأهله .

وأجيب أيضاً بأنّ ما وقع فيه في الإسلام من القتال ونهب الأموال إنما كان بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم : (ولن يستحلّ هذا البيت إلا أهلُه)[(١)] فوقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم [(٢)] وهو مِن علامات نبوته . وإثبات الأهلية والإسلام لأولئك الفجرة الذين جَسَروا على حُرمة البيت إنما هو باعتبار الغالب فلا ينافي كفر الحجاج عند طائفة من العلماء ، وهو الصواب إن صح ما نُقِل عنه أنه رأى جماعة محدقين بالحجرة الكريمة[(٣)] النبوية على مشرّفها أفضل الصلاة والسلام لزيارته فقال : ما بالُ هؤلاء وهل يطوفون إلاّ بعظام بالية . وحُكي عنه قبائح أخرى نحو ذلك . ولا ينافي أيضاً الحكم على القرامطة بالكفر والإلحاد لأنهم من الإسماعيلية الذين هم أقبح كفراً وأسْخَف عقلاً من كثير[(٤)] من الملل الفاسدة لاستحلالهم مع شناعة رأيهم والحادهم ونِكاح المحارم ومثابرتهم عليه .

واعلم أن الصحيح الذي صرَحَتْ به الأحاديث الصحيحة أنّ صيرورة مكة وحرمها آمِناً من الجبابرة والخسف ونحوهما كان منذ خلق الله السموات والأرض ، وإبراهيم صلى الله عليه وسلم إنما أظهر حرمتها بسؤاله المذكور في القرآن لما / اندرسَ البيت من الطوفان ونسي حكمه وهُجر ، أو أنه لم يسْأل إلاّ أمْناً مخصوصاً كالأمن من الجدْب والقَحْط أي القاتل ، وإلاّ [٢٦/ب]

---

(١) مسند أحمد ٢ : ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١ .

(٢) سقطت التصلية من أ .

(٣) كلمة سقطت من ب .

(٤) سقط الجار والمجرور من ب .

فكم وقع بها من جدب[١] و قحط[٢] لا يطاق .

تنبيه آخـــر : صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ المسجد الحرام أول مسجد وُضع في الأرض وأن المسجد الأقصى وضع بعده بأربعين سنة ، ولا ينافيه ما صحّ أنّ سُليمان بنى الأقصى مع أنّ بينه وبين إبراهيم صلى الله عليهما وسلم الباني للمسجد الحرام بنص القرآن أكثر مِن ألف سنة . لأن سليمان مجدّد لا منشيء ، وكذا أبوه داود صلى الله عليهما وسلم . والمنشيء إما إبراهيم وإما يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهم وسلم كما ورد . ولا إشكال حينئذ . وعلى أنّ آدم صلى الله عليه وسلم بنى الكعبة يحتمل أنه أوصى[٣] بعض أولاده بنَوْا الأقصى بعدها بأربعين سنة ، وعلى أن الملائكة بنوها ويحتمل أنهم بنوها أولاً ثم الأقصى بعد أربعين[٤] .

وعلى هذه الأقاويل كلها يكون قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ [٥] على ظاهره ، وهو ما عليه جمهور العلماء وصحّحه النووي . وقيل : كان قبله بيوت كثيرة لكنه أول بيت وُضع بقيد البركة والهدى والرحمة .

ونقل ذلك[٦] عن علي ، كرّم الله وجهه وأعاد علينا من بركات علومه

---

(١) كلمة سقطت من أ .

(٢) كلمة سقطت من ب .

(٣) في ب : أو .

(٤) في ب : الأربعين .

(٥) القرآن : آل عمران آية ٩٦ .

(٦) كلمة سقطت من ب .

ومعارفه ، اذ هو مدينتها وكذلك من بركات[١] وعلوم ومعارف الضجيعين ، وثالثهما ذي النورين ، وبقية العشرة المبشرين بالجنة ، وسائر الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، والعلماء العاملين ، والأولياء والصالحين / [٢٧/أ] من أهل السموات وأهل الأرضين ، يا رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك أفضل صلاة وأفضل سلام[٢] وأفضل بركة على أفضل خلقك محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، عدد معلوماتك ، ومداد كلماتك ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال مؤلفه سيدنا ومولانا شيخ مشائخ الإسلام ملك العلماء الأعلام ، خادم العلم الشريف ، جمال بلد الله الحرام المطهر المنيف ، أحمد بن حجر الأنصاري الشافعي الهيتمي ، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة بمنه وكرمه آمين : فرغت من كتابته يوم الخميس خامس شهر ربيع الثاني سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩هـ / ١٥٥٢م) أحسن الله ختامها في خير وعافية ، آمين[٣] .

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) كلمتان سقطتا من أ .

(٣) كامل الفقرة الأخيرة سقطت من أ .

الملحق رقم (٢)

تحقيق نص متعلّق بالقهوة
وظهورها بمكة المكرمة وأحكامها

كتبه

ابن حجر الهيتمي المكي

ضمن معجمه المعروف بالإجازة

المقدمة

خلال مطالعتي ودراستي لمعجم ابن حجر المسمّى بالإجازة وجدتُ نصاً هاماً متعلّقاً بالقهوة ، ونظراً لأهمية هذا النص من الناحية الحضارية وأنه من النصوص الطويلة التي كتبَها المؤلفون المكيون في الموضوع ، لذا أردت تحقيقه ومقابلته على النسخ الثلاثة التي عرفتها من كتاب الإجازة وهي :

١ - نسخة ألمانيا مكتبة برلين برقم ١٧٤ .

وهي نسخة أ (ورقة ١٠٥ أ - ١٠٩ ب)

٢ - نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٣٤ حديث تيمور .

وهي نسخة ب (ورقة ٧٩ أ - ٨١ ب)

٣ - نسخة اليمن مكتبة الأحقاف . مجموعة آل يحي مجاميع رقم ١

وهي نسخة ج (ورقة ٩٤ أ - ٩٨ ب) .

وقد ظهرت القهوة أولاً باليمن ثم بالحجاز في أوائل القرن العاشر الهجري أو قبله بقليل ، واختلف الناس في شأنها : فقد قال الغزي في الكواكب السائرة متحدثاً عن القهوة : « ثم انتشرت في اليمن ثم إلى بلاد الحجاز ثم إلى الشام ومصر ثم سائر البلاد . واختلف العلماء في أوائل القرن العاشر في القهوة وفي أمرها حتى ذهب إلى تحريمها جماعة ترجّح عندهم أنها مضّرة ، وآخر من ذهب إليه بالشام والد شيخنا الشيخ شهاب الدين العيثاوي ومن الحنفية بها القطب ابن سلطان وبمصر الشيخ أحمد بن أحمد ابن عبد الحق السنباطي تبعاً لأبيه . والأكثرون ذهبوا إلى أنها مباحة ، وقد انعقد الإجماع بعد من ذكرناه على ذلك . وأما ما ينضمّ إليها مِن المحرمات فلا شُبهة في تحريمه ولا يتعدّى تحريمه إلى تحريمها حيث هي مُباحة في

نفسها »[١] .

وقد ذُكرتْ القهوة وأخبار ظهورها في مكة عند المؤرخين فكان من أقدمهم :

العز بن فهد في كتابه بلوغ القرى – في أخبار سنة ٩١٤هـ[٢] / ١٥٠٨م . وفي أخبار سنة ٩١٧هـ[٣] / ١٥١١م وأخبار سنة ٩١٨هـ[٤] / ١٥١٢م .

وذكرها جار الله بن فهد في كتابه نيل المنى في أخبار السنوات ٩٢٤هـ / ١٥١٨م[٥] وسنة ٩٢٦هـ / ١٥١٩ م[٦] وسنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٥م[٧].

كما ذُكرت القهوة في أخبار مكة من كتاب الدرر الفرائد المنظمة للجزيري [٨] .

وألف المكيون في موضوع القهوة تآليف منها :

كتاب « قمع الشهوات ، في ردّ كذب ناظم القهوات » الذي ألّفه جار الله بن فهد سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧م وذكره في كتابه نيل المنى[٩] .

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة ١ : ١١٤ .

(٢) العز بن فهد : بلوغ القرى ورقة ١٨٣ ب .

(٣) العز بن فهد : المصدر السابق ورقة ١٩٧ أ ، ٢٠١ أ.

(٤) العز بن فهد : المصدر السابق ورقة ٢١٠ أ.

(٥) جار الله بن فهد : نيل المنى ورقة ٦ أ .

(٦) نفس المصدر ورقة ٦٣ ب .

(٧) نفس المصدر ورقة ٨٩ ب .

(٨) الجزيري : الدرر الفرائد المنظمة ٢ : ١٠١٨ – ١٠٢٥ .

(٩) جار الله بن فهد : نيل المنى ورقة ١٧٧ أ . وهو كتاب لم نعرف منه نسخة.

كما ألف عبد القادر الجزيري كتابين في موضوع القهوة هما :

- كتاب « عمدة الصفوة في حلّ القهوة » . وقد كتبه قبل سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م [١] .

- ولخّصه في رسالة عنوانها : « تلخيص عمدة الصفوة ، في حلِ القهوة »[٢] .

ويعتبر ما كتبه ابن حجر عن القهوة في معجمه المعروف بالإجازة -سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م - نصاً هاماً للتاريخ الحضاري بمكة . لذلك رأيتُ من المفيد أن أحقّقه ليكون بين أيدي الباحثين في التاريخ المكي .

---

(١) وصف الدكتور الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون ص ٢٣١ - ٢٣٣ محتوى هذا الكتاب اعتماداً على نسخة محفوظة في مكتبة باريس برقم ٤٥٩٠ ، وذكر أن هذا الكتاب ترجمه أحد المستشرقين قديماً وطبعه في سنة ١٨٢٦م وعلق على هذه الترجمة بأنها ترجمة رديئة .

(٢) من هذه الرسالة نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم ١٩٤٤ ولعلها هي النسخة التي ذكرها الزركلي في الاعلام ٤ : ٤٤ وقال إنها في خزانة محمد سرور الصبان بجدة .

نص القهوة

/ ولقد وقع لي بمكة المشرفة في قريب الخمسين وتسعمائة أننا [١٠٥/أ] حضرنا وليمة عرس فأُتي[١] بالشراب المسمى الآن بالقهوة ليشربه الناس على العادة ، فقال بعض أكابر المفتيين من أعيان بيوتها : القهوة حرام مسكرة نَجِسَة[٢]أشرّ من الخمر، فقلتُ له : حمى الله القاضي من هذا التعصب الذي لا يقول بمثله سوقي[٣] فضلاً[٤] عن مفت ، فضلاً عن مسنّ مضى عليه وهو يدرّس ويفتي نحو الخمسين سنة بمكة المشرفة بحضرة من يردها من أكابر العلماء من سائر المذاهب ، وكيف يصدر منك مثل ذلك وهو ضروريّ البطلان . فصمّم على هذا العناد الضروري البطلان وقال : هذا اعتقادي فيها . وصممتُ على الإنكار والإغلاظ عليه وقلتُ له : هذا أدل دليل على عدم الإهتداء بنور العلم وعلى أسْوَءِ الحرمان والقطيعة ، إذ من وصل عناده إلى إنكار الضروريات كيف يتأهّل للكلام معه[٥] في حالة من الحالات . فقال : لستُ مبتدعاً لهذه[٦] المقالة ، وإنما سبقني إليها جماعة من علماء المذاهب[٧] لما عُقِد لها[٨] مجلس بالمسجد الحرام قلتُ : نبحث معك في هذه الواقعة ونبيّن لك أنه

---

(١) في ب : فأوتي .

(٢) في أ : بخمسة .

(٣) في ب : صوفي .

(٤) كلمة سقطت من أ .

(٥) كلمة سقطت من ب .

(٦) في أ : لهذا .

(٧) في ب : المذهب .

(٨) سقط الجار والمجرور من ب .

لا دليل لك فيها بوجه من الوجوه ، فقال : ما بيان ذلك ؟ قلت / أما أولاً فأهل [١٠٥/ب]
ذلك المجلس اختلفوا اختلافاً كثيراً ولم ينفصلوا عن كلمة واحدة وإنما كان
بعضهم يقول بالحلّ وبعضهم بالحرمة وانفصلوا على ذلك ، لكن الأمير الذي
جمعهم لحضور(١) ذلك المجلس وهو أمين عمارة باب إبراهيم المسمى
بخايرباك(٢) المعمار من أمراء الجراكسة الذي أرسله السلطان الغوري لعمارة
باب إبراهيم كان له تعصب عليها في الباطن فأعجبه مبادرة أولئك البعض إلى
القول بالحرمة فبالغ في تعزير بعض شَرَبَتِها وفي زجر الناس عنها ولم
ينفعه ذلك فإن الناس كان أكثرهم خلواً عنها . فلما وقع هذا في(٣) المجلس وما
ترتب عليه مما ذكرناه كان ذلك(٤) سبباً لتزاحم كثيرين(٥) على شربها ولم تزدد
إلاّ ظهوراً ، ثم لا زال المنكرون وذلك الأمير يتعرضون للإنكار على أهلها
وإهانتهم وهي مع ذلك لا تزداد إلاّ ظهوراً ولا يزداد(٦) شربتها إلاّ كَثْرة وهكذا
في كل زمان إلى قريب من هذه الأزمنة . ومما زاد به تشنيع المنكرين أنهم
كتبوا أسئلة إلى علماء مصر وذكروا في تلك الأسئلة أنها مسكرة فما وسع
العلماء إلاّ أنْ يُجيبوا على ما في الأسئلة فكتبوا بالحرمة والنجاسة والحدّ

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) في ب جان بك ، والصواب أن خائر بك المعمار الذي كان معمار السلطان الغوري والمعروف بخير بك العلائي المعمار بمكة سنة ٩١٧ هـ /١٥١١م . انظر : العز بن فهد : بلوغ القرى ورقة ١٩٨ أ - ١٩٨ ب ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ٥ : ٤ ؛ الطبري : الأرج المسكي ص ١٩٨ .

(٣) سقط حرف الجر من أ و ب .

(٤) كلمة سقطت من ب و ج .

(٥) في ب : كثير .

(٦) في أ و ب : تزاد .

وبالغوا في الزجر عنها ، وكل ذلك لكونهم معذورين بعدم معرفتها ، فإنّها[١] إذ ذاك لم تكن ظهرت بمصر فكانوا[٢] جاهلين بحقيقتها فقلدوا مرسل[٣] الأسئلة وكتبوا على ما فيها كما هو القاعدة أن المفتي أسير السؤال هذا مع علمه بأنّ ما في السؤال خلاف الواقع ، فكيف وهم لا يعلمون / القهوة [١٠٦/أ] ولا يحيطون بشيء من أوصافها وقد قال الأئمة : لو رُفِع لمفتٍ سؤال[٤] وهو يعلم أنّ باطن الأمر خلاف ما في السؤال كَتَب على ما في[٥] السؤال لا على ما يعرفُه من باطن الأمر لما تقرر أنه أسير لما في السؤال مُتَقيّد به لا يخرج عنه . وإنْ علم أنّ الواقع خلافه .

فلما جاءت تلك المسألة[٦] من مصر[٧] وعليها خطوط علمائها[٨] ازداد إنكار الأمير ومَن أنكروا موافقةً له[٩] ثم خمدت تلك النيران وانطفأت وظهر الحق[١٠] إلى أن لم يَبْقَ معاند ولا منكر يُعتَدّ به .

وأما ثانياً فالحامل للمنكرين على إنكارهم وتصميمهم على القول بالحرمة أنّ جماعة من السفهاء المعروفين بالمجون والخلاعة ، والاستهتار

---

(١) في ج : وبأنها .

(٢) ثلاث كلمات ممحوة من أ .

(٣) في ب : مرسلة .

(٤) في ج : لو رُفعت إلى مفت بسوال .

(٥) كلمتان سقطتا من ب .

(٦) في ب و ج : الأسئلة .

(٧) سقط الجار والمجرور من ب .

(٨) في أ : علمائنا .

(٩) سقط الجار والمجرور من ب .

(١٠) في أ : الحلق .

بأُمور الدين والمجازفة[١] والرّقاعة ، أُحْضِروا في ذلك المجلس الذي عقده الأمير بالمسجد الحرام ثم قالوا : إننا كنا نشربها وقد تُبْنا وحَسُنَتْ أحوالنا ونحن نشهد الآن أنها مسكرة كالخمر . فأخذ المنكرون[٢] بشهادة هؤلاء ورَتَّبوا على شرب القهوة ما رتَّبَه العلماء على شرب الخمر وجعلوا ذلك عمدتهم في كتابتهم في أسئلتهم السابقة إنها مسكرة ، واستمر كثير من الناس على تصديق هذه الشهادة الباطلة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة . حتى ظهر الشيخ[٣] الإمام العالم[٤] الحجة الشهاب ابن[٥] شيخنا الثاني وهو الزيني عبد الحق السابق ذكره[٦] فشهد عنده جماعة من أولئك السفهاء كما ذكر ، فمال الشيخ إلى شهادتهم وعمل بمقتضاها . فحضّ الناس وهو في مجلس وعظه بالجامع الأزهر وكان يحضر مجلس وعظه ألوف مُؤَلّفة من العوام على اختلاف طبقاتهم وجهلهم وغباوتهم على أن يذهبوا إلى بيوت شَرَبَتِها ويبالغوا[٧] من الإنكار عليهم ، فخرجوا كالأُسدِ الضارية فدخلوا بيوتَها[٨] وضربوا أهلها ونهبوا أموالهم وكسروا

---

(١) كلمة سقطت من ج .

(٢) في ج : فاحذوا المنكرين .

(٣) في أ : شيخ .

(٤) كلمة سقطت من ج .

(٥) كلمة سقطت من ج .

(٦) وهو الشيخ عبد الحق السنباطي وهو من شيوخ ابن حجر المكي . انظر ترجمته في الرسالة ص ٣٠ - ٣٢ .

(٧) في أ و ب : يبالغون .

(٨) في ج : بيوتا .

أوانيهم[١] . وكان يوماً مشهوداً[٢] بحيث أن الباشا نائب السلطان بمصر لما بلغه ذلك الأمر انزعج له [٣] انزعاجاً كثيراً فقال له [٤] بعض أعداء الشيخ الشهاب المذكور : يا مولانا اخش على نفسك من هذا الشيخ[٥] الواعظ فإنه لو أَمَر العوام[٦] بك لهدموا قلعتك حجراً حجراً ولم / تمنعهم حصانتها العجيبة [١٠٦/ب] ولا كثرة عساكر مولانا السلطان – عز نصره – عما يريدونه بك[٧] فإن عوام مصر[٨] إذا أطبقوا على شيء لم يقدر عسكر مصر على منعهم[٩] ، فأرسل الباشاه لوقته إلى الشيخ مَن قال له : إلزَمْ بيتك فلا تعظ بعد اليوم ولا ترتق المنبر للخطابة ولا تُفْتِ ولا تدرّس ولا تَؤمّ بالناس . وكان الشيخ إذ ذاك متلبّساً بخمس وظائف دينية عليّة جداً لأنه انتهتْ إليه رئاسة العلم والحفظ وحسن الوعظ وسرعة الاستحضار وانتفاع أكثر العامة به انتفاعاً ظاهراً ، وتلك الوظائف التي كان متلبّساً بها هي الوعظ والخطابة والإفتاء والتدريس والإمامة كلّ ذلك بالجامع الأزهر الذي ليس على وجه الأرض بقعة جمعت[١٠] من علماء الأمة وصلحائهم والجهد في طلب العلم وتعلّمه وتعليمه والدأب في

---

(١) في ج : آنيتهم .
(٢) في ج : مشهوراً .
(٣) سقط الجار والمجرور من ج .
(٤) سقط الجار والمجرور من ب .
(٥) كلمة سقطت من ج .
(٦) في ب : القوم .
(٧) سقط الجار والمجرور من ج .
(٨) في ج : المصر .
(٩) في ب : منعه .
(١٠) كلمة سقطت من أ .

ذلك الليل والنهار بحيث أَجْمَعوا على أنه لم يقع منذ أزمان وإلى الآن أنه خلا عن علم أو ذكر ساعة من ليل أو نهار ، وفيه من عدّة الدروس[(١)] والمصنفين والمفتين والعلماء العاملين ما يعجز الوصف عن الإحاطة بهم[(٢)] ، ومَن تأمّل الضوء اللامع للحافظ السخاوي أحاط ببعض ما ذكرتُه .

ولما وقع لأهل القهوة ما وقع ، وعلموا أنّ الباشاه تغيّر على الشيخ ومنَعَه من تلك الوظائف العليّة وأمره بملازمة بيته اجتمع جماعة من أهل اليَمَن والحِجاز وغيرهما وخرجوا في أزقّة مصر[(٣)] ينشدون ويبالغون في التضرع بالدعاء على مَن أفتى بحرمة القهوة وأمر أن يُفْعَل بأهْلها[(٤)] ما فعل ، وصار لهم تخشع وأصوات مطربة ، ومن جملة إنشادهم الغارة[(٥)] « يا سيّد الكونيْن » وداموا على ذلك مدة وعظم سرورهم بمنع الشيخ من وظائفه الخمسة السابقة وصاروا يتحجون ويقولون : هذا من بركة القهوة .

قيل سبَب اشتهارها وأنه ما رام / أحد[(٦)] إخمادها إلاّ عوجل[(٧)] [١٠٧/أ] بالعقاب ، وازدادت ظهورا وانتشاراً أن بعض أولياء اليمن لما رأى فيها إعانة عظيمة على السهر وتنشيطاً للفقراء على السماع والذكر وإدَامَة ذلك الليالي المتعددة وهم لا يزدادون إلاّ اجتهاداً في الأذكار والقراءة[(٨)]

---

(١) في ب : الدرس .
(٢) في أ : بـه .
(٣) كلمة سقطت من ب .
(٤) كلمة سقطت من ب .
(٥) في أ : الفارسة .
(٦) كلمة سقطت من ب .
(٧) في ب : عولج .
(٨) كلمة سقطت من ج .

وغيرهما[١] مما هو معروف من طرائقهم دعا الله تعالى[٢] في حال مناجاته[٣] أنْ[٤] يُظهِرها ويمنع معانديها[٥] . فتُقُبِّل منه بشهادة الواقع فإنه ورد إلى مكة مراسيم سلطانية بمنع شربها وغلق محالّها ومنْع طبخها وشددوا[٦] في ذلك وتكرر مرات فيُمْتَثَل[٧] ذلك مدة قصيرة ثم تنطفِئُ نارُه وتَظْهَر نارَهَا ويَعود الناس إليها أكثر ما كانوا حتى أنه[٨] بلغني أن حاملي[٩] المراسيم إذا خَلَوْا طلبوها وشربوها وقالوا لأهلها إذا ذهبنا افعَلُوا ما شئتم . بل بلغنا أنها ظهرت[١٠] ببلاد مولانا السلطان[١١] - عز نصره - ظهوراً تاماً وأنه ورد الأمر من حضرته بمَنْعها ورمْي مادتها التي تُطْبَخ منها[١٢] في البحر فمنع الناس منها ورُمِيَ [١٣] من ذلك في البحر ما يساوي مالاً كثيراً . ثم بعد ذلك برز الأمر بأنَّ ما رُمِيَ في البحر يُغْرَم ثمنه من خزانة السلطان وبأنه لا يُتَعَرَّض لأهلها .

---

(١) في ج : وغيرها .

(٢) كلمة سقطت من ب .

(٣) في ب : مناجاتهم .

(٤) في أ و ج : أنه .

(٥) في ج : معاندها .

(٦) في ب : شدّد .

(٧) في ب : فيتمثل .

(٨) كلمة سقطت من ب .

(٩) في ب : حامل .

(١٠) في ب : أنه ظهر .

(١١) هو السلطان سليمان القانوني العثماني .

(١٢) في أ : منه .

(١٣) في أ : وأرمي .

والحاصل أنها لا تزداد إلاَّ ظهوراً وأن المنكرين لها اعتمدوا على شهادة مَنْ لا يجوز الإعتماد على شهادته . وقد صرَّح جماعة من متأخري أئمتنا منهم[١] الإمام المجتهد التقي السبكي بأنّ شرط / قبول الشهادة [١٠٧/ب] أن لا تُخالف أمراً قطعياً ، وشهادة أولئك خالفتْ أمراً قطعياً بل ضرورياً ، لأنّ الأمة الآن اجتمعتْ على أنه ليس فيها إسكار ولا تخدير ولا تنويم [٢] ولا إفساد للعقل ولا تنويم [٣] . وكل عاقل قاضٍ بذلك باعتبار ما يشاهده من شَرَبَتِها . وأما باعتبار ما سبق فكان للعلماء المنكرين لها نوع عذر لأنه لم تثبت عندهم أحوال شاربيها عقب شربها .

وأما الآن فقد انكشف الغطاء وزال الشكّ ولم يبْقَ أدنى ريبة أنها سالمة عن جميع أسباب التحريم من الإسكار والتخدير والتنويم والإفساد .

وأما تضرُّرُ بعض الناس بشربها وهم أصحاب السوداء فذلك لا يقتضي حرمتها بل ولا ذَمَّها لأنّ العسل شفاء بالنّص ، وقد صرح الغزالي وغيره بأنه يحرم على المحرور[٤] استعماله[٥] لأنّه يضرّه باعتبارِ طبعِهِ وإن كان هو[٦] في نفسه شفاء ودواء لسائر الأمراض لكن بشرط صدق النية . ومِن ثَمّ لما وصفه صلى الله عليه وسلم لمن شكى بطن أَخِيه فاستعمله فلم ينجح[٧] فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (صدق الله وكذب

---

(١) في أ : هم .
(٢) كلمتان سقطتا من ج .
(٣) كلمتان سقطتا من أ و ب .
(٤) كذا في أ ، وفي ب و ج : المجرور .
(٥) كلمة سقطت من ب .
(٦) كلمة سقطت من أ و ب ،
(٧) وردت الجملة في ج : فلم ينجع فشكى فأخبر .

بطن أخيك)[١] ، فاستعمله فشفاه فهو شِفاء لِكلّ الأمراض بالشرط المذكور .

وبهذا[٢] رد بعض المحققين استشكال الآية بأنَّا[٣] نجده مضرا لكثير من الناس فقال : سبب ذلك عدم الصدق[٤] في استعماله ، وأما مَن صدقتْ نيته واطمأنتْ نفسه فهو شفاء مطلقاً / وإذا علمتَ ذلك التحريم في [١٠٨/أ] العسل[٥] فهو في القهوة بالنسبة لِذوي نحو الأمزجة السوداوية . كذلك فهو إضرار عرَضِي فلا يقتضي تحريم ذاتها .

وأما ما يُقال إنه يحدث منها نشأة فإن أراد قائل ذلك[٦] أنها كنشأة الخمر فهو ضروري البطلان ، لأنَّا نجد شُرَّابَ الخمر تحملهم[٧] نشأَتُهم[٨] على أحوال قط لا يوجد نظيرها في شَرَبَةِ القهوة . وهذا ضروري لا يُحتاج للبرهان عليه .

وإن أراد أنّ فيها نوع تنشيط وإزالة فتور وكسَل[٩] عن النفس ، فهذا من محاسنها لا من مذَامِّها إذ كثيرٌ من الأطعمة والأشربة المجمَع على

---

(١) البخاري : الصحيح ٧ : ١٢ – ١٣ .

(٢) في أ و ج : وهذا .

(٣) في أ : فإنا ، وفي ب : بأنه .

(٤) في ب : صدق .

(٥) سقط الجار والمجرور من ب .

(٦) كلمة سقطت من ج .

(٧) في ب : تحمل .

(٨) في ج : نشأته .

(٩) في ج : الكسل .

حِلّـِها فيها ذلك ، ولم يذهب أحد إلى حرمتها بسببه لأنَّه لا يترتب عليه فساد أَصْلاً . والخمر إنّما حُرِّمت لأنّ فيها شدة مطربة تسْلب[١] العقْل[٢] وتغمره وتستُره فينعدم التمييز أو كماله فيتعاطى المفسدات والإضرارات للغير بلسانه ويده .

وأما ما يُقال أنَّ تركها يؤدي إلى ضرر مُدْمنيها فهي كالخمر والأفْيون فجوابه : إنَّا سَبَرْنا كلام العلماء فلم نَرَ أحداً منهم علّل الحرمة بأنَّ الترك يؤدي إلى الضرر ، بل هذا مؤكد للفعل ، وإنما المحرّم أحد الأرْبَعة السابقة السّكر أو التخدير أو التنويم أو الإفساد . على أن هذا - أعني ضرر التَرْك - غير خاص بالقهوة لأنّ كل[٣] مَن ألف مأْكولا أو مشروباً ثم تَركه فلا بد أنَّه يتأثر له في مزاجه وبدنه . ولذلك قال بعض المحققين : غايَتُها أنها في ذلك كالأُرز بالنسبة للعجمي المدمن لأكْله ، فإنّه إذا[٤] تركَه تضرَّر وحصَل / له الصداع وغيره . فعُلِم أن الاستدلال بذلك يُنْبِيء عن الجهْل [١٠٨/ب] والغباوة والعناد .

هذا خلاصة ما أشرْتُ إليه في ذلك المجلس وذلك الرجل المنكر لا يزداد إلاَّ إنْكاراً وكان عنده ابن أخيه قاضي القضاة الحنفي كان[٥] بمكة . فقلت له : ما تقول في ما يقول عمك ؟ فقال لي : أنا معكم فيما تقولونه ، فالتفتَ إليه من شدة حنقه وسَبَّه ، فضَحِك وقال لي : أنا معكم ، فلم يزدَدْ

---

(١) كلمة سقطت من ب .

(٢) في ب : القلب .

(٣) كلمة سقطت من ب .

(٤) في ج : فإذا .

(٥) كلمة سقطت من ج .

ذلك إلاّ نكايةً لا سيما والحاضرون كلهم قاموا عليه ونَقَمُوا تصميمه على هذا الباطل الصراح .

ثم انفضَّ ذلك[١] المجلس وهو مملوء غيظاً ، فزيَّنَتْ له نفسه أن يذهب إلى مَن ينتصر له وكان بمكة ممسوح [٢] من مماليك السلطنة العثمانية فذهب إليه وقال له[٣] : مثلك يكون في هذا البلد وأبو حنيفة يُسب في المجالس فلا يجد مَن ينتصر له ؟ وذكر له[٤] ذلك المجلس ودسَّ فيه له هذه الكذبة التي يهوي بها في النار إلى ما شاء الله . فحين سمع ذلك الممسوح هذا الذي ذكره له ذلك[٥] الشيخ الضال تَنَمَّر[٦] وتجبر وأخذ سيْفَهُ وقال : لأجلس لفلان -يُريدني- في طريق ذهابه إلى درسه بالمسجد الحرام عند طلوع الشمس ، وأقتله بسيفي هذا ولا يؤخذ له بثأر .

فجاءني الخبر أنّ فلان الممسوح جاءه[٧] الشيخ فلان وذكر له المجلس ، فذكر الممسوح أنَّه يقتلك ، وها هو جالس لك على الطريق ومعه سيفه . فلما ذكر لي هذا الكلام علمتُ أنَّه اقترن[٨] بالكذب الصّرف فإنَّ أبا حنيفة

---

(١) كلمة سقطت من ج .

(٢) كذا في كل النسخ . ولعل لفظ الممسوح يطلق على مسمى وظيفة في اصطلاح العثمانيين الأول . ولم نجد له ذكرا في ما اطلعنا عليه من المصادر القديمة والدراسات الحديثة .

(٣) سقط الجار والمجرور من ب .

(٤) سقط الجار والمجرور من ج .

(٥) في ب : هذا .

(٦) في ج : تمرّد .

(٧) في ج : جاء إليه .

(٨) في ج : انه حين اقترن .

-رضي الله عنه -[١] لم يَجْرِ له ذكر في ذلك المجلس وإنما قال له[٢] بعض الحاضرين : يا شيخ فلان أنتم مذهبكم المسامحة في النبيذ ، فكيف هذا التشديد في القهوة ؟ فجعل هذا الكلام وَصْلَةً إلى كذبه / عَليَّ بقوله إنّه سَبَّ أبا حنيفة . فحين علمتُ أنه كذَب عَلَيّ عند ذلك الممسوح ، وأنَّه[٣] إنَّما خصَّ الممسوح بذلك لما هُو مُقَرَّر في عقول الممسوحين ، اطمأننتُ وعلمتُ أنه لا يُصيبني مِن ذلك الممسوح شيء فسلكتُ الطريق الذي هو جالس فيه ، فحين مررت عليه[٤] قام وقبّل يديَّ على العادة ولم أَرَ منه سُوءاً قط . [١٠٩/أ]

وهذا كلُّه جرّ إليه ذم التعصب للأقوال والمذاهب بالباطل وبه عُلِم أنه لا يفلح متعصبٌ قط ، وأنّ الله يُخْمِلُه ويمنع انتفاعه بالعلم ، ويسلط عليه مَن ينتقم منه . فاحذر التعصّب ما أمكنك لتظفر بالعلم وغاياته ، وتحيط ببداياته ونهاياته ، وفقنا الله وإياك لمرضاته ، وأجزل علينا عظائم هباته ، إنه أكرم كريم ، وأرحم رحيم ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) في ب : رحمه الله .

(٢) سقط الجار والمجرور من ج .

(٣) كلمة سقطت من ج .

(٤) سقط الجار والمجرور من ب .

ثبت المصادر والمراجع

المخطوطات

الأسدى : أحمد بن محمد المكي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)

- طبقات الشافعية

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤ تاريخ تيمور .

ابن حجر : أحمد بن محمد الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ/١٥٦٦ م)

- إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذٍ من أخبار تاريخ الخلفاء = مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطي .

- نسخة مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم - حضرموت - رقم ١٦ مجموعة آل يحي رقم ٦ .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧٦ تاريخ .

- إتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٠١٤ تاريخ طلعت .

- نسخة الأزهرية مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٧١٨٧/٢٧ .

- نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ٣٧٨١ /٣٣١ فقه .

- إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء فى الصدقة والضيافة .

- نسخة المكتبة السعيدية بحيدراباد بالهند رقم ٢٤٧ .

- الإجازة = معجم شيوخ ابن حجر .

- نسخة مكتبة برلين - ألمانيا - رقم ١٧٤ .

- نسخة مكتبة الأحقاف بتريم - حضرموت - مجموعة آل يحي رقم (١) مجاميع .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٣٤ مصطلح حديث تيمور .

- أدب المعلم والمتعلم .

- نسخة مكتبة جامعة برنستن ، ضمن المجموع ٤٢٢٤ (قسم يهودا) من مجموع جاريت Garrett للمخطوطات العربية . وهو المخطوط الأول من المجموع .

- أسنى المطالب ، في صلة الأقارب .
  - نسخة دار الكتب المصرية رقم ٨٨ أخلاق تيمور .
  - نسخة مكتبة خدابخش بتنا رقم ١٣٩٨ H L .
  - نسخة المكتبة الآصفية بحيدراباد الدكن بالهند رقم ٩٤٠ (عام ١٣٢٤٢) .
- أشرف الوسائل ، إلى فهم الشمائل .
  - نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٩٨٠ تاريخ طلعت .
  - نسخة مكتبة الأحقاف باليمن تريم ـ حضرموت ـ رقم ٤١٣ . مجموعة حسين بن سهل .
  - نسخة مكتبة مكة المكرمة رقم ٣٣ تاريخ .
- الإعلام ، بقواطع الإسلام .
  - مصورة مخطوط بمركز البحث العلمي التابع لجامعة أم القرى برقم ٢٣٦ مجاميع .(لم يُذكر اسم المكتبة التي حُفظ فيها) .
- إلصاق عُرر الهوى والهوس ، المضللة بمن غوى عن غُرر الهُدى حتى لم يفهم الاضطراب عن أنس في حديث البسملة .
  - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤٥ حديث تيمور .
- الإمداد ، وهو شرح الإرشاد .
  - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤٧٤ فقه شافعي .
- الإيضاح و البيان ، لما جاء في ليلة النصف من شعبان .
  - نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ١٨٨٣ /٣ د .
- الإيعاب ، في شرح العباب .
  - نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٧٦٢ فقه شافعي .
- تحذير الثقات ، من أكل الكفتة و القات .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢١٦١٤ ب .
- تحرير المقال ، في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٩٧٩ تصوف .
- تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج .
- منه نسختان بالمكتبة المركزية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ٤٧٨١ ورقم ٤٧٠١ .
- تطهير العَيْبة ، من دنس الغَيْبة .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣/١٤٢ مجاميع .
- التعرف ، في الأصلين والتصوف .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٥٩٧ معارف عامة .
- تخليص الإحراء ، في حكم تعليق الطلاق بالإبراء
= مختصر المحرر من الآراء ، في حكم الطلاق بالإبراء.
- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣٨١٤٨ب .
- نسخة المغرب مكتبة تطوان رقم ٣٢ .
- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ١٨٨٣/٤د .
- الجوهر المنظم .
- نسخة الهند في المكتبة الآصفية بحيدراباد رقم ١٣٠ حديث .
- نسخة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم ٨ ٤ ٥ مجاميع .
- نسخة الهند خدابخش بتنا رقم ١٢٩٩ــHL .
- حاشية الإيضاح في المناسك للإمام النووي .
- مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩١٣ فقه شافعي .
- الخيرات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان .
- نسخة مكتبة الشيخ محمد مظهر الفاروقي بالمدينة المنورة برقم ٨٤ . منها نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ١/٦٨٣٦ بعنوان" قلائد العقيان ، في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان " .

- در الغمامة ، في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة .
  - نسخة مكتبة جامعة برنستن مجموعة Garrett رقم ١٣٧١ .
  - نسخة مكتبة ابن عباس بالطائف رقم ٢١٣ (٤) .
  - نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم ٢٩٥٨ .
- الدر المنضود ، في الصلاة على صاحب المقام المحمود ، صلى الله عليه وسلم .
  - نسخة تونس بمكتبة حسن حسين عبد الوهاب رقم ١٨١٢٤ .
- رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان .
  - نسخة دار الكتب المصرية ضمن المجموع رقم ٢/٢١٢ .
  - نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٩٠٠/٢١٥
- الصواعق المحرقة ، لإخوان الشياطين أهل الإبتداع والضلال والزندقة .
  - نسخة دار الكتب الظاهرية برقم ٣٤٦٩ بعنوان " الصواعق المحرقة في حقيقة خلافة الصحابة رداً للروافض والمتزندقة ".
  - مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط مصورتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٤٥٤٥ ضمن مجموع بعنوان " تاريخ خلافة الأئمة الأربعة " .
- فتح الإله ، في شرح المشكاة .
  - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٣٥٤ حديث .
- قرة العين ، ببيان أن التبرع لا يبطله الدين .
  - نسخة دار الكتب المصرية مجاميع ٩/١٤٢ .
- كشف الغين ، عمن ضل عن محاسن قرة العين .
  - نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٢٤٥ ب .
- كنه المراد ، في بيان بانت سعاد.
  - نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٦٦ مجاميع .
- القول المختصر ، في علامات المهدي المنتظر

- نسخة دار الكتب المصرية ، مجاميع ١٤٢/١٠ .

- مبلغ الأرب ، في فخر العرب .

- نسخة دار الكتب المصرية ، مجاميع تاريخ رقم ١٤٢/٥ .

- المناهل العذبة ، في إصلاح ما وهى من الكعبة .

- نسخة مكتبة مكة المكرمة رقم ٦٥ فتاوى .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٨٩٢ تاريخ طلعت .

- المِنَح المكية في شرح الهمزية = القرى لقراء أم القرى .

- نسخة مكتبة أحمد جبران عوضي جبران باليمن ، دون رقم .

- نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم ٢٥٦٥ .

- المنهاج القويم ، شرح ابن حجر على المقدمة الحضرمية .

- نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم ٤٩٧١ .

- مولد النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

- نسخة المكتبة الآصفية بحيدراباد الدكن رقم ٦٣ سيرة / ١٥٩٠ .

- نسخة المكتبة العامة بتطوان رقم ٤٥٦ ع .

- مولد النبي صلى الله عله وسلم (٣) .

- نسخة المكتبة العامة بتطوان رقم ٢٢/٣٤٤ .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم ٣/٢٣١ .

- النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيد بنى آدم .

- نسخة المكتبة الآصفية بحيدراباد الدكن بالهند رقم ٦٣ سيرة/١٥٩٠ . بعنوان " إتمام النعمة على العالم ".

- نسخة المكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى رقم ٤٥٦ ع.

- نسخة دار الكتب المصرية برقم ٣٤١ الزكية بعنوان :" كتاب المقاليد ، في المواليد " .

الحضراوي : أحمد بن محمد (ت ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)

- تاج تواريخ البشر، وتتمة جميع السير .

- نسخة مكتبة مكة المكرمة ، رقم ١٢٢ تاريخ .

الدهلوي : عبد الستار بن عبد الوهاب

- كتاب الأزهار الطيبة النشر ، في ذكر الأعيان من كل عصر .

- مخطوط . نسخة الحرم المكي برقم

الزمزمي : خليفة بن أبي الفرج المكي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)

- نشر الآس ، في فضائل زمزم وسقاية العباس .

- نسخة دار الكتب الظاهرية رقم ٥٩١٠ .

السقا : حسن رجب خطيب الأزهر .

- حواشي حسن رجب السقا .

- على هامش نسخة المولد (٣) لابن حجر المحفوظة بالمكتبة العامة بتطوان رقم ٢٢/٣٤٤ .

السيفي : أبو بكر بن محمد باعمرو اليزني (كان حيا سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٧م) .

- نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر .

- نسخة الظاهرية رقم ٢٣١٩ (من ١٣٨- ١٤٤) .

السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

- الهيئة السَنية ، في الهيئة السُنية .

- نسخة بمكتبة برلين رقم ٥٦٩٧ .

الشلي : محمد بن أبي بكر المكي (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)

- السنا الباهر ، بتكميل النور السافر ، في أخبار القرن العاشر .

- مخطوط بمكتبة شستربيتي بايرلندة رقم ٥٢٣٠ .

- عقد الجواهر والدرر، في أخبار القرن الحادي عشر.

- نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٤٥٣ .

الطبري : عبد القادر بن محمد المكي (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م)

- إنباء البرية ، بالأنباء الطبرية .

- نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف رقم الفيلم ٢٤٩٣. رقم المخطوط ١٦تراجم/دهلوي .

- كناشة عبد القادر الطبري .

- نسخة المكتبة المركزية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ١٨٩٢ .

ابن عراق : محمد بن علي بن عبد الرحمن (ت ٩٣٣هـ/١٥٢٧م)

- عقيدة ابن عراق .

- نسخة بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد ضمن مجموع قديم رقم ٤٧٤٥

ابن علان : محمد علي بن محمد البكري الصديقي(ت ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)

- التلطف في الوصول إلى التعرف .

- نسخة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٤ أصول فقه .

فتاوى ضمن كتاب باللغة التركية بعنوان :

- صورت فتواي بناي بيت الله العظيم .

- نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية النمساوية بفينا رقم ٢٤٦٧٦ .

ضمنه فتاوى بالعربية متعلقة ببناء البيت منها :

- فتوى عبد العزيز الزمزمي .

- فتوى عبد الله بن أبي بكر ظهيرة القرشي .

- فتوى خالد بن أحمد الجعفري المكي .

ابن فهد : جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي المكي

(ت ٩٥٤ هـ/١٥٤٧ م)

- نيل المنى ، بذيل بلوغ القرى ، لتكملة إتحاف الورى .

- مخطوط بالمكتبة السليمانية باسطنبول رقم ١٩٦١ . مكتبة شهيد علي باشا .

ابن فهد : العز عبد العزيز بن نجم الدين عمر (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م)

- بلوغ القرى، في ذيل إتحاف الورى ، بأخبار أمّ القرى .

- نسخة مكتبة الحرم المكي بدون رقم .

مجهول :

- مناقب العلامةابن حجر (اختصار كتاب نفائس الدرر للسيفي) .

- نسخة مكتبة الحرم المكي رقم ١٤ تراجم .

- نسخة دار الكتب المصرية ٢٧٤ تاريخ تيمور .

- منتهى الإعلام بوفيات الصحابة وملوك الإسلام .

(المنسوب لابن حجر خطأً)

- مخطوط محفوظ بالمكتبة الحسنية الملكية (بالديوان الملكي) بالرباط

- المغرب - رقم ١٥٠٧ تاريخ .

الميرغني : أمين

- تنزيل الرحمات ، على من مات .

- مخطوط بالمكتبة الآصفية بحيدراباد الدكن برقم ١٩٤٣٤١ .

النهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) .

- التذكرة .

- نسخة بخط المؤلف ضمن مكتبة الشيخ حمد الجاسر ، وقد تكرّم علينا بنسخة مصورة منها .

المطبوعات

أحمد جلبي عبد الغني

- أوضح الإشارات ، فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات .

تقديم وتحقيق د/ فؤاد محمد الماوي . ط . دار نشر الثقافة القاهرة ١٩٧٧م .

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله (٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار .

تحقيق رشدي الصالح ملحس . دار الثقافة بيروت ط . ٣ سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ألوارد Ahlward

- فهرسة المخطوطات العربية بمكتبة الدولة ببرلين .

ط - نيويورك .١٩٨-١٩٨١ م ، وهي في عشرة أجزاء مصورة عن الطبعة القديمة

التي صدرت في برلين سنة ١٨٨٧ - ١٨٩٩م .

الألوسي البغدادي : السيد نعمان خير الدين .

جلاء العينين ، في محاكمة الأحمدين .

مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

الأهواني : عبد العزيز .

- برامج العلماء في الاندلس .

مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية . العدد الأول ،الجزء الأول

مايو ١٩٥٥ م/ رمضان ١٣٧٥ هـ .

ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (ت نحو ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) .

- بدائع الزهور ، في وقائع الدهور .

تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ٥ أجزاء .

البخاري : الإمام محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٧٤م)

الصحيح = الجامع الصحيح .

الطبعة السلطانية ، بولاق ١٣١١ ـ ١٣١٣هـ ، ٩ أجزاء .

(وقد طبعت مصورة مرات)

البغدادي : إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) .

ـ إيضاح المكنون ، في الذيل على كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون .

ط . إسطنبول سنة ١٩٤٥ م/مجلدان .

ـ هدية العارفين ، في أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين

ط ـ إسطنبول سنة ١٩٥١ م ، مجلدان .

البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م) .

ـ مراصد الاطلاع .

ط ـ دار احياء الكتب العربية ، مصر سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م . ٣ أجزاء .

التنبكتي : أحمد بن أحمد المعروف بأحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧ م) .

ـ نيل الإبتهاج ، بتطريز الديباج .

طبع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة١٣٢٩هـ .

الجزار : عبد المعز عبد الحميد .

ـ ابن حجر الهيتمي .

مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة سنة ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

الجزيري : عبد القادر بن محمد الأنصاري المكي(ت بعد سنة ٩٧٦ هـ/ بعد ١٥٦٨ م)

ـ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة .

أعده للنشر حمد الجاسر ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م ـ ٣ مجلدات .

ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)

ـ فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري . ط . دار المعرفة – بيروت لبنان .

ـ لسان الميزان . ط . حيدر اباد الدكن ، ١٣٢٩هـ . ستة أجزاء .

ابن حجر : أحمد بن محمدالهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) .

- إتحاف أهل الاسلام ،بخصوصيات الصيام .

طبع بمصر ، تحقيق محمود النواوي و محمد الديوي من علماء الازهر .

نشر مكتبةالنهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١ م .

- الإتحاف ، ببيان أحكام إجارة الأوقاف .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٣ : ٣٢٦-٣٤٩ .

- إتحاف ذوي المروءة والأناقة ، بما جاء في الصدقة والضيافة .

طبع بعنوان : الأناقة في الصدقة والضيافة (إكرام الضيف وفضل الصدقات)

- مكتبة القرآن - مصر ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم .

طبعة بولاق سنة ١٩٨٧ م .

- إصابة الأغراض ، في سقوط الخيار بالإعراض .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٢ : ٢٤٢-٢٤٩ .

- الإعلام ، بقواطع الإسلام .

طبع آخر كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر مطبعة مصطفى البابي الحلبي . سنة ١٣٢٥ هـ .

له طبعة جديدة سنة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٧٨ م غيرمحققة . بدار الكتب العلمية ببيروت - لبنان - .

- الإفادة ، لما جاء في المرض و العيادة .

ط ١ : دار الصحابة للتراث بطنطا سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م . مع تحقيقه بمعرفة الدار .

- ط ٢ : طبعة مكتبة الهداية ، ببيروت - لبنان - بتحقيق د. عبد الله نذير أحمد سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣ م .

- الانتباه ، لتحقيق عويص مسائل الإكراه .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٤ : ١٧١-١٧٩ .

- إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العمال والحكام .

اطلعتُ على أوراق نسخة منه تحت الطبع والتحقيق بمصر (لم يذكر تاريخه) معتمدة على نسخة مخطوطة دار الكتب المصرية رقم الميكروفيلم ٤٣٣٣٦ .

- بطلان الدور في المسألة السريجية .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٤ : ١٧٩ـ١٩٧ .

ـ تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات .

طبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية ٤:٢٢٣ـ٢٣٤ .

ـ تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال .

تحقيق عبد المعز عبد الحميد الجزار . مطابع شركة الإعلانات الشرقية .

القاهرة سنة ١٤٠٦ هـ .

ـ تطهير الجنان و اللسان ، عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان .

ـ ط ١ : طبع بهامش الصواعق المحرقة لابن حجر .

المطبعة الميمنية طبعة القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

ـ ط ٢ : طبع بعد كتاب الصواعق المحرقة طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م . تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

ـ ط ٣ : طبع بعد كتاب الصواعق المحرقة .

طبعة دار الكتب العلمية بلبنان سنة ١٤٠٣هـ ـ١٩٨٣ م . تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الناشر .

ـ ط ٤ : بتحقيق أبي عبد الرحمن المصري الأثري دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

ـ تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج .

طبع مع حواشي عبد الحميد الشرواني وأحمد العبادي ، المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٥هـ ، مصورتها صدرت عن دار الفكر بلبنان د ت ، ١٠ مجلدات .

ـ التحقيق ، لما يشمله لفظ العتيق .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٣ : ٣٠١ ـ ٣٢٦ .

ـ تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح بيع ساعة من قرار العيون .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٢:١٦٦ـ٢٢١ .

ـ الجوهر المنظم .

ـ ط ١ : طبعة بولاق مصر مطبعة عبد الرحمن الرشيدي . سنة ١٢٧٩هـ .

ـ ط ٢ : المطبعة الميمنية ـ مصر ـ سنة ١٣٠٩هـ.

ـ ط ٣ : المطبعة الخيرية ـ مصر ـ سنة ١٣٣١ هـ .

ـ حاشية الإيضاح في المناسك .

المكتبة السلفية . محمد صالح الباز مكة المكرمة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .

ـ حاشية فتح الجواد ، بشرح الإرشاد .

طبع في ذيل فتح الجواد بشرح الإرشاد .مطبعة مصطفى البابي الحلبي

ـ مصر ـ سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١ م .

ـ الحق الواضح المقرر ، في حكم الوصية بالنصيب المقدّر .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٤ : ٥٠ـ٦٨ .

ـ الخيرات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفةالنعمان .

ـ ط ١ : المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ٢٣١١ هـ.

ـ ط ٢ : مطبعة دار الكتب العربية ـ على نفقة مصطفى الحلبي و أخويه ـ بمصر سنة ١٣٢٦هـ .

ـ ط ٣ : طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٣هـ .

تقديم وتحقيق الشيخ خليل الميس .

ـ در الغمامة ، في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة .

مطبعة السعادة بمصر ـ على نفقة علي بن أحمد النهاري الكتبي بمكة المشرفة د . ت .

ـ الدر المنضود ، في الصلاة و السلام على صاحب المقام المحمود ، صلى الله عليه وسلم .

تحقيق الأستاذ حسنين محمد مخلوف . طبع بمصر سنة ١٣٨٠ هـ.

ـ ذيل الصواعق المحرقة .

طبع ثلاث مرات مع طبعات كتاب الصواعق المحرقة ولم يعنون له بعنوان إنما كان يلحق بنص الكتاب تحت عنوان " تتمة " رغم أن ابن حجر وضعه بعد كتابه الصواعق بأربعة عشر سنة . (انظر : الصواعق المحرقة) .

- رفع الشبه والريب ، عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٣ : ١٣٢ـ ١٤١ .

- الزواجر ، عن اقتراف الكبائر.

- طبعة أول : مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م في جزأين (في مجلد واحد ويليه كف الرعاع والإعلام بقواطع الاسلام) .

- طبعة ثانية : بدار الكتب العلمية بلبنان سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م في جزأين .

- سوابغ المدد ، في العمل بمفهوم قول الواقف من مات من غير ولد .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٣ :١٩٤ـ ٢٢١ .

- الصواعق المحرقة ، في الرد على أهل البدع والزندقة .

- ط ١ : المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٧هـ . بهامشها كتاب آخر لابن حجر عنوانه تطهير الجنان واللسان .

- ط ٢ : مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ويليه كتاب تطهير الجنان و اللسان تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

- ط ٣ : طبعة دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان -

سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ - يليه كتاب تطهير الجنان واللسان - راجع النسخة وضبط أعلامها وكتب هوامشها مجموعة من العلماء بإشراف الناشر .

- الفتاوى الحديثية .

طبعة مصطفى الحلبي . مصر سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م (مصورة عن طبعة قديمة) .

- الفتاوى الكبرى الفقهية .

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م وبهامشه فتاوى شمس الدين الرملي . مصورة عن الطبعة القديمة بمصر سنة ١٣٠٨ هـ ٤ مجلدات .

- فتح الجواد ، بشرح الإرشاد .

طبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١ م .

- فتح المبين ، لشرح الأربعين .

طبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي ،مصر وبأسفله حاشية المدابغي . د .ت .

- قرة العين ، ببيان أنّ التبرع لا يبطله الدين .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٣ : ٢-٢٦ .

- كشف الغين ، عمن ضل عن محاسن قرة العين .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ٣ : ٢٦-٢٨ .

- كف الرعاع ، عن محرمات اللهو والسماع .

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م. في ذيل كتاب

الزواجر، عن اقتراف الكبائر .

- مختصر الإيضاح .

طبع بهامش كتاب عمدة الابرار في أحكام الحج والاعتمار للشيخ على

الحسني الونائي ، طبعة مصرية قديمة . د - ت .

- المنح المكّية في شرح الهمزية .

- ط ١ : طبعة بولاق مصر . سنة ١٢٩٢هـ وبهامشها حاشية محمد الحفني على

شرح ابن حجر هذا .

- ط ٢ : بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧هـ

- ط ٣ : وطبع بعنوان أفضل القرى لقراء أم القرى مطبعة التقدم العلمية

- القاهرة - سنة ١٣٢٦هـ

- المنهاج القويم ، شرح ابن حجر على المقدمةالحضرمية .

طبعة مصطفى البابي الحلبى - مصر - سنة ١٣٥٨هـ

- مولد النبي صلى الله عليه وسلم . (١) .

طبع بالشام على نفقة محمد هاشم الكتبي صاحب المكتبة العلمية . طبعة قديمة .

- مؤلف في الحيض (الثالث) .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية ١ : ٩٧-١٢٢ .

- النخب الجليلة ، في الخطب الجزيلة .

- ط ١ : المطبعة الحسنية سنة ١٢٩٠ هـ

- ط ٢ : المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠هـ

- ط ٣ : المطبعة الميمنية سنة ١٣٢٤هـ .

ابن حنبل : الإمام أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

المسند = مسند أحمد .

المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣١٣هـ ، ٦ أجزاء . وطبع مصورا عنها ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

الخفاجي : الشهاب أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م)

- ريحانة الألباء ، وزهرة الحياة الدنيا .

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط - عيسى البابي الحلبي ، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ، جزآن .

الخلوتي : محمد بن أحمد بن علي الجمل

- بهجة الفكر ، على مولد ابن حجر .

طبع بمطبعة الكمال الاحمدية - بطنطا سنة ١٣٢٢هـ

خليفة : حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .

ط - اسطنبول ١٩٤١م -١٩٤٣ م ، نشر محمد شرف الدين . مجلدان .

أبو داود : أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

- السنن .

تحقيق محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٠م .

دائرة المعارف الإسلامية

نقلها إلى اللغة العربية : محمد ثابت الفندي ، أحمد الشنتناي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس . ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣ م.

دائرة المعارف الإسلامية : باللغة الانجليزية .

The Encyclopaedia of Islam

New Edition

Leiden E . J . Brill London Luzac &Co 1971

الدويش : أحمد بن عبد الرزاق .

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

من مطبوعات الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض . سنة ١٤١١هـ .

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ/١٣٤٧م)

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق علي محمد البجاوي .

ط . دار إحياء الكتب العربية مصر سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، ٤ أجزاء .

الرمال : غسان علي محمد

- صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر .

ط - جدة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥ م .

الريان : خالد

- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .

التاريخ و ملحقاته - الجزء الثاني .

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

الزبيدي : محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .

- تاج العروس ، من جواهر القاموس .

ط - المطبعة الخيرية بالجمالية ، القاهرة سنة ١٣٠٦هـ/ ١٣٠٧م . ١٠ مجلدات .

الزركلي : خير الدين (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)

- الأعلام .

طبعة دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان - ١٩٩٠م ، ٨ أجزاء .

زيدان : جرجي (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)

- تاريخ آداب اللغة العربية .

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة ١٩٦٧م . ٤ أجزاء .

سركيس : يوسف إليان (ت ١٢٥١هـ/١٩٣٢م) .

- معجم المطبوعات العربية والمعربة .

ط - مكتبة الثقافة الدينية - مصورة عن الطبعة القديمة التي طبعت بمطبعة

سركيس - مصر سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م . جزآن .

سزكين : فؤاد

- تاريخ التراث العربي .

نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي

ط ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الشامي : د ـ عبد العال عبد المنعم

ـ مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي .

قسم الجغرافيا ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت .الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

الشقوي: عبد الله بن ناصر

ـ السخاوي مؤرخًا ٨٣١ـ٩٠٢هـ .

رسالة دكتوره مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الرياض ، سنة ١٤٠٧ هـ .

الشلي : محمد بن أبي بكر المكي (ت ١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) .

ـ المشرع الروي ، في مناقب السادة الكرام آل باعلوي .

نشر محمد بن أحمد الشاطري ، ط ـ جدة سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، جزأن .

الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) .

ـ البدر الطالع ، بمحاسن من بعد القرن السابع . مطبعة السعادة ، القاهرة سنة ١٣٤٨هـ ، جزأن .

الطبري : علي بن عبد القادر (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م) .

ـ الأرج المسكي ، في التاريخ المكي .

تحقيق محمد بن صالح الطاسان .طبع على الآلة الكاتبة كجزء من رسالة دكتوراه قدمت لكلية الآداب بجامعة أدنبرة في بريطانيا ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

الطبري :محمد بن علي بن فضل الحسيني المكي (١١٧٣هـ/١٧٦٠م) .

ـ إتحاف فضلاء الزمن ، بتاريخ ولاية بني الحسن .

تحقيق د/ ناصر بن عبد الله بن سلطان البركاتي . طبع على الآلة الكاتبة كرسالة دكتوراه قدّمتْ لجامعة مانشستر سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) .

ـ سمط النجوم العوالي ، في أنباء الأول والتوالي .

ط ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م ، ٤ أجزاء .

ابن علان : محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) .

إنباء المؤيد الجليل مراد ، ببناءبيت الوهاب الجواد .

تحقيق خالد عزّام الخالدي رسالة ماجستير مقدّمة لجامعة الملك سعود بالرياض

سنة ١٤٠٧هـ بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله عقيل عنقاوي .طبعت بالآلة

الكاتبة .

ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن علي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩ م) .

ـ شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب .

ط ـ دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٩هـ/١٩٨٩م ، ٨ أجزاء مصورة عن طبعة

القاهرة سنة ١٣٥٠هـ .

عنان : محمد عبد الله .

فهرس الخزانة الملكية الحسنية (قسم التاريخ وكتب الرحلات) .

طبع الرباط بالمغرب ، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

العيدروسي : محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م) .

ـ النور السافر ، عن أخبار القرن العاشر .

تصحيح محمد رشيد أفندي الصفار ، مطبعة الفرات ـ بغداد ـ ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م .

الغزي : نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م) .

ـ الكواكب السائرة ، بأعيان المائة االعاشرة .

تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت

سنة ١٩٧٩م ، ٣ أجزاء .

الفاداني : أبو الفيض محمد ياسين بن عيسى المكي .

ـ أسانيد الفقيه أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المتوفي سنة ٩٧٤هـ .

طبعة دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

الفيروزابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) .

القاموس المحيط

طبع مصر ، سنة ١٣٠٦هـ .

القطبي : عبد الكريم بن محب الدين النهروالي (ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م) .

- إعلام العلماء الأعلام ، ببناء المسجد الحرام .

تعليق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي .

ط - دار الرفاعي ، الرياض سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

قوتلاي : خليل ابراهيم .

- الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث .

طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

(أصل الكتاب رسالة للماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية

بجامعة أم القرى بمكة بتاريخ ١٤٠٦هـ) .

الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) .

- فهرسة الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات .

طبع باعتناء وفهرسة الدكتور إحسان عباس . ط - دار الغرب الإسلامي

- بيروت - سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م في ثلاثة أجزاء .

كحالة : عمر رضا (معاصر) .

- معجم المؤلفين .

ط - دار احياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ ، ١٥ مجلدات .

اللكنوي : محمد عبد الحي الهندي (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) .

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية .

تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر

- بيروت - لبنان

مبارك : علي باشا .

- الخطط الجديدة لمصر القاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة .

المطبعة الكبرى الاميرية ، بولاق - مصر - سنة ١٣٠٥ هـ .

المتقي الهندي : علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٨م) .

كنز العمال ، في سنن الأقوال والأفعال .

طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ١٨ جزءا .

مـجـهـول :

ـ النعمـة الكبـرى علـى العالـم . (مـنـسـوب خطـأً لابـن حجـر) .

طبـع بمطبعـة الإسـتـقامـة بمصـر سنـة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

المحبي : محـمـد أمـين بن فضـل الله (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) .

ـ خلاصـة الأثـر ، فـي أعيان القرن الحادي عشر .

طبـعـة مصـورة ، دار صـادر بيروت ، د . ت . ٤ مجلدات ، عن طبـعـة بولاق ١٢٨٤هـ .

محـمـد فريـد بك المحامي

ـ تاريخ الدولة العليـة العثمانية .

تحقيق د/ إحسان حقـي ، دار النفائس ، بيـروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

مـخلوف : محـمـد بن محـمـد المنستيري (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) .

ـ شجـرة النـور الزكيـة ، في طبـقـات المالكيـة .

المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٥٢م ، جـزآن .

مـرداد : أبـو الخيـر عبد الله بن أحمد المكي (ت ١٣٤٣هـ/١٩٥٤م) .

ـ المـختصـر ، من كتاب نشر النور و الزهر ، في تراجم أفاضل مكة
من القرن الرابع عشر .

اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي . ط ـ عالم المعرفة ،
جدة سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

مـعروف : بشار عواد .

ـ الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام . (رسالة دكتوراه من جامعة بغداد) .

مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ د ـ ت .

النهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) .

ـ الإعلام ، بأعلام بيت الله الحرام .

طبعة مصورة عن الطبعة الأوربية القديمة . ط ـ دار الخياط ـ لبنان ـ
بيروت سنة ١٩٦٤م .

ـ البرق اليماني ، في الفتح العثماني .

طبع بإشراف حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

الهندي : علي بن المتقي (٩٧٥هـ/١٥٦٧م) .

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . نشر مكتبة التراث الاسلامي بحلب ، دون تاريخ ، ١٣ جزءاً .

الهيلة : محمد الحبيب .

ـ التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر (جمع وعرض وتعريف) .

نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

طبع دار الغرب الإسلامي بيروت ـ لبنان ـ .

الوادي آشي : محمد بن جابر الاندلسي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .

تحقيق د ـ محمد الحبيب الهيلة . طبع مركز البحث العلمي واحياء التراث

نشر جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ .

طبع الشركة التونسية ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

الونائي : علي بن عبد البر الحسيني الشافعي (ت ١٢١١هـ/١٧٩٦م) .

ـ عمدة الأبرار ، في أحكام الحج والاعتمار ، وبهامشه مختصر الإيضاح لابن حجر .

طبعة مصرية قديمة ، د ـ ت .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله الرومى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .

المشترك وضعا ، والمفترق صقعا .

طبعة أوربا سنة ١٨٤٦م ، مصورة منها طبع عالم الكتب بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

ـ معجم البلدان

ط ـ دار صادر ، بيروت سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ٥ مجلدات .

الفهـــارس

ا - فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الموضوعات